جامعة باتنة 01 . الحاج لخضر

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية

بين التبرير الأخلاقي والتوظيف السياسي

أطروحة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه علوم في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، تخصص: العلاقات الدولية

إعداد الطالب:

بوناب كمال

إشراف الأستاذ الدكتور:

قادري حسين

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصّفة
د. عبد الله راقدي	أستاذ محاضر . أ.	جامعة باتنة 1	رئيسا
أ. د. حسين قادري	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	مشرفا ومقرّرا
أ . د. بوحنية قوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة	ممتحنا
أ. د. نور الدّين دخان	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	ممتحنا
د. إدريس عطية	أستاذ محاضر . أ.	جامعة تبسة	ممتحنا
د . حداد شفيعة	أستاذ محاضر . أ.	جامعة باتنة 1	ممتحنا

السنة الجامعية 2016 / 2017

جامعة باتنة 01 . الحاج لخضر

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية

بين التبرير الأخلاقي والتوظيف السياسي

أطروحة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه علوم في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، تخصص: العلاقات الدولية

إعداد الطالب:

بوناب كمال

إشراف الأستاذ الدكتور:

قادري حسين

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصّفة
د. عبد الله راقدي	أستاذ محاضر . أ.	جامعة باتنة 1	رئيسا
أ. د. حسين قادري	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	مشرفا ومقرّرا
أ . د. بوحنية قوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة	ممتحنا
أ. د. نور الدّين دخان	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	ممتحنا
د. إدريس عطية	أستاذ محاضر . أ.	جامعة تبسة	ممتحنا
د . حداد شفيعة	أستاذ محاضر . أ.	جامعة باتنة 1	ممتحنا

السنة الجامعية 2016 / 2017

إهداء

إلى أبي وأمي

إلى زوجتي

إلى إخوتي

إلى كل مثابر مُجدّ، نزيه

شكر وتقدير

أتوجه بأسمى عبارات الشكر والتقدير للمشرف على هذه الأطروحة، الأستاذ الدكتور " **حسين قادري**" الذي كان طيلة سنوات الإعداد والمراجعة موجّها ومرشدا، صبورا وحليمًا، متّسمًا بأعلى صفات المهنية والاحترافية.

خطة البحث

مقدمة

الفصل الأول: التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية: مدخل إبستمولوجي

المبحث الأول: النطاق المفاهيمي . الفلسفي للتدخل الإنساني

المطلب الأول . مقاربة معرفية حول التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية

الفرع 1 . مفهوم التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية

الفرع 2 . عبء البرهان

الفرع 3 . تيبولوجيا التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية

المطلب الثاني . الحرب العادلة من العصر الوسيط إلى مايكل والزر

الفرع 1 . جدال اللاهوت والقانون الطبيعي حول الحرب العادلة

الفرع 2 . عُرف عدم التدخل

الفرع 3 . مايكل والزر والعودة إلى العصر الوسيط

المبحث الثاني: حوار نظريات العلاقات الدولية حول التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية

المطلب الأول . النقاش الواقعي . التعددي . التضامني حول التدخل الإنساني

الفرع 1 . تنبيهات الواقعية

الفرع 2 . وستفالية التعددية

الفرع 3 . الأخلاق الكوسموبوليتانية التضامنية

أولا: التضامن الدولي المقيد لـ جون راولز

ثانيا: المجموعة القانونية التواصلية لـ يورغن هابرماس

المطلب الثاني . التدخل الإنساني من منظار المدرسة الإنجليزية للعلاقات الدولية

الفرع 1 . التقاليد الثلاثة في فكر المدرسة الإنجليزية

الفرع 2 . معيار الحضارة

الفرع 3 . الإمبريالية لـ جون هيوغ واتسون

الفصل الثاني: التدخل الإنساني في ظل تحولات الأمم المتحدة، الرأي العام، السيادة وحقوق الإنسان

المبحث الأول: التدخل الإنساني في ظل أزمات الأمم المتحدة وتأثير الرأي العام

المطلب الأول . منظمة الأمم المتحدة والتدخل الإنساني

الفرع 1 . أزمات الشرعية في " النزعة التدخلية الجديدة"

الفرع 2 . مجلس الأمن الدولي والتدخلات الإنسانية

الفرع 3 . مبدأ الحماية الأممي بعدسات جندرية / إيكولوجية

أولا: التدخل الأممي بعدسات جندرية

ثانيا: التدخل الدولي الأممي بعدسات إيكولوجية

المطلب الثاني: حدود تأثير الرأي العام على التدخلات الإنسانية

الفرع 1 . أثر القناة سي. أن. أن ومثلث كلاوسوفيتز

الفرع 2 . الإعلام الأمريكي والتدخل الإنساني: من توافق ألموند/ ليبمان إلى البروباغندا

المبحث الثاني: تحولات السيادة وحقوق الإنسان: وعود "ما بعد الكولونيالية"

المطلب الأول . جنيالوجيا السيادة

الفرع 1 . نشأة فكرة السيادة

الفرع 2 . داء بودان Mal de Bodin

الفرع 3 . اللحظة الغروسيوسية الجديدة

المطلب الثاني . التدخل من أجل حقوق الإنسان وموازنات ما بعد الاستعمار

الفرع 1 . معضلة المصدر القانوني لتبرير فكرة حقوق الإنسان

الفرع 2 . تدويل علاقة الدولة بالأقليات

الفرع 3 . فحص أطروحة النظام العالمي لحقوق الإنسان

الفصل الثالث: التدخل الإنساني في ليبيا وسوريا على ضوء سياسات القوة المهيمنة والقوى الناهضة

المبحث الأول: التدخل الإنساني بين المنظور الأمريكي المهيمن والمقاربات الدولية الأخرى

المطلب الأول . الولايات المتحدة الأمريكية والتدخل الإنساني

الفرع 1 . الفضائل المتجدّدة لـ " الولسونية"

الفرع 2 . مذهب باول / واينبرغر

المطلب الثاني . القوى الناهضة ومقاربات التدخل الإنساني

الفرع 1 . الاتحاد الأوروبي وأمننة القيم الأخلاقية

الفرع 2 . الصين: تيانكسيا أم هيمنة

الفرع 3 . روسيا: بناء اجتماعي للتدخل الإنساني

المبحث الثاني: التدخل الإنساني في ليبيا ومعضلته في سوريا

المطلب الأول . ليبيا: هل تسمح مسؤولية الحماية (R2P) بإسقاط النظام؟

الفرع 1 . جيل البوسنة وعملية فجر الأوديسا

الفرع 2 . الاتحاد الإفريقي وجهود أقلمة التدخل في ليبيا

الفرع 3 . هل نجحت الإنسانية في ليبيا

المطلب الثاني . معضلة التدخل الإنساني في سوريا ومستقبل مسؤولية الحماية

الفرع 1 . الأزمة السورية الناشئة والانتقال من المسؤولية عن الحماية إلى المسؤولية أثناء الحماية

الفرع 2 . الولايات المتحدة والالتزام المقيّد

الفرع 3 . مستقبل المسؤولية عن الحماية بعد سوريا

الخاتمة

فهرس الجداول والأشكال **الصفحة**

جدول رقم 01: الردود العسكرية على المعضلات الإنسانية. 24

جدول رقم 02: الفارق بين الخطاب الأخلاقي والخُلقي عند يورغن هابرماس. 56

جدول رقم 03: التغطية الإعلامية للعلاقة بين الأمم المتحدة والغرب بين 11 و18 جويلية 1995. 104

جدول رقم 04: التغطية الإعلامية لترحيل سكان سربرينيتشا بين 11 و18 جويلية 1995. 104، 105

جدول رقم 05: الآثار التأسيسية على مسؤولية الحماية من دروس الأزمات في ليبيا وسوريا 201

شكل رقم 01: المخاطر الأخلاقية للتدخل الإنساني وعواقبه المحتملة. 29

شكل رقم 02: التقاليد الثلاثة: النموذج الكلاسيكي للمدرسة الإنجليزية. 60

شكل رقم 03: نموذج النظام الإمبريالي لـ آدم واتسون. 68

شكل رقم 04: نسخة مبسطة عن البنَدول المجازي لـ واتسون. 70

شكل رقم 05: مثلث بناء السلام. 83

شكل رقم 06: الآثار المختلفة للإعلام في علاقته بتغير سياسة الطرف الثالث المتدخل عسكريا. 108

شكل رقم 07: العلاقة بين سيناريوهات النظام الدولي ومسارات التطورات الجارية. 150

شكل رقم 08: تفسير بنائي للسياسة الخارجية. 180

مقدّمة

إنّ "القيام بشيء ما" Doing something على أمل إنقاذ غير المواطنين Non-citizens من المعاناة القاسية سيؤدي، على الأرجح، إلى تهمة التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، بينما " القيام بلا شيء" Doing nothing سيفضي إلى اتهامات بـ "اللامبالاة الأخلاقية" Moral indifference؛ تلك هي معضلة " إنقاذ الغرباء" Saving strangers من تجاوزات حكوماتهم، والتي ظلّت مستعصية على التوافق رغم ما شهده الإطار المعياري من تطور ملحوظ.

التدخل الإنساني هو أحسن تفسير للصراع القائم بين " النظام والعدالة"؛ أي بين " تعددية وستفالية" ترى في استعمال القوة انتهاكا للقواعد الأساسية للسيادة وتهديدا لأخلاقيات التعايش السلمي الذي فرضه هيكل نظام ما بين الدول، و" تضامنية خَلاصِية" لا تقتصر تطلعاتها على تعزيز مسؤولية الدول الأخلاقية في حماية مواطنيها فحسب، بل بشكل أوسع إلى فرض نمط من الوصاية على حقوق الإنسان وفي كل مكان، لا تُستثنى من ذلك الدول التي توسم بأنها أكثر أنانية وذات أفقٍ ضيق، إذْ لن يكون في مقدورها تجاهل حقيقة أنّ أيّ مطلب قانوني من شأنه، بعد الحصول على الموافقة العامة، أن يفرض قيودا على نمط تصرفها الخاص.

إذًا، يستمد "التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية" قوّته من خطاب ثوري في مجال حقوق الإنسان؛ خطابٌ يَعد بالتحرر من الاستبداد ويتطلع إلى مستقبل مبنيٍّ على أسس مختلفة من مصالح الدول، فهناك ما بات يُنْبئ على أن ممارسات المجتمع الدولي الحديث باتت مستسيغةً أكثر من أي وقت مضى لأن يكون سلوك الحكومات محلّ فحصٍ دقيق، سواء من جانب نظيراتها أو من جانب المنظمات الدولية؛ غير أن هذه "اليقظة الضمائرية" ستفتح حتما نافذة واسعة من القلق الفكري بشأن مدى قدرتها في الحفاظ على الموازين الأخلاقية التعددية المتعارف عليها؛ إمبريقياً يحق لأنصار النزعة الإنسانية أن يحتفُوا ببعض الاستثناءات، فعلى سبيل المثال تدخّل الولايات المتحدة الأمريكية من أجل حماية "الأقلية اليزيدية" بطلبٍ من الحكومة العراقية توافقَ بشكل كامل مع مباديء "المسؤولية الدولية في الحماية" التي تبنّتها الجمعية العامة للأمم المتحدة بالإجماع سنة 2005؛ لا شكّ في أن ما وُسم آنذاك بـ "التدخل السّليم" The right intervention هو امتداد لتوجّهاتِ المنظومة الأخلاقية الكانطية التي صَنّفت الحالة اليزيدية في سياقٍ معياري مشابه لتجارب سابقة مستقاة من التدخلات الإنسانية في الصومال، شمال العراق وبدرجة أقل البوسنة وكوسوفو، غير أنه ليس من الضرورة أن ينسحب هذا الحكم على التدخل في ليبيا وما ترتّب عنه من معضلة في سوريا.

. أسباب اختيار الموضوع:

يمكن تلخيص دوافع اختيار البحث في "التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية" إلى:

عوامل ذاتية: تتمثل في اهتمام الباحث منذ مراحل التكوين الأولى بهذه المواضيع، ورغبةٍ خاصة في البحث عن المقاربات التي تحاول أن تصنع وشيجةً بين "الاستثناء" و"النظام القانوني"، أي أنّ المَلكة الفكرية للباحث تتحفّز للخطاب السياسي الذي يحاول أن يبرّر ما هو غير متواتر ومتعارف عليه في علاقات الدول والقانون الدولي.

عوامل موضوعية: تظهر في نزعة شكوكية متنامية تجاه "هيمنة المنهج" الذي لا يعدو أن يكون تطوّرا لـ "علاقة القوة بالمعرفة"، مقابل وجود قناعة شخصية بأن "الفوضى العلمية الخلّاقة" هي الضامن الوحيد لاستمرار ابتكارية العلم، خصوصا في ظل ما توافر من "معضلات فكرية وأخلاقية" باتت تواجهها النظريات الوضعية/ العقلانية، فمن الثابت أن المناهج الدراسية تَذكر، على سبيل المثال لا الحصر، أن الثورتين الأكثر عَظمة في القرن الثامن عشر هي الأمريكية والفرنسية، ولكن نادرا ما يتم استحضار "ثورة العبيد" The Slave Revolution في هاييتي سنة 1791؛ التي ربما تكون الوحيدة التي استوفت معايير الثورة الحقيقية؛ وبالمثل، فإن الفعل العسكري المبرَّر بحاجات إنسانية قد يكون مظهرا لانتصار "الأقوى" في حقبة معينة، هذا القوي كتبَ التاريخ ومارسَ "الأكاديمية" بما يتوافق مع هيمنته الميدانية، غير مبالٍ بإقصاء الآخر المختلف؛ إضافة لذلك يطمح البحث إلى توسيع قاعدة النقاش حول التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية بما يتناسق والفروقات الثقافية الموجودة وعدم حصره في الأدبيات المتداولة، بما يساهم في إثراء "المكتبات العربية" بمكاسب مفهوماتية وتيبولوجية، نادرا ما تكون متوافرة بسبب صعوبات الترجمة.

. أهمية الدراسة:

رغم أهميته القصوى وقرب أصحابه من هيئات صنع القرار في دول ذات وزن، لا يكاد الفكر السياسي غير الغربي (معاصرا كان أو قديما) أن يجد حضورا له في أغلب مناهج أقسام العلوم السياسية؛ فنادرا ما تستذكر البرامج الدراسية إسهامات الفيلسوف السياسي الصيني زهنغ بيجيان Zheng Bijiann أو الروسي ألكسندر دوغين Aleksander Dugin أو الياباني كينيشي أوماي Kenichi Ohmae وكذلك البرازيلي أولافو دو كارفالهو Olavo de Carvalho وحتى الكيني علي مزروعي Ali Mazrui؛ بناء عليه فإن تركيز هذا البحث على "المساهمات المهملة" Neglected contributions في حقل العلاقات الدولية من

شأنه أن يكون امتدادا لترسيخ الاعتقاد بأن "المدرسة الإنجليزية" و "ما بعد الكولونيالية" وحتى "النسوية" ليست مجرد صيحات" Screams في الحقل، وأن أشكال العلاقات بين الدول، بما فيها ممارسات التدخل الإنساني، كانت لتأخذ فُهوما غير تلك السائدة لو فُسح المجال أو رُدّ الاعتبار لهذه المساهمات.

يَدعم هذا البحث أحقية التلاقح بين تخصص العلاقات الدولية وباقي الحقول المعرفية؛ فعلم العلاقات الدولية " مؤسسة" (بتعبير أوليه ويفر Ole Waever) له قابلية استيعاب قصوى؛ حتى تلك النظريات التي تبدو من الوهلة الأولى أنها تتعارض بشدة مع التخصص، ستتناغم وتنسجم بمجرد تفعيل خاصية المأسسة؛ فمن الأهمية بمكان الاستزادة بإسهامات الفلاسفة (مايكل والزر، جون راولز، يورغن هابرماس، إزايا برلين) لإثراء نقاشات الفعل الإنساني.

. إشكالية البحث:

ظلّت مسوّغات التدخل المشروع في الشؤون الداخلية للدول ذات السيادة مقيّدة بعقيدة "المجتمع الدولي"؛ مع ذلك اجتمعت البراهين في فترة ما بعد الحرب الباردة لتؤكد صحة الآراء التي تعتقد بأن "الاعتبارات الإنسانية" قد تفوّقت في ظروف معينة، غير أن الأسس المعيارية المبرّرة لـ " التدخل الإنساني" عادت مرة أخرى لتكون أكثر تقييدا في مرحلة "ما بعد ليبيا"، وبشكل أدق في حالة "الأزمة السورية"، بناء عليه يعالج هذا البحث الإشكالية التالية: **هل تخضع القاعدة الناشئة " تسويغ التدخل المسلح باسم الدفاع عن حقوق الإنسان" إلى حسابات سياسية تمليها تعقيدات الجغرافيا، الحِقب الزمانية والقناعات الأيديولوجية، أم أن "قاسم الإنسانية المشترك" يستدعي بشكل دائم أُطرا اجتهادية وإجرائية تتجاوز تسوية سان فرانسيسكو لسنة 1945؟**

إن الإجابة عن هذه الإشكالية مشروط بتقديم تفسيرات مقنعة للأسئلة الفرعية التالية:

هل الدفاع عن حقوق الإنسان من منطلق القوة مدعاةٌ للاعتقاد بانبعاث "معيار حضاري" جديد في العلاقات الدولية تدعمه التباينات الجغرافية الواضحة؟

ما هي دلالات وجود الاصطفائية في " التدخلات الإنسانية"؟ وكيف أصاب ذلك " نظريات العلاقات الدولية" بـ " صدمة ثقافية"؟

لماذا أصرت الولايات المتحدة، فرنسا والمملكة المتحدة (P3) على إسقاط نظام القذّافي رغم تناقض هذا السلوك مع مقاصد التدخل الإنساني؟ وكيف يفسر غياب هذا "الحماس" في سوريا؟.

. فرضيات البحث:

يقوم هذا البحث على فرضيتين رئيسيتين يتطلب صلب الموضوع التأكد من صحّتهما:

. إنّ النزعة التضامنية في منظومة الأخلاق الدولية ملزمة بتحمل مسؤولية "صون حقوق الإنسان"، غير أنها ليست على استعداد للتضحية بقيم استقرار وديمومة القوى الكبرى مقابل إحقاق الحماية والعدالة الدولية.

. إن التّسويغ لتوسيع الأسس المُجيزة للتدخل الإنساني يُجابه على الدوام بقيدِ "عالمٍ تعددي".

منهجية البحث:

من المقولات الشائعة في أمريكا الشمالية (موطن نشأة تخصص العلاقات الدولية) أن المداخلة الأسوأ صيتا في تاريخ "المنهجية" هي مساهمة هيدلي بول Hedley Bull سنة 1996 الموسومة بـ "الحجة لمصلحة مقاربة كلاسيكية" The case for a classical approach، كانت هذه الحجة معارضة للتطبيق الصارم للأساليب العلمية والتي استشعر هيدلي بأنها ليست ذات فائدة علمية، في المقابل اقترح بول: "**المقاربة الكلاسيكية**" Classical approach أو:

" **الأسلوب التأويلي في التحقيق العلمي**" The interpretive mode of inquiry: الذي يستنبط من الفلسفة، التاريخ والقانون؛ ويجعل من "المنظومة السياسية العولمية" The global political system (الدول، المؤسسات، المنظمات غير الحكومية، الجماعات عبر أو دون القومية، الأفراد) وليس "العلاقات بين الدول" موضوعا للعلاقات الدولية، بناءً على ذلك لا يمكن لتخصص العلاقات الدولية أن يكون في معزل عن أهمية "الفهم التاريخي"، "القيم" و " المشروع المعياري".

يستند هذا البحث إلى حقيقة وجود قصورٍ وعواملِ أدلجةٍ في نظريات العلاقات الدولية (الأمريكية الشمالية) ظهرت بشكل بارز بعد نهاية الحرب الباردة، ويقرّ في ذات الوقت بأن "المنهجية التأويلية" أصبحت تلقى قبولا أوسع من ذي قبل، خصوصا بعد أن قام بول بتهذيب جوانبٍ منها كانت مثارا للجدل؛ لذلك لا خلاف في الأهمية البالغة للجوانب التاريخية والفلسفية لإدراك دبلوماسية حقوق الإنسان ومنطقية أساس تعزيز هذه الحقوق خارج الحدود وبوسائل تكون قسرية أحيانا.

"**مدخل التحليل الثقافي المقارن**": ساعد انبثاق سوسيولوجيا تاريخية، في سبعينات القرن العشرين، على مراجعة الرؤى المركزية لبناء الدولة؛ فقد أكّد كل من إيمانويل والرشتاين Immanuel Wallerstein،

Theda Skocpolو رينهارد بنديكس Reinhard Bendix ومؤخرا برتراند بادي Bertrand Badie على عدم اختزال تاريخ المجتمعات "غير الغربية" Non–western في مقولات " الحداثة السياسية"، ذلك لأن المفاهيم التي صِيغت لتفسير السلوك السياسي بالغرب قد تأخذ دلالات أخرى في فضاءات مختلفة، فمفهوم " البيروقراطية"، على سبيل المثال، يبدو ملائما للعقلانية أو الشرعية بالنسبة للأوروبي، غير أنه يقترن لدى الصيني بالقوة، إضافة إلى أن بناء الدولة في الغرب قد خضع لخصوصيات تاريخية وثقافية لا يمكن أن تنطبق على خصوصيات العالم الإسلامي، الصين أو المجتمعات الإفريقية؛ وبالمثل فإن "التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية" قد يختزل "معيارا حضاريا" مستجدًّا في علاقات الغرب بالآخر المختلف؛ معيارٌ يعمل على إحياء الروح الكولونيالية الاستعلائية مثلما يُبدع أصنافا شتى من" الإذلال" The humiliation أَلِفتها العلاقات الدولية.

"**المدخل الجنيالوجي**" **The genealogical approach**: تتطلب الجنيالوجيا Genealogy الكثير من الأناة والتوثيق، ذلك أن مآثرها تستدعي عناءً معرفيا يهتم بالحقائق الصغيرة التي تُبنى بمنهج صارم؛ عندما استخدم نيتشه Friedrich Nietzsche " جنيالوجيا الأخلاق" Zur genealogie der moral سنة 1887 لم يقصد بها "علم النسابة" أو " تقصي الأصل" كما عرّفتها بعض الأدبيات المنضوية تحت شعار البحث الجنيالوجي، بل وظّفها من زاوية إسقاط ومعارضة البحث التاريخي الميتافيزيقي المُشْبع بالدلالات المثالية والغائية؛ بمعنى آخر أن هذا البحث يجسد فرصةً لإحياء الحوار النيتشوي/ الكانطي حول " تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق" أو حدود ترجمة التدخل الإنساني كفعل أخلاقي مطلق.

"**مدخل تأريخ المعرفة**" **Historiography of Knowledge**: ممارسة العلاقات الدولية مرهونة بالنظرية المستخدمة، فلا مجال للتطلع إلى واقع " نقي" إذا تم حذف أو إقصاء النظرية؛ وسيكون وَهمًا إذا جرى مناقشة مسألة "التدخل الإنساني" كما لو كان يحددها إما " الممارسة" وإما "الحوار"؛ غير أنه مما أصبح متداولا " أن النظرية دوما لشخص ما ولهدف معين"؛ وبرأي فيلسوف علم العلاقات الدولية أوليه ويفر Ole waever فإن "المنظور الغربي، ولاسيما الأمريكي، غير مُجدٍ لقضايا العالم الثالث"، لذلك يسائل هذا المدخل ماضي ومستقبل التدخل الإنساني على ضوء هيمنة منظورات فكرية معينة، وفي ظل بوادر بروز بدائل مزاحمة ومنافسة.

مراجعة الأدبيات:

معظم الأدبيات الفاحصة لقاعدة " التدخل الإنساني" راهنت بشدة على الديناميكية التحولية لـ " القانون الدولي"، ومع الإقرار ببعض الاستثناءات، لم تتواجد سوى نسبة ضئيلة من الدراسات حاولت ردّ الاعتبار

لمقولة روزالين هيغنز Rosalyn Higgins " القانون هو تشابك السلطة مع القوة"، أو بتعبير إنيس كلود Inis Claude الشرعية مهمة لأصحاب القوة لأنها ستدعم مواقفهم وستجعلهم أكثر نفوذا، فما يهم هذا البحث هو التطلع إلى أبعد من التمييز بين سلطة قائمة على علاقات الهيمنة، وسلطة شرعية لأنها تستند إلى معايير مشتركة؛ بمعنى أن مجرد فرض اصطفاف بين "ما هو معلنٌ أخلاقيا" و "ما هو مُضمرٌ سياسيا" يعتبر في حد ذاته أمرا مستجدا لتوصيف ظاهرة التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية.

يشار في هذا الجانب إلى دراسة نيكولاس ويلر Nicholas J. Wheeler الموسومة بـ **Saving strangers: Humanitarian intervention in international society (2000)** والتي قارن فيها بين تدخلات إنسانية متباينة الأهداف والمآلات، فبينما مثّلت المناطق الآمنة في العراق" لحظة فارقة لانتصار التضامنية" كانت هناك "حدود ملتبسة وغير مفهومة" للتدخل الإنساني في البوسنة وكوسوفو، في حين جسّدت تدخلات أخرى انتصارا للواقعية على حساب "الإنسانية المشتركة"؛ وحدها المدرسة الإنجليزية ،حسب ويلر، قادرة على صياغة توليفة مشتركة تشرح هذه الاختلافات.

على نحو مشابه تَبرز دراسات الباحث بـ "جامعة تكساس" ألان كوبرمان Alan Kuperman، والذي فحص في **NATO's Intervention in Libya: A Humanitarian Success? (2013)** إصرار القوات المتدخلة على إسقاط نظام القذّافي رغم ما يحمله ذلك من دلالات على وجود تجاوز صريح لمباديء مسؤولية الحماية R2P، ما يأذن بولوج عصرٍ تكون فيه للمصالح السياسية الضيقة مكانة أسمى من أي اعتبارات أخلاقية؛ هذا العصر بدأت إشراقاته الأولى تلوح من الأزمة في سوريا، كوبرمان وبالاشتراك مع تيموتي كراوفورد Timothy W. Crawford في **Gambling on humanitarian intervention: moral hazard, rebellion and civil war (2006)** نبّه إلى الآفات الأخلاقية التي تنجرّ عن التدخلات الإنسانية؛ فتفاقم الحروب الأهلية وانتشار عدوى التمردات في مناطق ودول أخرى لا يمكن تفسيره إلا بغلبةٍ للحسابات السياسية على حساب " الحكمة المشتركة" The Common Wisdom التي سبق لها وأن انتصرت في بداية ومنتصف التسعينات.

تعكس خرائطية التدخلات The cartography of intervention فكرةً ما بعد كولونيالية؛ لمَ الشرق وليس الغرب؟ وبشكل أدق، لماذا دول إفريقيا تكون أكثر من غيرها عرضةً للتدخلات الإنسانية؟، أسئلة تحاول أن أورفورد Anne Orford الإجابة عنها في **Reading Humanitarian intervention: Human rights and the use of force in international law (2003)**، وضمنيًا روبرت جاكسون Robert Jackson في بعض من صفحات كتابه **ميثاق العولمة: سلوك الإنسان في عالم عامر**

بالدول (2003)، وتقنياً جون كابيا John M. Kabia في **Humanitarian intervention and conflict resolution in West Africa: From ECOMOG to ECOMIL (2009).**

يضاف لهذه السلسلة بعض الدراسات النقدية المنضوية تحت "فلسفة القانون الدولي" التي تعالج دغمائية وضبابية القواعد الآمرة Jus Cogens ما جعلها مطيّة للتعامل المزدوج من طرف القوى العالمية، من أمثلة ذلك توماس سيمون Thomas W. Simon في: **Genocide, Torture, and Terrorism: Ranking International Crimes and Justifying Humanitarian Intervention (2016).**

تبرير الخطة:

بغية ضبط الإشكالية، التساؤلات الفرعية والفرضيات السابقة تمّ تقسيم خطة البحث إلى ثلاثة فصول رئيسية:

يُعنى الفصل الأول بتقديم دراسة إبستمولوجية Epistemology لـ "التدخل الإنساني"؛ تُعرف الإبستمولوجيا على أنها تتبّع نقدي لمباديء العلم، فرضياته ونتائجه، تُسهم في كشف أساسه المنطقي وقيمه الموضوعية؛ أكثر من ذلك فإن الإبستمولوجيا تهتم بحالات معينة من التحولات ينتقل فيها الفكر، في مجرى تطوره، من مسعى لآخر؛ لذلك إبستمولوجيًا لا يصحّ أن تتوقف دراسة التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية على اللحظة الراهنة استنادا لغايته أو إطاره الخاص؛ بل، كما هو حال هذا الفصل، يجب أن يُنظر للحالة الراهنة للتدخل على أنه لحظة في التاريخ، وستتغير حتما في المستقبل بنفس الوتيرة التي تغيرت بها في الماضي؛ بناء عليه، وبعد تقديم "جيل جديد من المفاهيم" المتعلقة بالتدخل الإنساني يهتم هذا الفصل بتقصي الخلفيات الفلسفية لهذا المفهوم من أطروحات "الحروب العادلة" في العصر الوسيط إلى تجلّيات فكر الفيلسوف الليبرالي " مايكل والزر" انتهاءً إلى المناقشات الفلسفية/ النظرية.

يدرس الفصل الثاني من البحث صلة التدخل الإنساني بالمتغيرات الأربع الأكثر تأثيرا في مساره، والأبرز تفاعلا مع تطبيقاته وهي: منظمة الأمم المتحدة، الرأي العام، السيادة وحقوق الإنسان؛ إن التحول الدائم في هذه المؤثرات الأربعة يفسّر برغبة لدى "الإنسانيين" في مراعاة سياق "التسامي الكانطي" sublime Kantian غير أن هذا لا يعني البتة عدم وجود جوانب قصور في المعايير التي أفرزتها ديناميكية المؤثرات الأربعة بخصوص تحقيق العدالة الدولية، لذلك يتمحور الهدف الأخر لهذا الفصل في فحص "مقدرات الدراسات ما بعد الكولونيالية" الناقدة لـ "كانط"، ليس فقط بسبب الاعتقاد الشائع عند أكاديميي ما بعد الاستعمارية على أن كانط "عُنصري" لا يختلف في ذلك عن معاصريه، بل أن استدعاء الغرب لحقوق الإنسان فيه تشديد

على معالم حضارةٍ يقدّم فيها الغرب نفسه كـ "مُعلّم أخلاقي" Moral teacher يُرافع دروسا للآخرين في الأخلاقيات و أداب التعامل الدولي؛ بعبارة أخرى هذا الفصل يجسد حوارا بين "ما بعد الاستعمارية" و" المؤسساتية" .

يستعرض الفصل الثالث تأثير انتقال القوة على مستقبل ممارسة التدخل الإنساني، فالكون الذي وصفه أميتاف أشاريا Amitav Acharya بـ "النظام العالمي الأمريكي" American world order لم يعد كذلك؛ ظهرت مقاربات جديدة للتدخل الإنساني دافعت عنها الصين، روسيا وباقي دول مجموعة بريكس Brics، خصوصا أن إسقاط نظام القذّافي مثّل تجاوزا صريحا لأساسيات " المسؤولية عن الحماية" Responsibility to protect (R2P)؛ معالم هذا التحول بدأت تتضح في معضلة التدخل الإنساني في سوريا، غير أن هناك من أرجع الإحجام الأمريكي عن التدخل في الشرق الأوسط إلى دواعي سياسية معقّدة، لا صلة لها بتغوّل القوى الناهضة.

الفصل الأول:

التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية:
مدخل إبستمولوجي

تُسجّل الأخلاقيات Ethics اليوم عودة إلى مسرح الفكر، أين ترتسم معالم حكمة عملية تسعى لأخذ العِبر من الأحداث المأساوية وتبحث بشكل مستمر عن سبل تنشئة إنسان عصري متحرر من الأيديولوجيات، يأخذ على عاتقه مستقبل الإنسانية.[1]

تشكّل الأخلاقيات جزءا حيويا من جسم المعرفة، ولعلها أكثر الطرق منطقا واستدامة في سبيل الإجابة عن السؤال الفلسفي الكلاسيكي " كيف يجب أن نعيش؟" How should we live؛ ذلك هو السؤال الذي طرحه سقراط في كتاب تلميذه أفلاطون "الجمهورية" The republic، وهو ذاته الذي حاول فلاسفة الصين القدامى الإجابة عليه (كونفوشيوس Confucius، منسيوس Mencius، مو تزو Mo Tzu ، شن تزو Shen Tzu).[2]

طيلة القرن الماضي ظلّت الحرب معضلة أخلاقية تحمل جملة من الحقائق والارتدادات السلبية، ومع نهاية فترة الصراع الأيديولوجي بين المعسكرين الشرقي/ الغربي زالت حالة اليقين الإستراتيجي وأصبحت الحروب تُشن نتيجة "الاختيار" أكثر منها للدفاع عن الأراضي، ومن ثَمّ باتت هناك حاجة ملحة، أكثر من أي وقت مضى، لاستحضار وضوحٍ أخلاقي في ما يتعلق بتوقيت ومكان الحرب، كيفية مباشرتها وكذا إنهائها؛ وعلى الرغم من أن هناك حججا قوية تدعم مقولة الانفصال بين الحرب والأخلاقيات كتلك التي ذهب إليها ثيودور درابر Theodore Draper *، إلا أن هذا لا يعني استثناءات عويصة ظلت مصدر قلق لمُستلهمي الفكر النخبوي، إذ يوضّح آدم روبرتس Adam Roberts "جرت جميع حوادث إبادة الجنس والتطهير العرقي في القرن العشرين في أثناء حروب كبرى أو بعدها مباشرة، فأشكال الفوضى والأحقاد التي تنفّلت من عقالها زمن الحرب والسرية التي لازمت ظروفها، استطاعت أن توفر الشروط الضرورية اللازمة لمثل تلك القسوة والوحشية الجماعيتين"[3]، لذلك فإن الجدل حول التدخل الإنساني لا يكتسب أهميته من تلك المناظرة بين أولئك المهتمين بحقوق الإنسان من جهة وغيرهم الذين يُتهمون باللامبالاة وعدم الإنسانية من جهة ثانية؛ صحيح أن الحيلولة دون

---

[1] . جاكلين روس: " **مغامرة الفكر الأوروبي: قصة الأفكار الغربية**". ترجمة: أمل ديبو، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، 2011، ص 408.

[2] - C.A. J Coady: **«The ethics of armed humanitarian intervention». Washington** : United States institute of peace, 1 st published, July 2002, p 13.

* . ثيودور درابر (1912 . 2006) مؤرخ وناقد اجتماعي، والممثل الأخير لجيل المثقفين الذي حاضر دون انتماء أكاديمي أو تفويض رسمي، من مقولاته المعارضة للأخلاق أثناء النقاش حول الأسلحة النووية " إذا كان من اللازم عض ألسنتنا قبل النطق بكلمة واحدة في هذه المناقشة، فإن تلك الكلمة هي ' الأخلاق' ". انظر :ديفيد فيشر:" **الأخلاقيات والحرب: هل يمكن أن تكون الحرب عادلة في القرن الحادي والعشرين؟**". ترجمة: عماد عواد، الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2014، ص 29.

[3] - Adam Roberts: **«NATO's humanitarian war over Kosovo».** Survival : Global politics and strategy. Vol 41, No 3, Autumn 1999, p 114.

تفاقم ازدراء البشر مسألة ذات شأن إلا أن قيمتها تتضاءل أمام الجدل الرئيسي المتمركز حول القيم الأساسية للمجتمع الدولي، خصوصا أن فعل التدخل الإنساني دائما ما يشكل صداما صارخا بين النظام والعدالة Clash between order and justice، فأي محاولة فردية لتعزيز العدالة تكون لها عواقب على النظام الدولي، في حين أن درجة اللا عدالة يجسدها جسم النظام القائم [4].

إن الإمساك بخيوط هذه المعضلة الشائكة يستدعي سبر مختلف الخلفيات الثقافية والفلسفية والحضارية التي ساهمت في صياغة مفهوم التدخل الإنساني على نحو ساهم في تشكيل فريقين متضاربين، فأي الطرفين سيفرض منطقه حين تتصادم معايير سيادة الدولة التعددية مع حقوق الإنسان التضامنية؟

المبحث الأول: النطاق المفاهيمي . الفلسفي للتدخل الإنساني

مع بلوغ القرن العشرين خواتيمه تفجّرت الطاقة التقدمية للعلوم الطبيعية وفاقت كل المعدلات المألوفة، ورغم صعوبة وضع تعريف شامل للفيزياء و الكيمياء، فإنه من غير المرجّح أن تبرز الاتهامات المباشرة بالإخفاق في فهم المشكلة أو الافتقار للموضوعية العلمية أو طرح فرضيات غير مبررة، وهو الأمر غير الوارد مع باحث علم السياسة، ويتّصل مكمن هذه المعضلة بشكل رئيسي بما إذا كان الباحث يتعاطى مع السياسة باعتبارها نشاطا بشريا أو علما أكاديميا؛ مبدئيا؛ قد يُروج لـ: أن البحث عن حقيقة ممارسة البشر للسلطة قد يكون منفصلا عن السلوك الفعلي الهادف لممارستها، ولكن عمليا، كانت الأفكار السياسية من أهم الأسلحة في ترسانة رجل السياسة[5]؛ ما يستوجب فحص" البعد الغائي" The teleological dimension لمفهوم "التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية"، ليس فقط بسبب " أزمة المفهوم" الشائعة في العلوم السياسية، أو بسبب "علاقة السلطة بالمعرفة" المهددة لروح التجديد والإبداع الابتكارية في العلم، بل أيضا لأن أي محاولة لتجاهل ذلك ستجعل من أي "أيديولوجية" سياسية مثيرة للجدل حقيقة سياسية لا جدال فيها.

المطلب الأول: مقاربة معرفية حول التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية

يثير "التدخل" في السياسة العالمية أسئلة بالغة التعقيد على الصعيد الأخلاقي، ويُرجع مارتن وايتMartin Wight، في أواخر سبعينات القرن الماضي، ذلك إلى تباين التفسيرات لهذه الظاهرة تماما

---

[4] - Wheeler. N.J : « **Saving strangers : Humanitarian intervention in international society** ». Oxford : Oxford university press, 2000, p28.

[5] . ستيفن دي تانسي: " **علم السياسية: الأسس**". ترجمة: رشا جمال، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2012، ص، ص 33، 34.

كما تتباين العقائد السياسية، فهو مبرر (حسب كل عقيدة) في ظروف معينة فقط، وغير مبرر إن لم تتوافر مثل تلك الظروف[6] ؛ وبتسليط الضوء على التدخلات الإنسانية المتنامية في فترة ما بعد الحرب الباردة سيتضح أن مسائل إعلاء شأن حقوق الإنسان ومعاقبة منتهكيها وحظر بيع الأسلحة إلى المناطق المضطربة لا زالت موضع جدل ونقاش كبيرين سواء في دوائر المعرفة أو دوائر الحكومات، فقد صرح وزير الخارجية البريطاني روبن كوك Robin Cook سنة 1997 "أن بريطانيا ستبادر إلى بلورة وصياغة سياسة خارجية ذات بعد أخلاقي، وبما أن حقوق الإنسان أضحت هاجسا مركزيا للسياسة الخارجية البريطانية ستتم إعادة النظر في مبيعات الأسلحة لضمان عدم تمكين أي حكومات أجنبية من استعمالها على نحو يخنق حريات مواطنيها"، وفي خطابه عن حالة الاتحاد سنة 1994 تحدث الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون Bill Clinton على إعلاء الديمقراطية كشأن حاسم وهادف للسياسة الخارجية الأمريكية، وفي وقت أقر فيه الاتحاد الأوروبي شرعةً حقوقية في سياق علاقاته مع بلدان العالم الثالث، بادرت أغلب الدول إلى الموافقة على تأسيس محكمة دولية للجرائم سنة 1997، تكون مخولة بمتابعة مقترفي جرائم الحرب والإبادة ضد الإنسانية[7]، وبعيدا عن أي تماهي مع الفلسفة المجردة تبقى دراسة الأخلاق الدولية، بتعبير ستانلي هوفمان Stanley Hoffman، من اختصاص باحث العلاقات الدولية وليس فيلسوف الأخلاق.[8]

الفرع 1 . مفهوم التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية

أسهم مفكرو عصر النهضة الإيطالية في القرن الخامس عشر بتطوير المذهب الإنساني أو ما اصطلح عليه شيشرون Cicero تسمية Studia Humanitatis، ففي عام 1458 تنامى شعور من الغضب على آل ميديتشي* Medici family خاصة عندما قام كوزيمو** Cosimo de'medici بأول تحرك حاسم نحو

---

[6] - Martin Wight and others: **«Power politics»**. London : Leicester university press, 1995, p 191.

[7] - Karen E. Smith and Margot Light: **«Ethics and foreign policy».** U. K : Cambridge university press, 2001, p.p. 7, 8.

[8] . روبرت جاكسون: " **ميثاق العولمة: سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول**". ترجمة: فاضل جتكر، الرياض: العبيكان، ط1، 2003، ص 455.

* . من العائلات الشهيرة الحاكمة في فلورنسا Florence بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر، وقد قام نيكولو ميكيافيلي بإهداء كتابه " الأمير" إلى أحد أفراد العائلة وهو " لورينزو دي ميديتشي" المعروف بـ " لورينزو الباهر أو الماجد"، وتُعرف هذه العائلة عند الفرنسيين بـ " ميديسيس" Maison de Médicis وذلك لأنها أنجبت اثنتين من أشهر ملكات فرنسا، هما: كاترين وَ ماري دي ميديسيس، انظر في ذلك: لويس عوض: " **ثورة الفكر في عصر النهضة الأوروبية**". القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط1، 1987، ص 106.

** . كوزيمو دو ميديتشي (1389 . 1469) أول حكام فلورنسا من سلالة دي ميديتشي، تمتع بمواهب تجارية ومصرفية وفّرت السيولة المالية للأسرة وجعلتها الأغنى في أوروبا، انظر: لويس عوض: " **ثورة الفكر في عصر النهضة الأوروبية**". مرجع سابق، ص 115.

فرض نظام استبدادي، ذلك ما حذا بمجموعة من الكتاب على الرد بإحياء أيديولوجيا المذهب الإنساني المدني، ومن أوائل هؤلاء فرانسيسكو باتريزي Francesco Patrizi (1413 . 1492) عبر بحثه" تأسيس جمهورية"The institution of a republic ، وإلى جانب الإنسانيين كان للحركة الفكرية السكولاستيكية Scolastique دورا محوريا في إعادة بعث المفهوم الأرسطي للأخلاق النيقوماخية Nicomachean ethics (نسبة لـ أرسطو Aristote).[9]

جوبهت محاولات إعادة إحياء مفاهيم الفضيلة والسعادة بانتقادات حادة من طرف ناصحي الأمراء أصحاب الفكر الغائيTeleological thinking وفي مقدمتهم نيقولو مكيافيللي Niccolo Machiavelli الذي عكف على إرشاد الساسة إلى أفضل طرق النجاح والنجاة في عالم مضطرب وخطر، عالم أناس بعيدين عن الكمال فكريا وساقطين أخلاقيا، فالسلوك الغائي متوقع بشدة في أي نوع من النشاط الإنساني لا سيما الدولي منه[10]، والتدخل العسكري المتذرع بدوافع أخلاقية وإنسانية في العصر الحديث أحسن مثال يسوّق التجاذبات الفكرية القديمة بين منهاجي الغائية / اللا غائية.

يمكن التمييز بين اتجاهين تقليديين في تعريف التدخل العسكري لاعتبارت إنسانية[11]:

الأول: يربط مفهوم التدخل الإنساني بحالات الدفاع الشرعي عن النفس، وذلك لحماية رعايا الدولة المتدخِلة بحكم رابطة الجنسية.

الثاني: يستدعي استخدام القوة المسلحة لوقف حالات الانتهاك المنظم والإبادات الجماعية بحق الإنسان.

ارتبط التدخل الإنساني في العلاقات الدولية، خصوصا بعد الحرب العالمية الأولى، بمبدأ حماية الأقليات، وتم تصوير هذا التدخل حينها كبديل يتم اللجوء إليه في حالة إخفاق الأساليب الأخرى المتعارف عليها، ومن بينها: قاعدة الحد الأدنى في معاملة الأجانب Minimum treatment of aliens ونظام الامتيازات الأجنبية ومبدأ الحماية الدبلوماسية، فلوقت قريب كان استعمال التدخل بالقوة المسلحة أو باقي

---

[9] . كوينتن سكنر: " **أسس الفكر السياسي الحديث: عصر النهضة**". ج1، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2012، ص، ص 35، 247، 288.

[10] . روبرت جاكسون: " **ميثاق العولمة: سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول**". مرجع سابق، ص 83.

[11] . محمد يعقوب عبد الرحمن: " **التدخل الإنساني في العلاقات الدولية**". أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1، 2004، ص 22.

الإجراءات القسرية يستهدف بشكل حصري توفير الحماية لرعايا الدول المتدخِلة دون غيرها[12]، إلا أن رؤى التيار الأول لم تتسع في الممارسة لكثير من الإجماع والتوافق، فقد أكدت محكمة العدل الدولية في قضيتي Panevezys Saldutiskisوَ Barcelona Traction *أن قواعد القانون الدولي تسمح للدولة بحماية رعاياها وفق ما تقتضيه الدبلوماسية (وفقط)، وبالتالي لا يعدو اللجوء للتدخل الإنساني إلا أن يكون حالة غير مشروعة لاستخدام القوة، وهو ما فسح المجال واسعا لتداول رؤى وتوجهات الاتجاه الثاني الذي تماشت أطروحاته مع ما تم إقراره من اتفاقيات ومواثيق عالمية وإقليمية رفعت من مسألة حقوق الإنسان إلى مصاف المتغيرات الحاكمة للتنظيم الدولي (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948، اتفاقيات جنيف الأربعة 1949، العهدين الدوليين للحقوق المدنية والسياسية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية 1966، الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان 1950).

يعرف توني كوادي C. A.J (Tony) Coady التدخل باعتباره عملا مقصودا من دولة واحدة أو مجموعة دول أو وكالة دولية يستهدف ممارسة سلطة تتجاوز ما يكون في العادة "سياسات داخلية" لدولة أو مجموعة دول أخرى[13] .

التدخل الإنساني حسب ويل فيروي Wil Verwey هو التهديد أو استخدام القوة من جانب دولة واحدة أو مجموعة دول لغرض وحيد يتمثل في منع المذابح ووضع حد للانتهاكات الخطيرة التي تمس حقوق الإنسان، خاصة تلك التي توسم على أنها أساسية، ولا سيما الحق في حياة الأشخاص بغض النظر عن جنسياتهم، وهذه الحماية تفرض نفسها بصفة تلقائية دون إذن الأجهزة المختصة في الأمم المتحدة، ولا إذن من الحكومة الشرعية في الدولة المستهدفة.[14]

يرى هولزغريفه J.L Holzgrefe أن التدخل الإنساني هو التهديد أو استخدام القوة من دولة أو مجموعة دول بهدف منع أو إنهاء الانتهاك الواسع والخطير لحقوق الإنسان الأساسية، دون أن يُشترط في ذلك موافقة

---

[12] . أحمد الرشيدي: " **المنظمات الدولية الإقليمية والدور الجديد للأمم المتحدة في النظام الدولي**". في: الأمم المتحدة: ضرورات الإصلاح بعد نصف قرن، وجهة نظر عربية. تحرير: جميل مطر وَ علي الدين هلال، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، سبتمبر 1996، ص 242.

* . صدر قرار المحكمة بشأن قضية السكك الحديدية بانيفيزيس سالدوتيسكيس في 28 فيفري 1939، أما بخصوص شركة برشلونة للجر والإنارة فقد صدر في فيفري 1970، وفي كلتا القضيتين أكدت المحكمة على أن جنسية المتضرر هي الشرط الأول لقيام "الحماية الدبلوماسية".

[13] - C.A. J Coady: **«The ethics of armed humanitarian intervention». Washington** : United States institute of peace, 1 st published, July 2002, p 10.

[14] - John M. Kabia: **«Humanitarian intervention and conflict resolution in West Africa: From ECOMOG to ECOMIL».** U.k : Ashgate Publishing limited, 2009, p10.

الدولة التي يشهد إقليمها مثل هذه الممارسات، ويضيف هولزغريفه أنه تَعمد في تعريفه إقصاء نمطين تقليديين كان يُستند لهما على المدى الطويل في إيضاح مفهوم التدخل الإنساني:

الأول: التدخلات غير القسرية كالتهديد أو استخدام العقوبات الدبلوماسية والاقتصادية؛ الثاني: التدخلات الإكراهية التي تقتصر على حماية أو إنقاذ رعايا الدولة أو الدول المتدخِلة؛ وهذا لا يعني، حسب هولزغريفه، أن شرعية وأخلاقية النوعين السابقين غير مهمة وغير ضرورية، وإنما لأن استخدام الدول للقوة لحماية حقوق الإنسان أضحت هي المسألة الأكثر إلحاحا.[15]

في سياق متصل يعرف ويلسون روبيرتس Guy Wilson Roberts التدخل الإنساني على أنه عملية تدخل مسلح في دولة أخرى دون موافقة تلك الدولة، وهذا للتصدي لتهديد وقوع كارثة إنسانية، سيما إذا كان هناك انتهاك واسع أو ضيق لحقوق الإنسان الأساسية[16]، أما ميرفين فروست Mervyn Frost فيتجه إلى تسويق مسوّغ مغاير لطرح سابقيه فيما يتعلق بتعريف التدخل الإنساني، حيث يتعين على الدولة أن توفر هوامش الحرية والحركة للمجتمع المدني، وإن مراعاة مبدأ عدم التدخل مشروط ببقاء الدولة ملتزمة بإبداء الاحترام الواجب لمبدأ عدم التدخل في تعاملها مع المجتمع المدني، فإذا لم تُبد الدولة احتراما لهذا المبدأ يصبح حينها معيار عدم التدخل الدولي عاجزا عن الصمود[17]، في حين لم يتوقف سابان كارداس Saban Kardas في تعريفه للتدخل الإنساني على عدم موافقة الدولة محل التدخل مثل سابقيه، بل يضيف أن غياب تفويض من مجلس الأمن لا يشكل عائقا أمام إتمام إجراءات التدخل.[18]

يدفع هذا الجيل الجديد من التعريفات المتداولة لمفهوم "التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية" إلى فتح نافذة من القلق الفكري، فالإحاطة بالإشكاليات الحقيقية لكلفة التدخل المتمثلة فيما ينجرّ عنه من معضلات أخلاقية لا زالت عارية، أو على الأقل لم ترق بعد لتكون معبّرة عن الحقائق، كما أن محاولات التعريف هذه لا تخلو من خلفيات أيديولوجية من جهة، تتداخل فيها علاقة السلطة بإنتاج المعرفة من جهة ثانية، إضافة إلى أنها تشكّل امتدادا لتصور مركزي للتدخل من جهة ثالثة.

---

[15] - J.L. Holzgrefe **«The humanitarian intervention debate»**. In : J.L. Holzgrefe and Robert O. Keohane : Humanitarian intervention : ethical, legal, and political dilemmas. U.K : Cambridge university press. 1 st published, 2003, p 18.

[16] - Guy Wilson Roberts: **«Humanitarian intervention: definitions and criteria».** Wellington : Centre for strategic studies. Strategic briefing papers, Volume 3, part 1, June 2000, p1.

[17] - Karen E. Smith and Margot Light: **«Ethics and foreign policy».** Op. Cit, p 16.

[18] - Saban Kardas: «Humanitarian **intervention: a conceptual analysis».** Turkey : Alternatives : Turkish journal of international relations. Volume 2, number 2 and 3, fall and winter 2003, p 1.

يَعتبر فيلسوف العلم كارل بوبر Karl Popper أن التفكير الأيديولوجي يقع على النقيض مع التفكير العلمي لأنه ينتج نظاما فكريا شاملا ومغلقا، ويبدو دوما عاجزا عن طرح فرضيات قابلة للتفنيد، بل هو نظام لا يمكن دحضه فعليا إذ هناك شرح داخل الأيديولوجيا ذاتها لأي انحرافات ظاهرة عن تنبؤاتها، فالثورة قد تكون أمرا وشيك الحدوث عند الماركسيين، ولكن إن فشلت توقعاتهم فسيرجعون السبب إلى تعرضها للخيانة أو أن الرأسمالية وجدت منافذا جديدة لفوائضها[19]، وبالمثل فإن واضعي الجيل الحديث من مفاهيم التدخل الإنساني لا يحملون منطقا تبريريا جادا لأسباب الارتدادات السلبية للتدخلات العسكرية في البوسنة (مجزرة سربرينيتشا)* و ليبيا(تمدد العنف والخسائر البشرية)** بالمقابل من ذلك يسترسلون في استصغار النتائج بلغة تطمينية، ولعل الدراسة الموسومة بـ "القِصر: حياة غير سعيدة للحرب الإنسانية"[20] لـ تشارلز كروثامر Charles krauthammer توحي بعواقب التدخل الإنساني غير المدروسة، وإن كان المضمون لا يتفق مع ذلك ضرورة.

كثيرا ما يكون عمل الأكاديميين موجها لمساعدة صناع السياسات، وفي ذلك يرى ماثيو جايكوبز Matthew F. Jacobs أن الشخص الأكاديمي المثقف غالبا ما يرى نفسه مسؤولا عن اكتساب وإكساب القطاع العريض من المجتمع ما يسمى بـ " المعرفة من أجل القوة الكوكبية"[21]، وإن كان إخضاع المعرفة للسلطة في الاتحاد الأوروبي ،مثلا، كان بدافع منافسة المزايا الجوهرية التي توفرها مراكز البحث التابعة للشركات الخاصة*، فإن الأمر في الولايات المتحدة الأمريكية يختلف جذريا، إذ أنه يرتبط في المقام الأول بفكرة واقع ومستقبل "الإمبراطورية الأمريكية" كتجربة مميزة في الحاضر وعبر التاريخ في الدفاع عن الفضائل

---

[19] . ستيفن دي تانسي: " **علم السياسية: الأسس**". مرجع سابق، ص، ص 131، 132.

* . في شهر جويلية من عام 1995 تجمع نحو عشرة آلاف من البوسنة المسلمين الذين يقيمون فيما أطلق عليه مجلس الأمن تسمية " الملجأ الآمن" Safe haven في سربرينيتشا، حيث تم أخذهم إلى الخارج وقُتلوا بصفة منتظمة في أيام قليلة بواسطة جيش البوسنة الصربي. انظر: فرانسيس بويل: " **تدمير النظام العالمي: الإمبريالية الأمريكية في الشرق الأوسط قبل وبعد 11 سبتمبر**". ترجمة: سمير كريم، القاهرة: المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2004، ص، ص 206، 207.

** - انظر في ذلك مثلا:

Alan J. Kuperman : **« Obama's Libya debacle : How a well- meaning intervention ended in failure »**. Foreign affairs. March/ April 2015.

[20] - Charles Krauthammer: **«The short, unhappy life of humanitarian war».** The national interest. No 57, fall 1999, p, p 5,8.

[21] . ماثيو أف جايكوبز: " **المعرفة في خدمة الهيمنة**". ترجمة: فاطمة نصر، مصر: سطور الجديدة، ط1، 2011، ص 17.

* - لمزيد من المعلومات حول علاقة السلطة بالمعرفة في الاتحاد الأوروبي، راجع: فيتوريو أولجياتي: " **نحو إعادة تشكيل الجماعات المعرفية في أوروبا**". في: دول وعولمة: إستراتيجيات وأدوار، إشراف: لورينا بارينى، ترجمة: نانيس حسن عبد الوهاب. القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2007، ص. ص 203، 232.

الجمهورية والحرية والتقدم المنهجي، وامتدادا لذلك فإن كل الصيغ التقليدية لتفسير الأمن و التي انحصرت في وقت مضى في إيجاد مخارج مناسبة لمجابهة تهديدات المد الشيوعي للقيم الليبرالية (مما ساهم في إقصاء شرائح واسعة من الإنسانية)[22]، قد تم إعادة بلورتها (على الأقل وفق ما يُستشف من الجيل الجديد في تعريف التدخلات الإنسانية) على نحو يكفل استمرارية هذه القيم أو يزيد من قوة صلابتها.

لا خلاف في أن الدولة أُقحمت اليوم في شبكة عالمية معقدة من العلاقات الاقتصادية / الاجتماعية العابرة للحدود القومية، بما يثير جملة من التساؤلات العريضة حول مدى الاستقلال الذاتي للدولة، إلا أن تصور جملة التعاملات الاقتصادية / الاجتماعية كشكل من أشكال التدخل سيكون، حسب ما يرى روبرت جاكسون Robert Jackson باعثا على التشويش والانخداع، لذلك، وكفرضية مبدئية، لا يمكن فهم التدخل فهما متماسكا إلا باعتباره تدخلا قسريا أو عنيفا في الاستقلال الحقوقي للدول، ذلك هو التعريف الكلاسيكي الذي استوعبه هيدلي بول Hedley Bull وجون فنسنت Raymond Jhon Vincent قبل عقود قليلة: " إنه قيام دولة ذات سيادة، مجموعة دول سيادية أو منظمة دولية بتدخل، ينطوي على التهديد بالقوة أو استخدامها أو أية وسيلة إكراه أخرى، في الشؤون الداخلية لإحدى الدول المستقلة 'رغمًا' عن إرادة ورغبة حكومة هذه الدولة".[23]

إن وجود دول سيادية مستقلة دستوريا ذات علاقات خارجية يمكن وسمها بـ "مجتمع دولي"، فتح الطريق واسعا لبروز إشكال معياري يتصل بكافة أنواع التدخل، بما فيها ذلك الذي يكون من منطلقات إنسانية، وإذا كانت الضرورة الزمنية تقتضي أن تُعطى الأولوية لحقوق الإنسان في أي حالة طارئة، فلا بد، تبعا لذلك، من أسباب وجيهة (وأحيانا قاهرة) تجيز التدخل في الحقوق السيادية للدولة ومواطنيها؛ ذلك ما أسماه أندرو لينكلاتر Andrew Linklater بـ "عبء البرهان" Burden of proof.[24]

الفرع 2 . عبء البرهان

للدولة السيادية حق في إبداء المجتمع الدولي احتراما لإرادتها، ويستتبع ذلك واجب مراعاة هذا الحق من سائر الدول ما لم تكن هناك أسباب وجيهة تدعو للشذوذ عن القاعدة، فعدم التدخل هو المبدأ وعمليات التدخل هي التي تحتاج إلى تبرير، وبالتالي فالتدخل عمل استثنائي يحتاج إلى توافر أسباب وجيهة قادرة

---

[22] . عادل زقاغ: " **إدارة النزاعات الإثنية لفترة ما بعد الحرب الباردة: دور الطرف الثالث**". مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلاقات الدولية. باتنة: قسم العلوم السياسية، 2004، ص 61.

[23] . روبرت جاكسون: " **ميثاق العولمة: سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول**". مرجع سابق، ص. ص 454، 456، 457.

[24] - Andrew Linklater: «**The transformation of political community: Ethical foundations of the post-Westphalian era». U**.S.A : University of South Carolina Press, 1999, p156.

على تسويغ مثل هذا العمل، ويمكن تلخيص المسوغات الراهنة لتجاوز القاعدة الأساس في ثلاث نقاط رئيسية: (أ) . حماية السلم والأمن الدوليين أو الأمن القومي. (ب) . الموافقة: يتم التدخل بطلب من الحكومة الشرعية للدولة الهدف بغية مساعدتها أو تمكينها من الدفاع عن نفسها ضد عصيان مسلح. (ج) . التدخل لحماية شرائح واسعة من سكان البلد الهدف من مظالم خطيرة صادرة عن الحكومة نفسها أو عن متمردين معادين للحكومة (النزعة الإنسانية).[25]

لعل أكثر أشكال التدخل إثارة للجدل في السنوات الأخيرة ذلك المتعلق بإمكانية تدخل دولة بشكل مشروع في شؤون دولة أخرى (حتى إن تطلب الأمر استخدام القوة العسكرية) من أجل حماية أرواح المواطنين دون اشتراط الحصول على موافقة تلك الدولة، ويمكن تحويل هذا الطرح إلى التساؤل التالي: هل هناك حق للتدخل الإنساني حتى وإن كان ذلك من دون التراضي المتبادل مع الطرف الآخر؟[26] .

لا يولي ستانلي هوفمان أهمية كبيرة لتوفر عنصر الموافقة من عدمه في حالات التدخل الإنساني، سواء كانت هذه الموافقة صادرة عن الدولة المستهدفة أو عن المجتمع الدولي ممثلا على الأخص في مجلس الأمن، وذلك لأن الموافقة ليست دائما طوعية أو حقيقية، فقد تتحول الموافقة المبدئية إلى استياء وعداء في وقت لاحق، كما أنها لا ترقى لأن تكون معيارا يفصل الجوانب السياسية عن الأخلاقية[27]، فعندما تدخلت الهند في باكستان الشرقية (بنغلاديش حاليا) سنة 1971 لمنع التجاوزات المرتكبة في حق الشعب البنغالي من قبل جيش باكستان الغربية، سعت الحكومة الهندية في البداية إلى تبرير عملها على أسس إنسانية، بيد أن تبريرها لم يلق موافقة وقبول وتعاطف مجلس الأمن، وسرعان ما سارعت إلى تغيير موقفها بشكل مطاطي مبررة عملها بالدفاع عن النفس، في إشارة إلى صد هجوم الأعداد الضخمة من اللاجئين الفارين إلى الهند من باكستان الشرقية.[28]

تبقى الموافقة هي القاعدة الوقائية للدول الضعيفة المتحررة من قبضة الاستعمار، ويظل التدخل الإنساني قاعدة خلافية إلى أقصى حد بين الحكومات التي توصف على أنها لا ديمقراطية تسلطية إلا أنها غيورة على سيادتها وميالة في العادة إلى إعلان الأولوية المطلقة لحق الموافقة، وبين أولئك الرافضين لفكرة أن حدود الدول بمثابة حواجز لا يمكن تخطيها في حين يتم غض الطرف عن ممارسات التعذيب وعمليات

---

[25] . روبرت جاكسون: " **ميثاق العولمة: سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول**". مرجع سابق، ص. ص 458، 459.

[26] . ديفيد فيشر:" **الأخلاقيات والحرب: هل يمكن أن تكون الحرب عادلة في القرن الحادي والعشرين؟**". مرجع سابق، ص 322.

[27] - Stanley Hoffman: **«World disorders: troubled peace in the post - cold war era». U**.S.A : Rowman and Littlefield publishers, 1998. P 153.

[28] - ديفيد فيشر:" **الأخلاقيات والحرب: هل يمكن أن تكون الحرب عادلة في القرن الحادي والعشرين؟**". مرجع سابق، ص 326.

الإبادة الواسعة التي تجري داخلها، فالمغالاة في إبداء الاحترام للاختصاص الداخلي للدولة ليس ضمانا مؤكدا على أن العالم سيتجنب رواندا جديدة*، ذلك فحوى ما عناه توني بلير Tony Blair بـ " عقيدة المجتمع الدولي" Doctrine of the international community أثناء خطاب له أمام النادي الاقتصادي في شيكاغو.[29]

في سنة 2000 دعا سياسيون كنديون (دون هيبرت Don Hubert وَ هايدي هولان Heidi Hulan وَ جيل سينكلار Jill Sinclair) إلى تأسيس "لجنة دولية للتدخل الإنساني" International commission on humanitarian intervention واعترف وزير الخارجية الكندي للويد أكسوورثي Lloyd Axworthy أن أي لجنة من هذا القبيل حتى تكون ذات فعالية فإنها تحتاج إلى رعاية صارمة، وفي مؤتمر الألفية الذي عُقد في سبتمبر من سنة 2000 أعلن رئيس الوزراء الكندي جون كريتيان Jhon Chrétien عن إنشاء لجنة دولية معنية بالتدخل والسيادة International commission on intervention and state sovereignty (ICISS) من أولوياتها دعم نقاش عالمي شامل حول العلاقة بين التدخل وسيادة الدول، يقوم على أساس التوفيق بين واجب المجتمع الدولي الذي تدعوه الضرورة للتدخل بحال حدوث انتهاكات واسعة للقواعد الإنسانية وبين الحاجة لاحترام سيادة الدول، وقد تم تعديل اسم اللجنة الذي اقترحه أكسوورثي تفاديا لاختلاق حساسيات سياسية تتعلق بالمصطلحات اللغوية أساسا[30]، وفي ديسمبر 2001 انتهت اللجنة من عمل تقرير عُنون فصله الثامن بـ "مسؤولية الحماية: الطريق إلى الأمام"The responsibility to protect : The way forward ونص على أن الدول ذات السيادة تقع على عاتقها مسؤولية حماية مواطنيها من الكوارث التي يمكن تفاديها (القتل الجماعي، التجويع، الاغتصاب) أما وإن اتضح أنها غير قادرة على ذلك أو أبدت ممانعة في القيام بواجباتها فإن هذه المسؤولية تتحول بصفة آلية إلى المجتمع الأوسع المكوّن من باقي الدول، إذ أن السيادة مقترنة بالحقوق والمسؤوليات على حد سواء، والدولة إذا ثبت فشلها في الاستجابة لمسؤولياتها تجاه حماية شعبها حري بها أن تتنازل عن حقها

---

* . في عام 1994 قُتل ما يزيد على ثمانمائة ألف (800,000) رواندي من التوتسي والمعتدلين الهوتو بأدوات بدائية (المناجل، السكاكين، الهراوات) وقد توصلت العديد من الدراسات أن تباطؤ الغرب في التدخل كان سببا في تفاقم عدد الضحايا، حيث وصفت المملكة المتحدة والولايات المتحدة الوضع في رواندا بالحرب الأهلية وليس إبادة جماعية. ومما خلصت إليه الدراسات أن الإسراع في تشكيل فرقة للتدخل قوامها القوات الغربية الحديثة كان كفيلا بمنع وقوع المذبحة. انظر في ذلك:

William Shawcross: **« Deliver us from evil: peacekeepers, warlords and a world of endless conflict ».** London: Bloomsbury Publishing. 2000, p. p 116, 117.

[29] - Judi Atkins: **«A new approach to humanitarian intervention ? Tony Blair's 'Doctrine of the international community '».** British politics. 2006 (1), p 276.

[30] - Alex J. Bellamy: **«Responsibility to protect»**. U.K: Polity, 1 st edition, 2009, p, p 35, 36.

في عدم التدخل، ومن ثم يصبح التدخل العسكري قضية عادلة Just cause في حالة ما إذا كانت هناك بوادر لحدوث أو حدث بالفعل أذى أو ضرر خطير للبشر.[31]

بدا أن الجدال الطويل حول التدخل الإنساني، والذي حمي وطيسه في تسعينات القرن الماضي، قد حُسم في النهاية لصالح مؤيدي التدخل، فلم يعد النقاش يتمحور حول ما إذا كانت حقوق الإنسان تعد مبررا مقبولا للتدخل، بل فيما كانت هذه التدخلات تقتضي الرجوع إلى مجلس الأمن للبت فيها[32]، ففي قمة الأمم المتحدة المنعقدة بين 14 وَ 16 سبتمبر 2005 تم إقرار مسؤولية الدولة في حماية شعبها، و أنه في حالة فشلها يكون على المجتمع حينها التعامل مع الموقف، لحظةٌ تفاعل معها رئيس وزراء بريطانيا توني بلير بقوله " للمرة الأولى في هذه القمة اتفقنا على أن الدول لا تملك الحق في أن تفعل ما تشاء داخل حدودها"، إلا أن الملاحظ أن لغة إعلان القمة جاءت هذه المرة متحفظة بقدر كبير، فلم تعد الحالات التي تدفع للتدخل تتمثل في " قتل واسع النطاق وَقع أو يُخشى وقوعه" لكن أكثر تحديدا "مذابح جماعية، جرائم حرب، تطهير عرقي" ، فضلا على أن مسؤولية التدخل لا تكون في حالة "عدم قدرة الدول أو عدم رغبتها" بل وبشكل دقيق " عندما تفشل بشكل واضح".[33]

كان هذا إيذانا يوحي بتراجع مبدأ التدخل الإنساني خصوصا أن الحروب الأكثر شراسة آنذاك ارتبطت بحق الدفاع عن النفس (غزو الولايات المتحدة للعراق وأفغانستان)، إلا أن انتهاكات حقوق الإنسان في السودان بإقليم دارفور بدءا من 2003 فضلا عن فيتو روسيا والصين (11 جويلية 2011) على مشروع أمريكي يتضمن عقوبات على زيمبابوي، وصولا (على وجه أخص) إلى تعقيدات مسؤولية الحماية ومآلات التدخل الإنساني في كل من ليبيا وسوريا بعد 2011، كلها أحداث ساهمت بالدفع مجددا بحجة التدخل إلى الواجهة.

لا يمكن استساغة هذه التطورات الحاصلة في عبء البرهنة على أحقية التدخل إلا بإدراك القيد الذي وضعه الساسة المؤتمرون في سان فرانسيسكو 1945، أين أُحيطت السيادة بسياج سميك يبقيها ضمانة

---

[31] - International commission on intervention and state sovereignty: **«The responsibility to protect».** Report of ICISS. Ottawa: Published by the International development research centre. 2001, p, p 11, 13, 32, 69.

[32] - عادل زقاغ: " **المعضلة الأمنية المجتمعية، خطاب الأمننة وصناعة السياسة العامة**". المجلة الجزائرية للسياسات العامة، جامعة الجزائر 03، العدد 01، سبتمبر 2011، ص62.

[33] . ديفيد فيشر: " **الأخلاقيات والحرب: هل يمكن أن تكون الحرب عادلة في القرن الحادي والعشرين؟**". مرجع سابق، ص، ص 331، 332، 333.

دولية في مجابهة أي تدخل أجنبي، ما عدا ذلك فإن أي تدخل أجنبي سيحمل مخاطر تهديد "الشرعية الأخلاقية للتدخل".

الفرع 3 . تيبولوجيا التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية

إن تطبيق إستراتيجية عسكرية منطقية ومتماسكة تجاه الأزمات الإنسانية يدفع إلى ضرورة وضع تيبولوجيا للتدخل الإنساني تُحدَّد على أساسها مجموعة المطالب الواضحة وتصنف وفقها الظروف التي تجسّد دوافع ومهام القوات المتدخلة، وهذا لا يشي بعدم بروز تيبولوجيات موازية تركز على أسباب الأزمة، طابع التدخل والمتدخل، وجود أو عدم وجود سند قانوني للتدخل، إلا أن الانبهار التيبولوجي الأبرز بقي على الدوام مُصوّبًا تجاه معضلات التدخل العسكري الإنساني أثناء الممارسة نظرا لما يطرحه من تداخل بين الاعتبارات الإنسانية والسياسية.

لسنوات عديدة كان الافتراض الكامن وراء توجهات معظم ممارسي المساعدات أنه يمكن التعامل بالطريقة نفسها مع جميع أوجه الأزمات الإنسانية، فلا فرق جوهري بين مساعدة الناس زمن الحرب أو الاستجابة للكوارث الطبيعية والأوبئة، بل أن مخلفات الثانية تفوق في بعض الأحيان ما تخلّفه الحروب من خسائر مادية وبشرية، فقد قتلت الأنفلونزا الإسبانية، على سبيل المثال، سنة 1918 ضعف ما قتلته الحرب العالمية الأولى[34]، إلا أنه وبعد نهاية الحرب الباردة اتضح أن الأزمات الإنسانية التي تكون لأسباب سياسية تختلف في عمقها عن نظيرتها التي تكون بفعل عوامل الطبيعة، وخيار التدخل وفق هذا الطرح المستجد يبدو معضلة حقيقية إذ أنه يكون متاحا إما للتركيز على الضحايا أو الجناة. **(المحور الأفقي من الجدول 1)**.

يعتني مجال المساعدات الإنسانية في المقام الأول بـ: التصدي للحرمان The privation أو التصدي للعنف The violence **(المحور العمودي من الجدول 1)**، وتتجلى على ضوء ذلك أربعة أنواع من التدخل العسكري الإنساني: (أ) . مساعدات إيصال المعونة (ب) . حماية عمليات تقديم المعونة (ج) . إنقاذ الضحايا (د) . هزيمة الجناة.

بطريقة تدرجية يصبح التدخل أكثر صعوبة كلما تم الانتقال من النوع (أ) صوب النوع (د)، والسبب يكمن في انتقاء الإستراتيجية العسكرية التي تتوافق والهدف المنشود، فمثل أي عمليات تخطيط عسكري

---

[34] . جيمس مارتن: " **معنى القرن الحادي والعشرين**". ترجمة: أحمد رمو، دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، 2011، ص 23.

تتمثل إستراتيجيات التدخل العسكري الإنساني في: الاجتناب avoidance الردع deterrence الدفاع defence الفرض أو الإجبار *Compellence والهجوم Offence.

الاعتبارات الإنسانية		الاعتبارات السياسية	
		التركيز على الضحايا	التركيز على الجناة
التصدي للحرمان		(أ) **الغرض:** مساعدات إيصال المعونة **الإستراتيجيات:** تجنب الصراع	(ب) **الغرض:** حماية عمليات إيصال المعونة **الإستراتيجيات:** الردع، الدفاع
التصدي للعنف		(ج) **الغرض:** إنقاذ الضحايا **الإستراتيجيات:** الردع، الدفاع، الإجبار	(د) **الغرض:** هزيمة الجناة **الإستراتيجيات:** الإجبار، الهجوم

جدول 1: الردود العسكرية على المعضلات الإنسانية. المصدر:

Taylor B. Seybolt: **"Humanitarian military intervention: the conditions for success and failure ".** Sweden: Stockholm international peace research institute (SIPRI). New York: Oxford university press, 1st puplished, 2007, p40.

إذا كان هدف المتدخل التخفيف من وطأة الحرمان بالتركيز على الضحايا (نوع أ) فإنه سينتهج إستراتيجية سلسة لتجنب الصراع والعمل على تسهيل سبل إيصال المساعدات الطارئة عبر توفير الدعم اللوجستي للمنظمات الإنسانية وكذا المساهمة في تقديم الإسعافات، أما إذا ارتأى المتدخل أن أحسن طريقة لمعالجة الحرمان تتم عبر التركيز على الجناة (نوع ب) فستظهر الحاجة لانتهاج إستراتيجية الردع بغية حماية عمليات إيصال المعونة، وإذا حدث وأن فشل الردع فسيضطر الطرف المتدخل إلى تبني القتال الدفاعي؛ أما إذا كانت دوافع التدخل بفعل التخفيف أو الحد من المعاناة الناجمة عن العنف، وتقرّرَ أن

* . صاغ توماس شيلينغ Thomas Schelling مصطلح Compellence من الفعل " Compel" بمعنى " أجبر"، واستخدم في أدبيات علم السياسة سنة 1966، وهو يعني استخدام القوة أو التهديد باستخدامها لحث الخصم على اتخاذ تدابير محددة.

أفضل طريقة للقيام بذلك هي بالتركيز على الضحايا (نوع ج) سيستخدم المتدخل إستراتيجيات الردع والدفاع جنبا إلى جنب مع الإجبار، ولن تجتمع الإستراتيجيتان الأشد تطرفا (الإجبار و الهجوم) مع بعضهما إلا في حالة ما إذا كان المتدخل يهتم بالتصدي للعنف عبر التركيز على الجناة (نوع د).

إن الإستراتيجية ، بالمعنى الذي استخدمه توماس شيلينغ، ليست معنية بـ " التطبيق الكفء" للقوة وإنما بـ "استغلال القوة المحتملة"، كما أنها لا تُعنى بالأعداء غير المتوافقين فقط، بل تشمل حتى الشركاء الذين لا يثق بعضهم ببعض؛ إن دراسة إستراتيجية النزاع تدفع إلى تبني الرؤية القائلة بأن أغلب حالات النزاع هي في أصلها حالات "مساومة" Bargaining تتوقف على ضوئها قدرة المشارك الواحد في تحقيق أهدافه على الخيارات والقرارات التي يتخذها المشارك الآخر[35]، فالمساومة سلطة Power قوة Strength مهارة Skill[36] ؛ وباستخدام مصطلح نظرية اللعب Games theory سيتضح أن النزاع المتصلب الذي يشد أزر طرف ثالث للتدخل (في الغالب بنوايا تعاطفية)، لا يصنف، تقريبا، كنزاع ثابت الربح وإنما يكون لعبة متغيرة النتيجة، تتباين فيه، بقدر ما تتداخل، إستراتيجيات الحرب العسكرية المتبعة:

الاجتناب (avoidance): يرتكز "الاجتناب" كخيار إستراتيجي لقوات التدخل العسكري الإنساني على تلافي المواجهة المباشرة، وُيستقى ذلك من ممارسات حرب العصابات التي عادة ما تتعمد تحاشي التشابك المباشر مع الوحدات العسكرية التقليدية، ويتوقف نجاح هذه الإستراتيجية على موافقة الأطراف الأصلية للنزاع بعد علمهم المسبق بوجود إمدادات معونة وإغاثة، أو على حجم المسافة المادية التي تفصل المتدخل عن المتحاربين، وعادة ما يشار كمثال على هذه الإستراتيجية إلى الجسر الجوي من الإمدادات الذي قادته الولايات المتحدة الأمريكية في جنوب الصومال والمعروف باسم "عملية توفير الإغاثة" Operation provide relief .

الردع (deterrence): "لا تعتد علي، لأنك إن تجرأت فسيحدث لك أمر فضيع"؛ يتوقف نجاح هذا على تقدير الرادع لنيات الخصم وعلى صدقية التهديد، فليس على المعتدي المحتمل أن يصدق أن تكلفة هجومه أكبر من فوائده فحسب، بل يجب أن يقتنع أن احتمال مكابدته لهذه التكلفة يفوق قدرته[37]، ويستدل في هذا الخصوص بقرار مجلس الأمن رقم 819 في 16/ 1993/04 والقرار رقم 824 في 06/ 1993/05

---

[35] . توماس شيلينغ: " **إستراتيجية الصراع**". ترجمة: نزهت طيب وَ أكرم حمدان، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2010، ص. ص 14-13.

[36] - Thomas C. Schelling: **«An essay on bargaining»**. The American economic review. Volume XLVI, June 1956, number three, p 282.

[37] . مارتن غريفيش وَ تيري أوكالاهان: " **المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية**". دبي: مركز الخليج للأبحاث، 2008، ص 238.

بإنشاء ستة مناطق آمنة في البوسنة، أين انحصر دور الوحدات الأممية في ردع مقاتلي صرب البوسنة من اجتياح المناطق الآمنة، إلا أن إستراتيجية الردع هذه كان مآلها الفشل، مما أدى إلى إبادة في سربرينيتشا Srebrenicaونزوح جماعي للسكان من زيبا Zepa.

الدفاع (defence): هو استخدام القوة لحماية شيء أو شخص ما من عمل يسلكه الطرف الخصم، وهو بديل ضروري إذا فشل الردع أو كانت هناك حاجة لتعزيز مصداقيته، ويتوقف نجاح الدفاع على توازن القوى بين المهاجم والمدافع، إضافة لعوامل أخرى كالتضاريس والغطاء النباتي والبنية التحتية وتقارب أو تباعد المسافات، ومن الأمثلة التاريخية على استخدام إستراتيجية الدفاع في التدخلات العسكرية الإنسانية اشتباك قوات الأمم المتحدة مع ميليشيات الهوتو لحماية التوتسي الذين تجمعوا في ملعب أماهورو الوطني Amahoro stadium.

الفرض أو الإجبار (Compellence): هو استخدام القوة أو التهديد باستخدامها لحث الخصم على اتخاذ إجراءات محددة، وعلى عكس الردع يستند الإجبار إلى أخذ المتدخل زمام المبادرة عبر تطبيق الضغط الهادف إلى إذعان أو إقناع الطرف الآخر، أين يركز الطرف المتدخل على وجوب إقناع الخصم بفداحة الضرر المستقبلي الذي قد يُسلَّط عليه إن لم يخضع لمستلزمات الامتثال، إنه نوع من القيد يقتضيه السلوك " العقلاني" بتعبير شيلينغ، حيث يتم تقييد عدو ما عبر توقعاته لعواقب أفعاله[38]؛ وفي هذا الجانب كثيرا ما يستشهد بـ "عملية توفير الراحة" Operation provide comfort في شمال العراق، فبدون إطلاق رصاصة واحدة استخدمت القوات البريطانية والأمريكية المناورات التهديدية لثني وحدات الجيش العراقي، حتى يكون في مقدور النازحين الأكراد النزول من الجبال.

الهجوم (Offence): هو استخدام القوة لهزيمة خصم أو السيطرة على مكان ما، وعلى النقيض من الإجبار يُنجز الهجوم دون اشتراط إذعان الخصم، إنها إستراتيجية تتخذ ما تريد دون أن تنتظر شيئا من الآخر، أو بتعبير ثيوسيديديس Thucydides " تفعل ما تستطيع وتجبر الآخرين على فعل ما يجب عليهم فعله"[39]، والعمل الهجومي نادر الحدوث في عمليات التدخل الإنساني، إذ أن أهميته الخاصة، كما حددها شيلينغ، تكمن في الضعف المحتمل لقوات الرد الثأري، ويمكن أن يشار إلى هجوم الجبهة الوطنية الرواندية ،المتكوّنة من التوتسي، لوقف عمليات الإبادة الجماعية التي بادرت بها الحكومة.

---

[38] . توماس شيلينغ: " **إستراتيجية الصراع**". مرجع سابق، ص. ص 24، 26.

[39] . نيل م. روزندورف: "**العولمة الاجتماعية والثقافية: المفاهيم والتاريخ ودور أمريكا**". في: الحكم في عالم يتجه نحو العولمة، تحرير: جوزيف س ناي وَ جون د. دوناهيو، ترجمة: محمد شريف الطرح، الرياض: العبيكان، ط1، 2002، ص 185.

يطرح تيموثي كراوفورد Timothy Crawford تيبولوجيا مغايرة، يعلن فيها أن التدخلات الإنسانية بمثابة مقامرة Gambling، خسارة الرهان عليها لن تؤدي إلا لتفاقم النزاع الداخلي، من حيث أن التدخل دوما ما يحمل في جعبته أربع أصناف من المجازفات الأخلاقية:[40]

حاد (acute): إذ أن التهديد المحدد بالتدخل من شأنه أن يطلق عنان التمرد في الدولة.

مزمن (chronic): عندما يكون التدخل طويل الأمد سببا في استدامة عدم الاستقرار.

مُعدٍ (contagious): إذا كان التدخل لدعم المتمردين في دولة واحدة يحفز التمرد في دولة مجاورة.

منتشر (pervasive): حيث يتم التعاطي مع التدخل الإنساني كمعيار ناشئ، مما يشجع، دون قصد، موجة التمردات على نطاق واسع.

بغية تنميط الآفات الأخلاقية المصاحبة للتدخلات العسكرية الإنسانية يحاكي ألان كوبيرمان Alan Kuperman دروسا مستخلصة من علم الاقتصاد تتصل بـ "بوليصة التأمين" كمثال محلي و "عمليات الإنقاذ" التي يباشرها صندوق النقد الدولي كمثال عالمي، فعندما تُقْدِم الحكومة على تأمين البطالة تستهدف توفير حماية مؤقتة للعاطلين عن العمل حتى تخفف من الارتدادات السلبية لهذه الظاهرة على الاقتصاد وتيسير منافذ الحصول على وظيفة جديدة في المستقبل القريب، ولكن في الممارسات العملية من شأن هذا التأمين أن يتسبب في إثارة جملة من المخاطر الأخلاقية، لأنه يُذكي روح اللامسؤولية (عدم البحث بجد عن وظيفة)، ويشجع على الاحتيال الصريح (تعمد عدم البحث على وظيفة بالنسبة لأولئك الذين يفضلون أن ينعموا بتأمين مجاني دائم).

يشرف صندوق النقد الدولي على ضخ العملة الصعبة في أسواق الدول الناشئة التي تعاني من أزمات اقتصادية حادة بسبب عجز ميزان المدفوعات أو تضخم المديونية الخارجية، وهدفه من ذلك واجب الحفاظ على الاستقرار والرفاهية الاقتصادية الدولية، وطمأنة المقرضين والمستثمرين على أعمالهم التجارية في هذه الأسواق دون الخوف من تكبد خسائر فادحة[41]، إلا أن برنامج التكيف الهيكلي Structural adjustment programme دائما ما يكون محفوفا بالمخاطر بفعل صلابته وخلوه من المرونة التي تُقلّص من فرص تكيّفه مع متغيرات العجز في ميزان المدفوعات، كما أنه يعزز، بشكل غير مقصود، أشكالا غير مستدامة للتنمية، فالدول بغية توفير سيولة مالية تلجأ لتصدير كل ما تستطيع بغض النظر عن انعكاسات صادراتها

---

[40] - Alan J. Kuperman and Timothy W. Crawford: **«Gambling on humanitarian intervention: moral hazard, rebellion and civil war».** New York : Routledge ,1st edition, 2006, p 9.

[41] - Alan J. Kuperman: **«Mitigating the moral hazard of humanitarian intervention: lessons from economics».** Global governance, 14, 2008, p 221.

على البيئة؛ إن تجاهل العقاب وتشجيع هذه السلوكيات غير الفعالة سيؤدي حتما إلى استمرارية تقويض الأداء الاقتصادي بحسب كوبيرمان.

ما تطرحه الأمثلة السابقة من أخطار معنوية يمكن أن يتمركز في صلب عمليات التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية، فلحماية المجموعات الضعيفة من خطر عنف الإبادة الجماعية سعى المجتمع الدولي إلى توفير بوليصة تأمين لها فيما تم تدوينه بـ "مسؤولية الحماية" The responsibility to protect، بيد أن هذا العقد شجع مجموعات متمردة على الانخراط في سلوك ينطوي على الانتقام والطعن في الدولة، ويمكن في ذلك التمييز بين متمردين يثيرون عن قصد الانتقام من عمليات الإبادة (تحايل وغش) وأولئك الذين لديهم علم بآليات تشغيل درجات عالية من العنف (استقبال مفرط للخطر) فقد يميل المتمردون لدفع الدولة للانتقام مما يُرجّح أن يكون ذلك تحفيزا للتدخل الذي يُمكّنهم من الغلبة، فالإبادة الجماعية بحقهم تتحول إلى تكلفة مقبولة لتحقيق غايتهم السياسية؛ وكما هو الحال مع عمليات الإنقاذ في صندوق النقد الدولي لا يقدِّم التدخل الإنساني إلا افتراضات ترجيحية واحتمالية لنشوب معضلات أخلاقية، ومن الواضح أن التدخل ليس سببا وحيدا لنشوء التمرد وباقي أشكال العنف والإبادة الجماعية، مثلما أن الإعانة التأمينية ليست مسؤولة كليا عن تفشي البطالة، غير أن استدعاء الإصلاحات للتخفيف من الآثار الضارة لهذه المبادرات يبقى مطلوبا، دون أن يعفي ذلك شيئا من أحقية مساءلة مرتكبي الجرائم[42]، ويمكن توثيق تيبولوجيتيْ كل من كراوفورد و كوبيرمان في الشكل التالي:

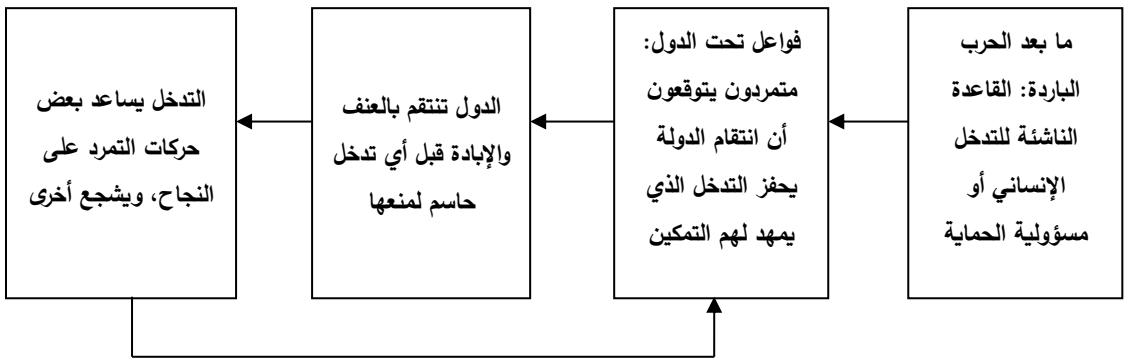

الشكل 1: المخاطر الأخلاقية للتدخل الإنساني وعواقبه المحتملة. المصدر:

Alan J. Kuperman: **« Mitigating the moral hazard of humanitarian intervention: lessons from economics ».** Op. Cit, p 220.

[42] - Ibid, p, p 221, 222.

المطلب الثاني: الحرب العادلة من العصر الوسيط إلى مايكل والزر

يعتقد جيمس روزناو James Rosenau أن إفرازات مرحلة ما بعد الحرب الباردة قد أضعفت من قدرات الدول وجعلت حدودها أكثر اختراقا وأقل أهمية[43]، لذلك ساهمت التهديدات الجديدة غير التقليدية في إذكاء انطباع متشائم بأن عالم ما بعد الاستقطاب الأيديولوجي سيكون أكثر فظاعة وعنفا من الوضع الدولي السابق، فالنزاعات الدامية تركت أثرها على المرجعية التشريعية والقيمية للنظام الدولي، ومن ثمّ بدأ الوعي بضرورة مراجعة المنظومة القانونية الدولية التي بدت عاجزة عن احتواء التحديات الجديدة.

قد تكون هناك مسوّغات تبرر الحاجة إلى توسيع دائرة صلاحية القانون الدولي لتكون الشرعية الدولية وفق ذلك قادرة على التكيف السلس مع الصراعات، بيد أن المفارقة تكمن في العودة، وبقوة، إلى أدبيات العصر الوسيط والمفاهيم الأخلاقية المسيحية واعتبارها مرجعية قيمية تسمو على السيادة وعلى الخصوصيات الحضارية والثقافية للشعوب والأمم.

فمنذ صدور كتاب الفيلسوف "مايكل والزر" Michael Walzer سنة 1977 بعنوان "الحروب العادلة والحروب غير العادلة" Just and unjust wars سعت دوائر فكرية وسياسية (أمريكية بالخصوص) إلى نشر خلفية منهجية ومنظور فكري يتعامل مع مقاربة "حق التدخل الإنساني" وفق السجل اللاهوتي الوسيط، تُبنى وفقها أطروحة جديدة للعلاقات الدولية وعلى أسس ليبرالية محضة[44]؛ ولئن وقع التأكيد ،خصوصا لدى التيار الواقعي ونفعانيي القرن الثامن عشر، بأن الحروب مكوّن أنطولوجي مرتبط بالذات الإنسانية وبانقسام العالم إلى جزيئات سياسية، إلا أن ذلك لم يُحجم الفلسفة السياسية عن سبر الغايات والمثل الجماعاتية من قوة وثراء وأمن وحرية.

في 17 جوان من سنة 2000 كان مايكل والزر مزينا بشهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة بلغراد، الاحتفالية وقعت ليس ببعيد عن ما تبقى من المباني التي دمرها حلف شمال الأطلسي في قلب المدينة، وهو ما دفع ألكسندر جوكيتش Aleksander Jokic إلى التساؤل عن ما يمكن أن يغري الناس، ولا سيما النخب الفكرية، لتكريم من دافع عن العدوان على بلدهم.[45]

---

[43] - James N. Rosenau: **«New dimensions of security: The interaction of globalizing and localizing dynamics».** Security dialogue, vol 25, no 3, 1994, p 258.

[44] . السيد ولد أباه: " **عالم ما بعد 11 سبتمبر 2001: الإشكاليات الفكرية والإستراتيجية**". بيروت: الدار العربية للعلوم، ط1، 2004، ص 77.

[45] - Aleksander Jokic: **«what's a just war theorists ?».** Journal of theological and philosophical criminology. Vol 4 (2), July 2012, p 91.

الفرع 1 . جدال اللاهوت والقانون الطبيعي حول الحرب العادلة

لطالما كانت نظرية الحرب العادلة غير مرحب بها في الأوساط القانونية والدبلوماسية الدولية، فبتعبير جوزيف كونز Josef Kunz أن هذا المفهوم لاهوتي أكثر منه قانوني a theological not a legal concept، وفي ما يدل على تراجع قيمة هذا المفهوم لمُ يشر فون مارتنس George Friedrich Von Martens إلى الحرب العادلة في كتابه الشهير Précis du droit des gens modernes de l'Europe سنة 1789، رغم أنه تدارك ذلك في وقت لاحق حين أقر أن مذهب الحرب العادلة لم تتبق منه إلا روحانية ضحلة لا معنى لها[46]، غير أن جهود والزر قوّضت نسبيا مكاسب القرن التاسع عشر التي انتقلت فيها مفاهيم الحرب العادلة إلى المجال العلماني، لتعود مجددا من بوابتي المجال الأخلاقي والنظام المعياري.

ظهر مذهب الحرب العادلة في سياق اللاهوت الكاثوليكي وتكونت في الأساس من عنصرين:[47]

Jus ad bellum : قانون " حق شن الحرب"، Jus in bello : القانون " من خلال الحرب".

ترجع العقيدة اللاهوتية لمذهب الحرب العادلة إلى القديس أغسطين Saint Augustine الذي أعطى صياغته الأولى في مؤلف "Contra Faustum"، وهنا طرح أغسطين سؤالا محرجا «Is it necessarily sinful for a Christian to wage war ?» هل من الضرورة أن يكون المسيحي آثما إذا شن حربا؟؛ فعلى الرغم من أن أغسطين دعا تكرارا إلى إلغاء الحرب في كتابه " مدينة الله" فإنه سمح أيضا باستثناءات تجلّت أهميتها في أن الكنيسة وافقت عليها فيما بعد، فقد ذكر القديس أغسطين في الكتاب السادس: "بما أن الأسوأ هو أن يحكم الأشرار العادلين من أن يخضع العادلون للأشرار، إذن، حرب العادلين ضد الأشرار لن تكون مجرد شر لا بد منه، لكنها تدعى، وبحق، حادثا سعيدا"، وفي الكتاب التاسع عشر أضاف قائلا: " بالرغم من أن الرجل الحكيم دائما يرفض أن يضطر إلى الخوض في حروب عادلة، فإن هناك مناسبات يضطره ظلم الطرف المضاد إلى إدراك ضرورة خوض حروب عادلة"[48]؛ الاستثناءات ،حسب أغسطين، تشمل الحروب التي تستهدف وقف الظلم والانتقام وردع أعداء الكنيسة، إنها الحروب العادلة التي تشن

---

[46] - Robert Emmet Meagher: **«Killing from the inside out: Moral injury and just war». U**.S.A : Cascade books, 2014, p 127.

[47] - Alain Caillé: **«Peace and Democracy: Benchmarking»**. Introduction by Boutros Boutros Ghali. U. S.A : UNESCO, 2004, p 47.

[48] . كوينتن سكنر: " **أسس الفكر السياسي الحديث: عصر النهضة**". مرجع سابق، ص 439.

انتقاما من أضرار تسببت بها دول أو إمارات أهملت وتغاضت عن معاقبة الأشرار من رعاياها على الآثام التي اقترفوها، أو أنها أبت أن ترد ما استولت عليه من ممتلكات غيرها دون وجه حق.[49]

تمتّنت أدبيات الحرب العادلة مع اللاهوتي الكاثوليكي توما الإكويني Thomas D' Aquin (1225 . 1274) ففي موسوعته الأشهر "سوما ثيولوجيكا" Summa Theologica وبعد أن اعتبر أن علم اللاهوت بمثابة " العقيدة المقدسة" وأنه عِلمٌ جامع يتكلم عن كل الأمور من وجهة نظر الله، اشترط توما الإكويني ثلاث مقومات لشن الحرب العادلة: (أ) أمير شرعي يأذن بالحرب (ب) أن تكون الحرب بِنيّةٍ سليمة، مقصدها تعزيز كل ما هو جيد ودحر كل ما هو سيء (ج) قضية عادلة ضد عدو، بعد الشعور بأنه من الذنب عدم الرد عليه.[50]

أساسا وتحت قوة استنكار الكنسية للحرب، على أساس أنها لعنة (anathema)، لم يكن هناك متسع من المجال للحديث عن حروب من نوع خاص، شأنها في ذلك شأن العدوان أو التوغل العشوائي، فالكتاب المقدس يأمر أتباعه بأن "يصنعوا من سيوفهم أسنة محاريث"[51]، إلا أن الصيغة الطوماسية The Thomist formula اشترطت أن عدالة الحرب ترتبط بأن تكون مفتوحة وعلنية to be «just» it had to be «Public ».[52]

قبل الحربين العالميتين في القرن العشرين، كانت حرب الثلاثين عاما (1618 . 1648) الصراع الأكثر تدميرا في أوروبا، وفي خضم اللا توافق المرير بين الكاثوليك والبروتستانت وُلدت المساهمة العقائدية لنظرية الحرب العادلة من تلقاء نفسها؛ إنه ومن أجل قضية الدين كانت هذه النظرية مطية لتجاوز كل ما يتصل بقواعد الحرب Jus in bello ، لقد أسهمت الأفكار اللاهوتية في توصيف الأمير على أنه وكيل الله Agent of God يعاقب المهزوم مثل ما يعاقب الله الشياطين في الجحيم؛ كان لحرب الثلاثين عاما امتدادات وعواقب خارج أوروبا، حيث نشب القتال في مناطق من إفريقيا وآسيا، وحدث تدمير لمعبد كونيسوارام ترينكومالي Koneswaram Trincomalee ومعبد كيثيسوارام Ketheswaram، إضافة لحملة تدمير واسعة لخمسمائة من المزارات والمكتبات الهندوسية والبوذية، والتحول القسري للبوذيين والهندوس إلى الكثلكة.*

---

[49] . تونسي بن عامر : " **قانون المجتمع الدولي المعاصر**". الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1992، ص 32.

[50] - Aleksander Jokic: **«what's a just war theorists ?».** Op. Cit, p 92.

[51] - Richard Ned Lebow: **«Why nations fight: past and future motives for war»**. UK : Cambridge university press. 2010. P 15.

[52] - Aleksander Jokic: **«what's a just war theorists ?».** Op. Cit, p 94.

* . لمزيد من المعلومات عن حرب الثلاثين عاما في أوروبا، راجع:

لاحظ منوشهر غانجي Manouchehr Ganji أن الجانب الأكبر من تاريخ التدخل الإنساني مرتبط بقضية التدخل لصالح أقليات الاضطهاد الديني، لذلك ليس من المستغرب أن تولد هذه الممارسة من رحم الفلسفة اللاهوتية الأوروبية[53]، إلا أن هذا لا يعني أن الفلسفة اليونانية والرومانية القديمة قد أغفلت الحديث عن هذا المفهوم، فقد كان شيشرون Cicéron في خطاباته الجماهيرية الشهيرة يستغل الآراء ويطوعها عن طريق إدخال الضمير، وفي خطابه الذي يحمل عنوان " دفاعا عن ميلو" يقول شيشرون أن الضمير هو المسرح الرئيسي للفضيلة، وأن موكله "ميلو" قد سلّم نفسه باختياره لأن قوة الضمير دعته لذلك، مثلما كانت تطارده عندما كان مذنبا.[54]

في القرن السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر أسهم كل من: ويليام أميس William Ames (1576 . 1633 لاهوتي بروتستانتي) وَ ويليام فولباك William Fulbecke (1560 . 1616 محامي) وَماثيو ساتكليف Matthew Sutcliffe(1550 . 1629 رجل دين وأكاديمي ومحامي) أسهم الثلاثة في تقديم ملحوظات هامة على ضرورة استبعاد الدين كأساس لعقيدة الحرب العادلة[55] ، وهي ذات الرؤى التي سعى لتثمينها كل من الفقيهين فرانسيسكو دو فيكتوريا Francisco de Victoria و فرانسيسكو سواريز Francesco Suarez حين دعيا إلى ضرورة تقييد استخدام القوة العسكرية تجنبا للفوضى، ومن المهم، خاصة لسواريز، الامتناع عن شن الحرب ضد الشعوب المتخلفة بحجة تمدينهم، إلا أنه أشار إلى حق محدود من التدخل الإنساني، أين يتوجب التحرك إذا توفرت أرضية يذبح فيها الأبرياء أو تحدث فيها أخطاء مماثلة، وعلى الرغم من أن سواريز قيّد حق شن الحرب، إلا أنه مازال من المقبول عنده أن يكون للحاكم المسيحي حق التدخل لاعتبارات دينية في ممالك أخرى، وهو الحق المماثل الذي لا يمكن الاحتجاج به من قبل الحاكم العثماني .

مثَّل اجتماع وتصويت الجمعية العمومية لكلية اللاهوت بجامعة سلامنكا The university of Salamanca نقطة مهمة في تاريخ تقليد الحرب العادلة في القرون الوسطى، حيث أُعتبر الغزو الإسباني للأنكا والآزتيك في أمريكا الوسطى والجنوبية غير عادل، إنها حروب استيلاء، وتَطلّب الأمر في ذلك عبقرية دو فيكتوريا الذي اعترف بأن مباديء الحرب العادلة ليست فقط قواعد النادي المسيحي المغلق، بل هي قواعد أخلاقية عالمية تستند إلى منطق ينطبق بالضرورة على أي شخص دون إيلاء اعتبار لظروف

Geoffrey Parker: **« The thirty years' war »**. U. K: Routledge, 2 nd edition, 1997 وَ Peter H. Wilson: **« The thirty years war: Europe's tragedy ».** U.S.A: Belknap press, 2011.

[53] -Tonny Brems Knudsen: **«The history of humanitarian intervention: the rule or the exceptions».** Paper for the 50th ISA annual convention, New YORK, February 15 -18 2009. *P 4.*

[54] . بول ستروم: "**الضمير : مقدمة قصيرة جدا**". ترجمة: سهى الشامي، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2014، ص 13.

[55] - Aleksander Jokic: **«what's a just war theorists ?».** Op. Cit, p 93.

الوقت أو طبيعة هذا الشخص، إنه المنطق العالمي Universalizational logic الذي شجب بموجبه دو فيكتوريا أية إمكانية لتبرير التمييز التعسفي بين مواطني دولة ما وأولئك الموجودين في دولة أخرى، غير أن المنطلق الكوني لكتابات دو فيكتوريا لم يتخلص بشكل واضح من قاعدة الارتكاز إلى المستندات الدينية، فحضُّ المسيحية على حب الجار يشمل كل مكان يتواجد فيه جار يحتاج إلى مساعدة، يقول دو فيكتوريا "البربر كلهم جيراننا، ومن ثم فإنه يمكن لأي شخص، خاصة الأمراء، الدفاع عنهم ضد الطغيان والقمع، وحتى من دون تفويض البابا يتمتع الإسبان بحق منع البرابرة من ممارسة تقاليد أو شعائر شائنة".[56]

على نحو مقارب نشر البروتستانتي الإيطالي ألبيريكو جنتيلي Alberico Gentili (1552 . 1608) "ثلاثة كتب في قانون الحرب" De jure belli libri tres، أين اشترط إعلان الحرب بأهمية وجود "مشاعر إنسانية مشتركة" The common sentiments of humanity وعلى رأس هرم هذا المشترك "إذا كان هناك تعد واضح من طرف أحدهم على قوانين الطبيعة والبشرية".[57]

أما الفقيه هيغو غروسيوس Hugo Grotius وجون لوك John Locke وإمريك دو فاتل Emerich de Vattel فقد انصبت جهودهم على تنقية آخر الآثار المتبقية عن العصور الوسطية لمذهب الحرب العادلة، ليستند بذلك هذا المفهوم في العصر الحديث كليا إلى القانون الطبيعي واتفاق الأشخاص فيما بينهم دون الرجوع إلى شرط الموافقة الإلهية؛ ففي عمله الأشهر "حول قانون الحرب والسلم" De jure belli ac pacis 1625، الذي يعتبر أول وثيقة أُلبس فيها مفهوم التدخل الإنساني ثوبا قانونيا، واحتفل به الكثير نظرا لنكهته الحداثية، حيث يَرِد دوما أن عمل غروسيوس لا يشير إلى حق الحاكم بمعاقبة الآخرين إن انتهكوا قانون الطبيعة، ولكن، على نحو أدق، إلى واجب حماية ضحايا المعاملة اللا إنسانية، يقول غروسيوس " يتمتع الملوك ، وأولئك الذين لديهم سلطة مماثلة، بحق المطالبة بالعقاب، ليس فقط ردا على الإهانات التي تلقوها هم أو رعاياهم، ولكن أيضا تلك التي تنتهك بشكل صارخ قوانين الطبيعة أو الدول، وتمس حق أي شخص، أينما كان". [58]

عايش غروسيوس فترة تفكّك الكيان المسيحي القروسطي، حيث لم تعد ثمة أي هيكلية دينية/ سياسية سائدة كما كان عليه حال العصور الوسطى، وبات هذا الوضع الناشئ يتطلّب بديلا لإقامة صرحٍ من النظام والعدل في ما بين الحكومات، وعلى الرغم من استقلالية حكام مجتمع أوروبا الفوضوي إلا أنهم ظلوا

---

[56] - Brendan Simms ans D.J.B Trim: **«Humanitarian intervention: a history».** U.S.A : Cambridge university press, 1 st published, 2011, p 32.

[57] -Tonny Brems Knudsen: **«The history of humanitarian intervention: the rule or the exceptions».** Op. Cit, p, p 5,6.

[58] . ديفيد فيشر: " **الأخلاقيات والحرب: هل يمكن أن تكون الحرب عادلة في القرن الحادي والعشرين؟**". مرجع سابق، ص 323.

خاضعين لقانون الطبيعة، وكانوا، مثل الآخرين، ملزمين بالانصياع له، ذلك هو لبّ عقيدة القانون الطبيعي لدى غروسيوس، غير أن هؤلاء الحكام كانوا في الوقت نفسه يضعون قوانين وضعية ويخضعون لها، وبالتالي فإن مجموع الأعراف والممارسات التي تعتمدها الدول في علاقاتها البينية هو العنصر المعياري الثاني في تصور غروسيوس للقانون الدولي، أو ما اصطلح عليه بـ "قانون هيغو غروسيوس الوضعي للأمم" Jus gentium inter[59].

الفرع 2 . عرف عدم التدخل

في القرن الثامن عشر، وبعد أن تم التعارف على الصيغة الكلاسيكية لمفهوم التدخل الإنساني باعتباره مستوحى من مخاض صراع غير معلن بين نظريات الحرب العادلة وأفكار القانون الطبيعي، تم التوجه أكثر وأكثر نحو التأكيد على صيغة عدم التدخلNon. intervention والتي حددتها إسهامات كريستيان وولف Christian Wolff وإمريك دو فاتل، رغم أن هذا الأخير رأى أنه يحل لأي دولة أن تدعم انتفاضة في بلد آخر إن تعرض الأفراد للاستبداد والاضطهاد غير القابل للتحمل، أما سلفه كريستيان وولف فأشار إلى قبول التدخل الجماعي لدعم الحد الأدنى من معايير الإنسانية[60]، وكجزء من التقدم العام للتيارات الوضعية والتعددية التقليدية في القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين تطور مفهوم عدم التدخل مع هنري ويتون Henry Wheaton، روبرت فيليمور Robert Phillimore، جون ستيوارت ميل John Stuart Mill، مونتاغ برنارد Mountague Bernard ، وليام فرنون هاركـــورت William Vernon Harcourt ، وليام إدوارد هال William Edward Hall وَ لاسا أوبنهايم Lassa Oppenheim .[61]

تربط الكثير من الدراسات تاريخ "عرف عدم التدخل" برسالة الوداع لـ جورج واشنطن George Washington's farewell adress 1796 ورسالة جيمس مونرو James Monroe إلى الكونغرس الأمريكي 1823 *، ورغم ما لهذين الحدثين البارزين من أهمية إلا أن الإسهام الأكبر في تطوير هذا التحول الناشئ يُعزى أساسا إلى المصادر الثقافية متنوعة المشارب، والتي اتفقت في مجملها على شجب

---

[59] . روبرت جاكسون: " **ميثاق العولمة: سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول**". مرجع سابق، ص، ص 680679.

[60] - J.L. Holzgrefe «**The humanitarian intervention debate**». Op. Cit, p, p 27,28.

[61] -Tonny Brems Knudsen: «**The history of humanitarian intervention: the rule or the exceptions».** Op. Cit, p 6.

* . ورد في رسالة واشنطن " لا تتدخلوا في الشؤون الأوروبية، وحاذروا من أن تنساقوا إلى نزاعاتها" وجاء في رسالة مونرو " إن الولايات المتحدة لا تسمح على الإطلاق بحصول أي تدخل من الدول الأوروبية في الشؤون الداخلية أو الخارجية للدول الأمريكية، كما أنه ليس للولايات المتحدة أن تتدخل في الشؤون الخاصة بدول أوروبا".

إساءة استعمال مذهب التدخل الإنساني من طرف الدول القوية، ما عُدَّ دعوة ضمنية / تضامنية تعترف بحق الدول الضعيفة في أن تتخذ "عدم التدخل" كأساس للدفاع عن ممارساتها.

في عام 1910 أصدر أنطوان روجييه Antoine Rougier دراسة شاملة عن التدخل الإنساني خَلُص فيها إلى استحالة التفرقة بين التدخل والاعتبارات السياسية أو ضمان عدم وجود مصالح مطلقة للدول المتدخلة، وفي عام 1963 استنتج يان براونلي Ian Brownlie أن ممارسات الدول تبرر النتيجة القائلة بأنه لم تحدث هناك حالة تدخل إنساني واحدة، باستثناء حالة التدخل في سوريا عامي 1860 وَ 1861، بالإضافة أن أشهر مدرستين متنافستين في الدراسات القانونية في الغرب اتفقتا على دمغ التدخل الإنساني بأنه فوضوي، وهما "الوضعية القانونية الدولية" International legal positivism وَ مدرسة نيو هافن للفقه الموجه سياسيا New Haven school of policy oriented jurisprudence[62]، ومن البديهي أن تكون المدارس القانونية في العالم الثالث عنيفة في استنكارها للتدخلات الإنسانية.

تعد المادة الثانية (الفقرتين الرابعة والسابعة) المكان الشرعي الراهن لعرف عدم التدخل في ميثاق الأمم المتحدة، وأساس المصلحة الوحيد لتجاوز هذه المادة موجود في الفصل السابع (المادة الواحدة وخمسون) أما المادتين التاسعة وثلاثون واثنان وأربعون فهي مواد مفتاحية تُخوّل مجلس الأمن بأن يضع تعريفا للعمل العدواني، تهديد السلم أو انتهاكه، وإذا ما تم ذلك يبادر المجلس وفق المادة التاسعة والثلاثون إلى التحرك سواء بريا، بحريا أو جويا. *

بعد صدور ميثاق الأمم المتحدة جاء حكم محكمة العدل الدولية سنة 1949 في الخلاف البريطاني/ الألباني حول تنظيف مضيق كورفو Corfu channel ليقدم نموذجا عمليا يمس بعمق عرف عدم التدخل، فرغم الأضرار الجسيمة التي أحدثتها الألغام بالسفينتين التابعتين للسلاح البحري الملكي، قضت المحكمة بإدانة المملكة المتحدة على أعمالها في المضيق، واعتبرت تنظيف المنطقة من جانب واحد دون ترخيص من حكومة ألبانيا يعتبر تدخلا في الشؤون الداخلية لدولة مستقلة وانتهاكا صارخا للسيادة الإقليمية، لتسقط

---

[62] . فرانسيس بويل: " **تدمير النظام العالمي: الإمبريالية الأمريكية في الشرق الأوسط قبل وبعد 11 سبتمبر**". مرجع سابق، ص، ص 194، 195.

* . للاطلاع على محتوى المواد راجع ميثاق الأمم المتحدة على: " موقع الأمم المتحدة"، www.un.org/ar/.

بذلك كل الحجج التي ساقتها الحكومة البريطانية لتبرير أفعالها (التدخل، الحماية، الوقاية الذاتية، المساعدة).[63]

إذًا، عانى المدنيون (الذين لا يتمتعون بميزة حمل السلاح) من ممارسات فضيعة في حروب العصور الوسطى على يد العسكريين (الوحيدين المخوّلين بحمل السلاح)؛ لقد أثمرت هذه الممارسات أفكارا لا تخلو من القيمة ساهمت حديثا في تطوير القانون الدولي للحرب؛ أولا، برزت الحاجة الملحة إلى إرساء مجموعة قواعد تحكم سلوك الطبقة العسكرية أثناء الحروب بغض النظر عن الانتماء والولاء، وبشكل مستقل عن عدالة أو ظُلم أو من بادر بالحرب؛ ثانيا، أكدت هذه الفترة أن الدول السيادية هي وحدها المخوّلة بشن الحرب، وبالتالي فإن إرث القرون الوسطى من الحرب العادلة، وعلى ما خلّفته من ممارسات فضيعة، فإنها عادت بشيء من القيمة والعبرة للأجيال اللاحقة.

مع نشوء الدول الإقليمية الحديثة أصبح اللجوء إلى السلاح خاضعا لضوابط، وبقي مفتوحا ولكن بحكم الضرورة، وسرعان ما تم تنميط كل شكل من أشكال القتال لا تشنه دولة سيادية على أنه حرب تتخذ شكلا غير صحيح؛ وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبتأثير جملة من المثل الإنسانية العليا، صيغت أعراف وقوانين الحرب، وأخذت شكلها التقنيني في مؤتمري السلام بـ لاهاي 1899 . 1907؛ لقد كان هذا إيذانا باستشراء التعاليم الفلسفية لعصر الوضعية The era of positivism* أين أضحت سيادة الدولة في أوج الأهمية، وبإمكان الدولة التعامل مع الحرب في إطار السياسة الوطنية دفاعا عن حقها السيادي، مما يعني طردا ظاهريا لعقيدة الحرب العادلة على كل الأصعدة والاعتبارات.[64]

مع عهد عصبة الأمم وميثاقي باريس والأمم المتحدة، لم تعد مشروعية الحرب مقتصرة على الدفاع عن النفس بل امتدت لفرض السلام والأمن الجماعيين، وبالتالي استمرت آليا حتمية شن الحرب Jus ad bellum، ولكن كان من الضرورة إعادة طرح السؤال القديم: هل قانون الحرب Jus in bello في مأزق

---

[63] . سامح عبد القوي السيد: " **التدخل الدولي بين المنظور الإنساني والبيئي**". الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة، 2012، ص، ص 302، 311.

* . ولدت الوضعية من رحم تطلعات سانت سيمون Saint Simon وَ أوغست كومت Auguste Comte لتطهير العلم من الميتافيزيقيا، وجاءت لتمثل رغبة القرن التاسع عشر في جعل العلم الطبيعي النموذج الوحيد للمعرفة، حتى في قضايا التاريخ والثقافة الإنسانية. وفي مواجهة ذلك ظهرت تيارات متململة من هذه القيود أبرزها الكانطية الجديدة Neo Kantianism. انظر: تيرنس بول وَ ريتشارد بيللامي: " **موسوعة كمبريدج للتاريخ، الفكر السياسي في القرن العشرين**". المجلد الثاني، ترجمة: مي السيد مقلد، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2010، ص 11.

[64] - Xu Jin: «**The evolution of international laws of war**». Chinese journal of international politics. Vol 2, 2008, p, p 171,203.

لأنه يساوي بين المعتدي والمدافع عن النفس؟؛ يحاجج الكثير بأن شن الحرب العدوانية هي أسمى فعل جنائي دولي، وأن أولئك المشاركين في هذا الإجرام يجب أن يُستثنوا من قوانين الحماية في Jus in bello، ولكن على الوجه الثاني من العملة برز منظرون جدد، في مقدمتهم مايكل والزر، يدعون إلى استثناء "الرجال الأخيار" The good Guys من معايير ومتطلبات Jus in bello؛ إنه وبغض النظر عن الحجج الأخلاقية والدينية والسياسية فإن هذه دعوة صريحة، بحسب ألكسندر جوكيتش، للعودة إلى شرور ومآسي الحرب العادلة الكلاسيكية في القرون الوسطى؛ لقد دأبت نظرية القانون الدولي الإنساني وزميلتها نظرية حقوق الإنسان على رفض التمييز بين المشاركين في الحرب سواء كانوا معتدين أو مدافعين، ولكن إحياء والزر لعقيدة من العصور الوسطى كان فيه مخاطر واضحة باحتمال إعادة الأسوأ.[65]

الفرع 3 . مايكل والزر والعودة إلى العصر الوسيط

في خليج ويستمينستر Westminster بلندن توجد لوحة تذكارية بأسماء كل قادة الطائرات المقاتلة المطارِدَة الذين سقطوا في معارك الحرب العالمية الثانية، بينما لا توجد أي لوحة بأسماء قائدي الطائرات الهجومية (المُقنبِلة)، وقد يبقون على الدوام مجهولي الهوية، لأن الأوائل قاتلوا وفق قواعد الحرب ضد وحدات أخرى، بينما الآخرون طرح خوضهم للقتال قضية أخلاقية خطيرة، الواقع أنهم شاركوا بطريقة ما في إبادة المدنيين؛ هذه القنبلة التلقائية للمدنيين التي استهدفت نشر الرعب ليست بطريقة أخلاقية ولا عادلة للدخول في الحرب، ولكن هل يمكن اعتبارها كذلك إذا كانت المجموعة المقاتِلة تواجه خطر الزوال المطلق؟؛ هنا تكمن عقدة المسألة: من بإمكانه أن يحكم، متى وبأي مقاييس تصبح الإمكانيات المستعملة في نزاع ما مقبولة أخلاقيا؟[66]؛ في حالة بعينها، وهي القَنبلة الإنجليزية للمدن الألمانية أثناء الحرب العالمية الثانية، يعتقد مايكل والزر أنها حالة يمكن تبريرها أخلاقيا، ففي الوقت الذي كانت الجيوش النازية تحرز الانتصارات والتقدم في أراضي أوروبا كانت إنجلترا وحدها في المعركة، وحتى عام 1942 لم يكن لإنجلترا من حيلة أخرى، بوصفها أمة مُعتدى عليها وعلى حافة الموت، إلا هذه القنبلة العمياء؛ موقفٌ يطلق عليه والزر تسمية "الطوارئ القصوى" Supreme emergency (عليك احترام العدالة إلا إذا كانت السماء على وشك السقوط).[67]

---

[65] - Aleksander Jokic: **«what's a just war theorists ?».** Op. Cit, p 95.

[66] . جون كلود ريانو بوربالان: " **هل هناك حروب عادلة؟ حول كتاب مايكل والزر: الحروب العادلة وغير العادلة**". في: جان فرانسوا دورتيي: " فلسفات عصرنا: تياراتها، مذاهبها، أعلامها وقضاياها". ترجمة: إبراهيم صحراوي، الجزائر: منشورات الاختلاف، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، 2009، ص 226.

[67] - Michael Walzer: **«Just and unjust wars: A moral argument with historical illustrations».** London : Allen lane, 1978, p, p 231, chap 16 « Supreme emergency ».

يُعتبر مايكل والزر ناقدا شرسا للواقعية، يرفض بشدة كل الفرضيات التي تتصل بقدسية وأخلاقية الحدود "إن الحدود الموجودة هي على الأرجح اعتباطية، رُسمت بطريقة رديئة، أو هي نتاج حروب قديمة، فمن وضعوا الخرائط اتصفوا، على العموم، بالجهل أو كانوا تحت تأثير الكحول وحتى الفساد" [68]، إنه لا يحصر تأسيس الدول في عامل سلبي يتمثل في تجنب الفوضى فقط، وإنما أيضا في رغبة إيجابية جماعية في التعايش المشترك استنادا إلى قيم أخلاقية وروابط اقتصادية، ثقافية واجتماعية، يقول والزر " ليست ثكنات الجيش فقط، كما روَّج دافيد هيوم David Hume، هي المصدر الأصلي لتنشئة المدن، ولكن أيضا المعابد، والمقابر، ومنشآت الري"[69] .

مَثّل كتاب "الحروب العادلة وغير العادلة" في جزء كبير منه انتقادا لحرب فيتنام، إلا أن والزر وَسمَ مؤلَّفه بحجة أخلاقية تتضمن أمثلة تاريخية واضحة بدءا بمراجعة ما كتبه ثيوسيديديس حول الحوار الميلوسي Melian dialogue، أين اعتبر والزر طريقة حديث جنرالات أثينا مع ميلوس Milos بالنادرة والشاذة في التاريخ العسكري جاءت بسبب التدهور العام في السلوك على امتداد العالم اليوناني[70]، فالحرب في نظرية والزر مؤطرة قانونا تقتصر على الوحدات المقاتلة فقط، لذلك كان على الأثينيين أن يواجهوا مسؤولياتهم لما قرروا تهديم مدينة ميلوس وإبادة شعبها رغم أنها كانت محايدة وليست في حرب ضدهم، وهو نفس الالتزام المنوط بفرنسا في حرب الجزائر واليابان في الحرب العالمية الثانية.[71]

في كتابه الحديث "جدل حول الحرب" نحى والزر منحى مدافعا عن سياسات التدخل "لم أقصد التخلي عن مبدأ عدم التدخل بل قصدت الاحتفاء باستثناءاته" ويتابع " أينما يكون من الممكن إنهاء عمل فاحش وقذر يلزم القيام بذلك، وإن لم نقم نحن (المفترض أننا أكثر شعب محترم في العالم) بذلك، فمن سيقوم به إذن؟"[72]، وتبعًا لذلك فإن السياسيين دون الأشخاص العاديين يمكنهم وحدهم أن ينتهجوا مسألة "الأيدي القذرة" Dirty hands في سبيل تحقيق الصالح العام، ولتوضيح ذلك ضرب والزر مثل " القنبلة الموقوتة" ليكون في قلب الجدال الدائر حول الأخلاق والمصلحة، لقد تصوّر والزر قائدا سياسيا معارضا للتعذيب تم انتخابه حديثا، يقوم بأول زيارة له إلى مستعمرة وعدها بمنحها الاستقلال، إلا أنه وتحت حتمية حماية أرواح

---

[68] - Ibid. p 578.

[69] - Michael Walzer: **«Spheres of justice: A defence of pluralisme and equality».** Oxford : Basil blackwell, 1985, p 65.

[70] - Michael Walzer: **«Just and unjust wars: A moral argument with historical illustrations».** Op. Cit, p 5.

[71] - جون كلود ريانو بوريالان: " **هل هناك حروب عادلة؟ حول كتاب مايكل والزر: الحروب العادلة وغير العادلة**". مرجع سابق، ص 228,

[72] - Michael Walzer: **«Arguing about war».** New haven, London : Yale university press, 2004, p 81.

الأشخاص، يضطر إلى التصريح بتعذيب متمرّدٍ على علم بأماكن القنابل المجهزة للانفجار، فعل ذلك رغم اقتناعه بأن التعذيب أمر خاطئ ومزر.[73]

على إثر انهيار الشيوعية والتشويه الذي لحق بسمعة الليبرالية والانتشار الواسع لعدم الثقة في مختلف الأيديولوجيات السياسية، باتت المساعدات الإنسانية هي البديل الأمثل و المقام الأول في اهتمامات العالم؛ إن العمل الهادف إلى إنقاذ الأرواح والتخفيف من المعاناة حسب والزر لا يوسم بأنه زكاة وإحسان Charity and philanthropy فقط، بل هو واجب Duty أيضا؛ فمن بين كل النزعات التي ظهرت في الآونة الأخيرة تبقى الإنسانية Humanitarianism هي الأكثر أهمية (Humanitarianism is probably the most important « ism » in the world today)[74]

بعد سرد سياق متناسق من الأمثلة التاريخية يخلص والزر إلى أن الحرب العادلة حرب محدودة تجري وفقا لجملة من القواعد الموجهة قدر الإمكان إلى الحد من استعمال العنف والإكراه تجاه السكان العزّل على أن تَحتكم مجريات الحرب إلى ضرورة التفرقة بين المحاربين وغيرهم، وأن لا تتجاوز تكلفة الدمار الذي تحدثه الحرب المكاسب المتوقعة، إضافة إلى أن القضية العادلة والمقصد الواضح واستيفاء كافة الوسائل المتاحة لحل النزاع والهيئة الشرعية الكفيلة بإعلان الحرب والأمل في النجاح، كلها قواعد إقرارها بإحكام يحدد الحرب العادلة من عدمها.

عقب أحداث 11 سبتمبر 2001 أصدر مايكل والزر رفقة ستين أكاديميا أمريكيا بيانا بعنوان "لماذا نحارب: رسالة من أمريكا" What we’re fighting for a letter from America، جسّد البيان آراء فسيفساء فكرية واسعة، على الأقل بالمعايير الأمريكية، بدءا من الليبراليين اليساريين المعتدلين وانتهاء بالمحافظين اليمينيين (وفي مقدمتهم فرانسيس فوكوياما وصامويل هنتنغتون).

أشار مطلع الرسالة إلى القيم الأساسية التي تُمثل، وفقا للموقعين، أفضل ما في الولايات المتحدة، إنها القيم التي ذهبت إلى الحرب من أجلها:[75]

" نحن نؤكد على خمس حقائق جوهرية تتصل بالناس كافة دون تمييز:

---

[73] - Michael Walzer: **«Political action: The problem of dirty hands».** Philosophy and public affairs, Volume 2, Issue 2, Winter 1973, p, p160, 180.

[74] - Michael Walzer: **«On humanitarianism: Is helping others charity, or duty, or both ?».** Foreign affairs, July / August 2011. Issue. Volume 90, p 69.

[75] - David Blankehorn and other signatories: **«What we’re fighting for a letter from America».** U.S. A : Institute for American values, 2002, p, p 1, 17.

1 . يولد البشر جميعا أحرارا ومتساوين في الكرامة والحقوق.

2 . الموضوع الأساسي للمجتمع هو الفرد البشري، والدور المشروع للحكومة يتمثل في حماية وتعزيز شروط الازدهار البشري.

3 . للبشر رغبة طبيعية في السعي إلى الحقيقة المرتبطة بأغراض الحياة وغاياتها النهائية.

4 . حرية الضمير والحرية الدينية من حقوق البشر التي لا يمكن المساس بها.

5 . القتل باسم الرب مناقض للإيمان به، وخيانة عظمى لشمولية وعالمية الإيمان الديني.

نحن نحارب دفاعا عن أنفسنا وعن هذه المبادئ العالمية الشاملة".

تساءلت الرسالة في عنوان مستقل عما إذا كانت هذه الحرب عادلة " A Just War ? "؛ انتهى الموقعون إلى أنها كذلك، بما أنها تفي بالشرط القائل "أن الحروب العدوانية والحروب التي تستهدف زيادة الثروة أو القوة هي الحروب التي لا يمكن القبول بها".

مِثل هذه الأنماط التي ارتبطت بنظم الفكر الديني والفلسفي سعت إلى إبعاد / احتواء فورات العنف عبر التبشير بنظام القانون والأخلاق المرتكزان على المسلمات المنظِّمة للحقيقة المعطاة بوصفها منزلة ذات طبيعة ما ورائية، لذلك قد تغدو الذات المتعالية، بمتطلباتها الصارمة وبنشدانها السلم الكوني، محل سخرية إستراتيجيي الحرب العادلة.[76]

المبحث الثاني: حوار نظريات العلاقات الدولية حول التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية

لا مهرب من النظرية، فهي مركز الجاذبية في حقل العلاقات الدولية كما أنها ركيزة أساسية لتفسير ديناميكيات السياسة العالمية، غير أنه يجب إدراك طبيعة التنوع في "نظريات العلاقات الدولية"؛ ليس المقصود بالتنوع تلك النظم الفكرية "المتضاربة" التي هيمنت تاريخيا (الواقعية، الليبرالية، الماركسية)، وإنما، وبشكل أدق، "النظريات الوافدة" إلى التخصص من حقول معرفية وعلمية أخرى؛ من الاقتصاد (نظرية اللعبة والليبرالية المؤسساتية)، من البحوث الثقافية (الدراسات ما بعد الكولونيالية)، من الفلسفة (التعددية، ما بعد البنيوية، التعددية و الكوسموبوليتانية)؛ يكمن سر الترحاب الذي لقيته هذه النظريات من طرف " تخصص العلاقات الدولية" إلى كون هذا الأخير "مؤسسة" Corporation استطاعت أن تكون متميزة وفريدة في

---

[76] . محمد أركون، جوزيف مايلا: " **من منهاتن إلى بغداد: ما وراء الخير والشر**". ترجمة: عقيل الشيخ حسين، بيروت: دار الساقي، ط1، 2008. ص 83.

طرح " اللعبة العلائقية من الاعتراف والمصلحة المتبادلة بين 'النظريات الأصلية' و ' النظريات الوافدة' "؛ إلا أنه في النهاية يبقى التخصص، وكأي نظام اجتماعي، مجال مهيكل تتغلغل فيه علاقات القوة؛ من المرجّح في ذلك أن تكون النظرية التي ظهرت في الولايات المتحدة أكثر نفوذا من تلك التي ظهرت في إنجلترا أو الجزائر.[77]

المطلب الأول: النقاش الواقعي . التعددي . التضامني حول التدخل الإنساني

غالبا ما يشار إلى تدخل فرنسا وبريطانيا في لبنان عام 1860، نيابة عن المحفل الأوروبي لحماية الموارنة المسيحيين، كحالة تدخل نادرة في التاريخ الحديث، على الأقل حتى التدخلات الإنسانية المشتركة في شمال العراق عام 1991 والصومال عام 1992.

إن قراءة موجزة في التاريخ تُظهر أن التدخل الإنساني ظل دائما في نطاق اختصاص سيادة الدولة، وذلك لمنع الانتهاكات الجماعية من مذابح واضطهاد وتدمير لشروط المعيشة، لهذا تم وسم التدخل في لبنان بالوضع الاستثنائي، لا يعدو أن يكون " بجعة سوداء Black swan" لم تؤثر على ما تم إقراره بأن الأصل في ضبط مصالح الدول يكمن في احترام السيادة وتكريس مبدأ عدم التدخل.

يسائل طوني برامس كنودسن Tonny Brems Knudsenالطرح السابق بسيل من الشكوك، وبعد سرد أمثلة تاريخية من التدخلات الإنسانية في اليونان 1827 . 1830، لبنان 1860 . 1861، كريت 1866 . 1868، البلقان 1875 . 1878 ومقدونيا 1903 . 1908 يخلص كنودسن إلى أن التدخل الإنساني هو القاعدة في علاقات الدول، وفترة ما بعد 1990 لا تمثل إلا عودة لما هو طبيعي.[78]

ظل هذا الافتراض محور جدال أفكار بين التيارات الواقعية والتعددية والقانونية الوضعية في مواجهة الليبرالية والتضامن وأصحاب المذهب الطبيعي.

الفرع 1 . تنبيهات الواقعية

الدولة حسب الحجة الواقعية " استحواذية" تمتلك الرغبة الفطرية في الهيمنة على الآخرين (Animus dominandi)[79]، وفي ظل بيئة يطغى عليها الفوضى يجب أن يتجه اهتمام الدولة إلى القوة دون عداها،

---

[77] . أوليه وايفر: " **أ مازال في الإمكان اعتباره تخصصا بعد كل هذه الحوارات؟**". في: تيم دان وآخرون (محررون): " **نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع**". ترجمة: ديما الخضرا، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2016.

[78] - Tonny Brems Knudsen: **«The history of humanitarian intervention: the rule or the exceptions».** Op. Cit, *P 2.*

[79] - Richard Ned Lebow: **«Why nations fight: past and future motives for war»**. Op. Cit, P 35.

وإنّ كل مسعى لتحقيق أي شيء، خلاف تعظيم القوة، كالتطلع لتكريس العدالة أو الاحتكام إلى نوازع التعاطف سيجعل الدولة عرضة للهجوم أو قابلة له، فالمصالح الوطنية حسب هانس مورغانتو Hans Morgenthau "محددة بلغة القوة" ولا مجال لاستخدام حقوق الإنسان في السياسات الخارجية، أما جورج كينان George F. Kennan فَحَصر المصالح الوطنية للمجتمع، التي يجب أن تنشغل عليها الحكومة، في المسائل المتعلقة بالأمن العسكري وسلامة الحياة السياسية ورفاهية المواطنين، ويؤكد كينان بأنه لا صفات أخلاقية لهذه الحاجات، إنها ضروريات الوجود الوطني، لا يمكن تفاديها كما لا تخضع للتصنيف باعتبارها سيئة أو جيدة.[80]

يعتقد عالم الاجتماع البارز سيمور ليبست Seymour Martin Lipset أن الأمريكيين يمتازون بأخلاق طوباوية، ويضغطون بشدة لمأسسة الفضيلة وتدمير الأشرار والقضاء على المؤسسات والممارسات السيئة، إلا أن رمز الواقعية الهجومية جون ميرشايمر John Mearsheimer يشكّك في ذلك بناء على منطق التضاد بين الخطاب والممارسة في السياسة الخارجية الأمريكية، فمراعاةً لشعور العامة يبرع الأكاديميون الأمريكيون في ترويج المبادئ الليبرالية داخل سوق الأفكار، مباديء يتم تطعيمها بقيم التفاؤل والفضيلة، ولكن خلف الأبواب المغلقة لا تتحدث النخب إلا بلغة القوة.[81]

يحاجج الواقعيون أن الأخلاقيات لا تتواجد إلا بين أفراد أو كيانات متساوية نسبيا، ولكن لا موقع لها في العلاقات بين دول كبرى وأخرى متناهية الصغر، تلك هي الحجة التي تفسر خطاب الأثينيين في ميلوس، وهي نفسها التي تجعل من فرضية الحياد الأخلاقي في المجال الدولي مجرد واقعة عرضية.[82]

رغم استبعادهم لأهمية الأخلاق في الشؤون الدولية، إلا أن المفارقة تكمن في أن أشهر منظري الواقعية أبدوا قلقا ضميريا واضحا لاستخدام القوة في العلاقات الخارجية، لذلك لا يصنف كل الواقعيين على أنهم مدافعين أشداء عن اللا أخلاقية والطبيعة الشريرة، فواقعيتهم دائما ما كانت توصف بأنها "ممانعة"، وهكذا كان مورغانتو كثيرا ما يؤكد على المحتوى والآثار الأخلاقية للأفعال الإنسانية والتي لا يمكن التغاضي عنها، ولكن رجال الدولة لا يستطيعون المراهنة على الاعتبارات الأخلاقية نظرا لطبيعة وظائفهم وحقائق

---

[80] - Jack Donnelly: **«Universal human rights in theory and practice»**. U.S.A : Cornell university press, 1989, p, p 274, 275.

[81] . جون ميرشايمر: " **مأساة سياسة القوى العظمى**". ترجمة: مصطفى محمد قاسم، الرياض: جامعة الملك سعود، 2012، ص، ص 31، 32.

[82] - دافيد فيشر: " **الأخلاقيات والحرب: هل يمكن أن تكون الحرب عادلة في القرن الحادي والعشرين؟**". مرجع سابق، ص، ص 43، 44.

السياسة الدولية، فالأخلاق مناسبة ومهمة في علاقات الأفراد، غير أنها لا تناسب علاقات الدول،" إن القواعد الأخلاقية تعمل في ضمائر الأشخاص بصفتهم الفردية"[83]، وبشكل نموذجي وصف مورغانتو ذلك بـ "المأساة" Tragedy؛ إنها المأساة اللاأخلاقية ولكنها ضرورية للسياسات الخارجية، وفي عمله الشهير "الرجل الأخلاقي والمجتمع اللا أخلاقي" يؤكد راينهولد نيبوهر Reinhold Niebuhr على الانفصال بين عالم الفرد بعلاقاته الأخلاقية وعالم الفعل الجماعي الذي تسوده القوة[84] ؛وحتى أن الواقعي إدوارد هاليت كار Edward Hallet carr ذو النزعة المتشددة لتقديم الأخلاق والسياسة بوصفهما مجالين منفصلين، لا يلبث في نهاية كتابه " أزمة السنوات العشرين 1919 . 1939" أن يتراجع عن طرحه إلى درجة معينة، حيث يقول "إذا كان تجاهل القوة نزوعا طوباويا حالما، فإن الواقعية التي تتجاهل عنصر الأخلاق في أي نظام أخلاقي ليست إلا واقعية من النوع البعيد عن الواقع".[85]

قام هانس مورغانتو بإيراد محاورة تشيرتشل . ستالين في مؤتمر طهران 1943، بوصفها دليلا واضحا على أن للمُثل الأخلاقية مكانة مؤكدة في صلب السياسة العالمية، بما فيها سياسة القوى العظمى، حتى لو تعلق الظرف الزمني بالأحداث المأساوية لأكثر حروب التاريخ تدميرا؛ المحاورة كما وردت حسب مورغانتو: " قال ستالين لا بد من تصفية الأركان العامة الألمانية، فكل قوة جيش هتلر تعتمد على حوالي خمسين ألفا من الضباط والفنيين، إذا ما تم احتجاز هؤلاء وإعدامهم رميا بالرصاص مع انتهاء الحرب فإن القوة العسكرية الألمانية تكون قد أُستؤصلت". يقول تشيرتشل بأنه رد عليه: " إن البرلمان والجمهور البريطانيين لن يقبلا قط بأي إعدامات، يتعين على السوفييت ألا يكونوا واهمين حول هذه النقطة، أُفضّل أن أساق الآن وهنا إلى الباحة وأُعدم رميا بالرصاص، على تلطيخ شرفي وشرف بلادي بالعار".[86]

إذًا، لم يرفض الواقعيون الأخلاق تماما، إلا أنهم عارضوا، وبشراسة، توظيف النزعة الأخلاقية في السياسات الخارجية، فكثيرا ما كان ستانلي هوفمان يؤكد أن الولايات المتحدة تتبنى سياسة مغالية في التيه والفخر، تسعى فيها للهيمنة الدولية تحت قناع المثل العالمية الحميدة[87]، لذلك وجب حسب الواقعيين الانتباه بشكل دائم، كلما تعلق الأمر بسلوكيات التدخل، إلى النقاط التالية:[88]

---

83 - Hans Morgenthau: **«Politics among nations: The struggle for power and peace»**. New York : McGraw-Hill Education, 7th edition, 2005, p 247.

84 - Jack Donnelly: **«Universal human rights in theory and practice»**. Op. Cit, p 275.

85 - Eduard H. Carr: **«The twenty years' crisis»**. New York: Harper and Row, 1964, p235.

86 - Hans Morgenthau: **«Human rights and Foreign policy».** New York: Council on religion and international affairs (CRIA). 1979, p, p 1 ,2.

87 - Stanley Hoffman: **«America goes backward»**. U.S.A: New York review books, 2004, p 74.

88 - C.A.J Coady: **«The ethics of armed humanitarian intervention»**. Op. Cit, p 15.

مخاطر التضخيم الأخلاقي للذات: يمكن غريزيا تبني موقف السمو الروحي والتفوق الأخلاقي على الدول الأخرى، دون مبالاة بعيوب الذات، ويستشهد الواقعيون بخطاب الرئيس الأمريكي ويليام ماكينلي William McKinley حول ضم الفلبين لإبراز مخاطر الانزلاق نحو النزعة الإنسانية المتعالية وما يتخللها من مشاعر دينية وأخلاقية؛ لقد كان نموذجا لخطاب مغالي في النفاق والتظاهر بالتقوى، هَدفَ من خلاله التأثير في مستمعيه من أكليروس الكنيسة الميثودية "كنت أذرع غرف البيت الأبيض جيئة وذهابا أمسية بعد أخرى حتى انتصاف الليل، ولا أشعر بالخجل حين أخبركم بأنني ركعت على ركبتي وصليت لله القدير كي يهديني سواء السبيل أكثر من مرة، وفي إحدى الليالي أتاني الخاطر على هذا النحو، لا أدري كيف لكنه أتى، لا يمكننا أن نعيدهم إلى إسبانيا، لا يمكننا أن نتخلى عنهم لفرنسا وألمانيا منافستينا التجاريتين في الشرق، لا يمكننا أن نتركهم وحدهم فليسوا أهلا للحكم، ليس أمامنا من خيار سوى أخذ الفلبينيين جميعا، وتعليمهم والنهوض بهم، وتحضيرهم، وهدايتهم للمسيحية، وبذل أقصى طاقتنا بمباركة الرب في سبيلهم باعتبارهم إخوانا لنا مات من أجلهم المسيح أيضا ".[89]

يرى الواقعيون في هذا تشويها لحقيقة الأخلاق وتنميطا لمفهوم السياسات الشريرة، فالنزعة الأخلاقية في السياسات الخارجية تميل إلى أن يصبح توجهها متمركزا على مناطق وأشخاص معينين، لذلك فإن بديهية "رجال أخيار / رجال أشرار" Good guys / Bad guys تستثني بطابعها البارانوي شبكة معقدة ودقيقة من الأحكام الأخلاقية والسياسية، إذْ أن تقديس النفس غالبا ما يسير جنبا إلى جنب مع شيطنة للأخر The demonization of the other، وهذه الازدواجية جِدُّ الجامدة تكون عقبةً تمنع صياغة أخلاقيات رصينة فيما يرتبط بالمسؤولية الدولية.

فعلا، هناك سياسات وقادة سيئون للغاية، إلا أن الواقعية تملي بانتباه إلى أن الشر متأصل في النفس البشرية، فالعالم في وضعه الطبيعي خِلعةٌ للغرائز النرجسية المغرورة للإنسان، بتعبير طوماس هوبز Thomas Hobbes، لذلك لا غرابة في أن من وُسموا على أنهم وحوش اليوم كانوا حلفاء بالأمس، وقد يصبحون كذلك غدا؛ إن هذه الشيطنة للآخر يمكن أن تضرب في الصميم الإجراءات والتصورات المرتبطة بسياق التدخل.

مخاطر التبسيط لمفهوم الأخلاق: حيث غالبا ما تنال انتهاكات حقوق الإنسان القسط الأوفر في النظرة إلى الصراع، وهذا يشكل مصدر قلق للواقعيين، لأن التعامل هنا يكون مع وميضٍ تاريخي دون إدراك شامل لخلفيات الفضائع والاضطهاد الممارسين، وإن اللجوء إلى التدخل كإجراء تصحيحي لا يعدو أن يكون رد

---

[89] . نيال فيرجسون: " **الصنم: صعود وسقوط الإمبراطورية الأمريكية**". ترجمة: معين محمد الإمام، الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 2006، ص 86.

فعل غضبي، بعيدا عن حقائق راسية تحتاج مباديء مغايرة لسبرها وتطبيقها، فالغضب لا يمكن أن يكون بديلا عن البصيرة.[90]

مخاطر الفرض غير المشروع للقيم على الآخرين: في ظل نُظمٍ قيمية غير متناسقة، وظروف متباينة، فإنه من غير اللائق اللجوء إلى القوة لفرض مبدأ أخلاقي معين؛ قد يكون الفصل بين الدين والدولة وحرية التعبير وتشجيع الفن قيما هامة يتوجب أن تتضافر جهود الجميع لتدعيم أواسرها، إلا أن قيما أخرى يستدعي تباين الأنساق الثقافية التفاوض بعنايةٍ وحذرٍ مع السكان المحليين بخصوصها، وإلا أن أي محاولة لفرضها من طرف المتدخل قد يكون كارثيا، فالحق في الملكية الخاصة غير المقيدة للأسلحة، على سبيل المثال، إن كان قيمة مطلقة في نظر القوة المتدخلة، فليست هي كذلك من ناحية المطالبة العالمية[91]؛ لقد تساءل مورغانتو في هذا الموضع "إلى أي مدى يحق لأمة أن تفرض قيمها الأخلاقية على الأمم الأخرى؟" وناقش كينان أنه " ليست هناك معايير أخلاقية مقبولة دوليا يمكن أن تستند إليها حكومة الولايات المتحدة إذا رغبت في القيام بمهمة ما باسم المبادئ الأخلاقية".[92]

الفرع 2 . وستفالية التعددية

إن الفكرة الكلاسيكية القائلة بأن القانون الدولي هو جملة أعرافٍ وممارساتٍ تستدعي التزاما من جانب الممارسين الدوليين، بقدر ما تستحضر نوعا من الفهم الأنتروبولوجي للقانون الدولي، تبقى فكرة قديمة نسبيا قامت على أساس الافتراض المسبق بوجود صورة تعددية للمجتمع الدولي، وكلمة "تعددية" تشير إلى أن تصرف الإنسان على الصعيد الدولي يتكشّف عن مجموعة متباينة، وأحيانا متناقضة، من التجارب[93]، إنها المبادرات التي تخلق مجتمعا مشتركا متآلفا من رحم التنوعات الموجودة بداخله، فعلى سبيل المثال في الشارع نفسه بـ "سيلفر سبرينغ . ماريلاند"Silver Spring, Maryland تتواجد الكنيسة الكاثوليكية الفيتنامية بجانب المعبد البوذي الكمبودي والكنيسة الأرثوذكسية الأوكرانية ومركز للمسلمين، إضافة لمعبد هندوسي، والتعددية هنا توصف على أنها واحدة من الاستجابات الممكنة لهذا التنوع الجديد.[94]

---

[90] - C.A.J Coady: **«The ethics of armed humanitarian intervention»**. Op. Cit, p 16.

[91] - Ibid, p 16.

[92] - Jack Donnelly: **«Universal human rights in theory and practice»**. Op. Cit, p 278.

[93] - Robert H. Jackson: **«Pluralism in international political theory».** Review of international studies, Vol 18, No 3, Jul 1992, p, p 271, 281.

[94] - **«From Diversity to Pluralism».** The Pluralism project. Harvard university. In : www.pluralism.org/encounter/challenges , *browsing history :* 5 February 2016.

أثناء الاحتفال بالذكرى السنوية الأربعين لتأسيس جمهورية ألمانيا الشرقية (1989) ألمح رئيس الاتحاد السوفييتي ميخائيل غورباتشيف Mikhaïl Gorbatchev إلى أن القوات المسلحة السوفييتية لم يعد لديها الاستعداد لانتهاج سياسات الانتشار والتدخل؛ عجّل هذا الخطاب بنهاية حقبة الهرمية الأصولية الشيوعية في أوروبا الشرقية، وقد عُرف هذا الخط الجديد في السياسة السوفييتية بـ "عقيدة سيناترا" Sinatra doctrine : كل شخص يستطيع أن يتصرف كما يحلو له"؛ جاء ذلك متناقضا بحدة مع "عقيدة بريجنيف" Brejnev doctrine التي اتبعت نزعة التدخل المسلح لإلزام أطراف الكتلة السوفييتية بأن تحذو حذو موسكو؛ كانت عقيدة سيناترا عقيدة تعددية بامتياز، قائمة على عدم التدخل وفق ما أرسته معاهدة وستفاليا The treaty of Westphalia 1648.[95]

تنادي حجة التعددية الدولية بأن النظام الاجتماعي والسياسي لقُطرٍ ما ينبغي أن يكون موضوعا للاختصاص الداخلي، ويجب أن يتاح لأي مجتمع، بمعزل عن الضغط الخارجي، اختيار شكل حكومته، وبمثل الحجة يمكن التأكيد على القيمة الإيجابية للتنوع الثقافي واحترام قيم الشعوب الأخرى، إلا أن المفارقة التي يطرحها النموذج التعددي هو تحرّيه الدقة الشديدة في كل ما يتعلق بإنصاف الفرد موازاةً مع عدم تحمسه للتدخل العسكري لاعتبارات إنسانية إذا كان هناك خلاف حول ماهية الخرق الفاضح لحقوق الإنسان.[96]

إن افتراض العيش في عالم دولة واحدة، أو حتى عالم عدد غير قليل من الدول ليس بمستقلٍ وتابعٍ لأسرة سياسية واحدة، يدخل في صميم الهندسة التضامنية للعالم، غير أن الواقع يقول أن عالم اليوم عامرٌ بكثير من الدول المستقلة، وهو ما يجعل هذا الوضع وضع "تعددية إدارية"؛ تلك التعددية التي تشكّل القاعدة الدستورية/ التأسيسية للعلاقات الدولية الوستفالية، وهو الوضع التعددي الذي عادة ما يشير له أستاذ الدراسات الكلاسيكية الخاصة بالمجتمع الدولي هيدلي بول Hedley Bull وبدرجة أقل أدبيات ويليام جيمس William James، جون ديوي Jhon Dewey وَ راندولف بورن Randolph Bourne.

أما الترتيب الذي تكون فيه شؤون الدول الداخلية عائدةً لها وحدها، بما يُوعز للساسة والمواطنين أن يتمتعوا بكامل الحرية في اجتراح وتأليف قيمهم الداخلية وتصنيفها على رغباتهم، فذلك ما يعرف بـ " تعددية القيم"، أو بتعبير هوراس كالن Horace Kallen" التعددية الثقافية" Multiculturalism وهي

---

[95] . روبرت جاكسون: " **ميثاق العولمة: سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول**". مرجع سابق، ص 310.

[96] . جون بيلس وستيف سميث: " **عولمة السياسة العالمية**". ترجمة: مركز الخليج للأبحاث، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2004، ص 822.

التعددية الأكثر عمقا في سياسة العالم، ولا يملك مجتمع الدول إلا العمل على ترسيخها ودعمها رغم توقع انطواء سيادة الدولة على سلسلة متنوعة من هذه القيم.[97]

استخدم هوراس كالن مصطلح التعددية الثقافية كصيغة مناقضة لنزعة الهيمنة الثقافية الأمريكية أو ما عُرف بـ "بوتقة الصهر" The melting pot، وذلك في كتابه "الديمقراطية في مواجهة بوتقة الصهر"Democracy Versus Melting Pot 1915 ورأى فيه بأن الجماعات لا تنزعُ وحسب إلى المحافظة على لغاتها ومؤسساتها وموروثها الثقافي، بل أن الديمقراطية تمنح هي الأخرى كل جماعة الحق في الاحتفاظ بخصوصياتها[98]، وإن كان كالن أسس الليبرالية على قاعدة التعددية فإن أشعيا برلين Isaiah Berlin بنى التعددية على قاعدة الليبرالية، فالحدود الثقافية في فكر برلين هي حدود طبيعية بنظر الناس؛ حدود ناشئة عن تفاعل جوهر هؤلاء الناس الفطري من جهة والبيئة وتجارب التاريخ من جهة ثانية؛ تبقى الثقافة اليونانية يونانية حتى النخاع، كما أن الهند وفرنسا وإيران هي نفسها وليست أي شيء آخر، فالثقافات غير قابلة للتنميط، يقول برلين: "يتشكّل المجتمع وفق الطريقة التي يعيش بها أفراده، بالسبل التي يفكرون ويشعرون ويتحدث بعضهم لبعض وفقها، بالملابس التي يرتدون، الأغاني التي ينشدون، الآلهة التي يعبدون، الطعام الذي يتناولون، قد تتشابه المجتمعات في أوجه متعددة، لكن اليونانيين يختلفون عن الألمان اللوثريين، والصينيين يختلفون عن كليهما، ما يسعون نحوه مختلف، مواضع خشيتهم وتقديسهم نادرا ما تتشابه". [99]

رفض برلين أي مفهوم يُركّز على الجانب الإيجابي للحرية، ودافع عن مفهوم يقتصر على تحقيق الحد الأدنى أو الجانب السلبي للحرية مجسَّدًا في قاعدة عدم التدخل في شؤون الآخرين، حيث كان دافعه في ذلك الخشية من أن الرؤية الإيجابية ستقحم أولئك الذين يعتقدون أنهم تمكنوا من تركيب المعضلة الكونية، أو أولئك الذين اقتنعوا بوجود إجابة واحدة مستمرة وحل نهائي للسؤال الفلسفي الكلاسيكي " كيف يجب أن نعيش؟" يقول برلين:" هناك اعتقاد واحد مسؤول، أكثر من غيره، عن ذبح الأشخاص على مذبح المثل التاريخية الكبرى، ويتمثل في الاعتقاد بأنه يوجد في مكان ما، في الماضي أو المستقبل، حل نهائي"، ومن ثم فإنه كما أصبح المجتمع البريطاني نهاية القرن العشرين والقرن الواحد والعشرين مختلطا بشكل متزايد نتيجة الهجرة المستمرة، فإن مثل هذه المشاعر الليبرالية أرست معالم نموذج بريطاني فريد في التعددية

---

[97] . روبرت جاكسون: " **ميثاق العولمة: سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول**". مرجع سابق، ص 328.

[98] . حسام الدين علي مجيد: " **إشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر: جدلية الاندماج والتنوع**". بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه، ط1، 2010، ص 141.

[99] . إزيا برلين: " **ضلع الإنسانية الأعوج: فصول في تاريخ الأفكار**". تحرير: هنري هاردي، ترجمة: محمد زاهي المغيربي وَ نجيب الحصادي، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2013، ص، ص 36، 37.

الثقافية*، نموذج وصفه تيموتي جارتون Timothy Garton Ash بـ "المعطف الفضفاض للهوية البريطانية"[100]، إلا أن نموذج التعددية الثقافية البريطاني الفريد تعرّض لأزمة، مثلما أوحى بذلك عنوان جريدة لوموند Le monde الفرنسية، عقب تفجيرات لندن 2005 والتي تورط فيها شباب بريطاني مسلم من عائلات مهاجرة، بيد أن هذه الصرخة المدوية من صحيفة عالمية لم تُثن جيمس غولدستون James Goldston مدير " مبادرة عدالة المجتمع المفتوح" Open Society Justice Initiative في الولايات المتحدة من القول "لا تستخدموا التهديد الحقيقي للإرهاب من أجل تبرير تهميش أكثر من ربع قرن من الإنجازات البريطانية في مجال العلاقات العرقية".[101]

يؤكد برلين على أن البشر ينزَعون نحو إدمان التجمع داخل جماعات إقليمية محددة وخاصة، يتابعون عيشهم وفق إملاءات تلك الجماعة، وإن ضرورة العيش في عالم مليء بأناس آخرين ذوي حضارات مختلفة لا يلغي القدرة على الاعتراف بأولئك الآخرين كأخوة في الإنسانية، على أن تلتزم جميع الأطراف، كغاية ومحصّلة نهائية، باحترام كرامة وحرية بعضهم البعض.

من الواضح أنه بقدر ما تمحورت فلسفة برلين التعددية على رفض الأخلاق التضامنية الجانحة لتكريس التدخل لاعتبارات إنسانية، بقدر ما أعاد إلى الواجهة فكرة غروسيوس عن "المجتمع العظيم للجنس البشري كله".[102]

الفرع 3 . الأخلاق الكوسموبوليتانية التضامنية

تُرجع الدراسات بواكير ظهور الفلسفة الكوسموبوليتانية إلى الفيلسوف الإغريقي ديوجين Diogenes، ذلك الفيلسوف الكلَبي المتهكم الذي عاش داخل برميل، وحين ذهب إلى الغرب في القرن الرابع قبل الميلاد، وردا على سؤال "من أين أنت؟" أجاب جوابه الشهير" أنا لست أثينيا ولا إغريقيا، أنا مواطن من هذا العالم"،

---

* . بعد ثورة 1917 هاجر برلين من لاتفيا إلى بريطانيا، وشغل منصب أستاذ النظرية السياسية والاجتماعية في جامعة أكسفورد.

100 . ديفيد فيشر: " **الأخلاقيات والحرب: هل يمكن أن تكون الحرب عادلة في القرن الحادي والعشرين؟**". مرجع سابق، ص، ص 57، 58.

101 . أمارتيا صن: " **الهوية والعنف: وهم المصير الحتمي**". ترجمة: سحر توفيق، الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2008، ص 153.

102 - روبرت جاكسون: " **ميثاق العولمة: سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول**". مرجع سابق، ص 332.

كما كان لفكرة " كوسموبوليس" Cosmopolis أو المدينة العالمية مركز مرموق في الفلسفتين الرواقية والمسيحية.[103]

في القرن الثامن عشر لم تكن مفاهيم " الكوسموبوليتانية" أو "المواطن العالمي" ترمز إلى نظرية فلسفية قائمة بذاتها، بقدر ما كانت تُعنى بالانفتاح وعدم التقوقع، فالكوني يُعرّف نفسه على أنه شخص غير مقيد بسلطة دينية أو سياسية، ولا يحمل أي أفكار مسبقة كما أنه لا يدين بولاءات ضيقة؛ ويتسم النموذج الكوسموبوليتاني المشترك بنخبة مميزة مؤلفة من مدراء عامين وأثرياء وجامعيين ومثقفين، تحافظ على وضعها على أسس الثورة المستقلة ونمط حياة كثير التنقل والأسفار يتم عبره تذوق الموسيقى والأطعمة والموضة والفن والأدب من مختلف أنحاء العالم.[104]

إن كُتّابا مثل ألريش بيكUlrich Beck وأنتوني غيدنز Anthony Giddens وَ سكوت لاش Scott Lash يعتبرون العصر الحديث، الذي ساعدت العولمة في تعريفه وتحديد معالمه، يتّصف بفقدان سلطة المؤسسات والبنى والهياكل التقليدية بما في ذلك الحكومة والأسرة والكنيسة والدولة والأمة، وهو ما يؤدي إلى مزيد من التشخّص، بمعنى أن يصبح للبشر قدرة أكبر على سبك أساليب حياتهم ومسالكهم، وعلى نحو متزايد يقومون باختيار شعاراتهم وهوياتهم وقيمهم وارتباطاتهم الثقافية، لذلك وَكما يقول صامويل شفلر Samuel Scheffler أن الكوسموبوليتانية تتضمن أن يكون لدى الأفراد القدرة على التحقق والازدهار عن طريق سكّ هويات ذات سمات خاصة مستمدة من مصادر ثقافية متباينة وغير متجانسة، ولا ينظر إليها باعتبارها مُعرّفة بثقافة أو تراث معين، لذلك يراهن الكوسموبوليتانيون بدرجة كبيرة على التعليم، وفي كتابه " الثورة الثالثة" The third revolution يرسم هارولد بيركن Harold Perkin خريطة لظهور مجتمع مهني كوني قوامه الأساسي التعليم، الذي يزود الأفراد بالمهارات والأفكار والمؤهلات المهنية التي تقلل من اعتمادهم على دولهم، وتُمكّنهم من التصرف على نحو كوسموبوليتاني[105]، وفي هذا الصدد يشار بالدوام إلى الرؤية المفصّلة لأعمال مارتا نوسباوم Marta Nussbaum حول التعليم الكوني[106] ؛إلا أن الفكرة الأصلية للتضامن و الكوسموبوليتانية تبقى مدينة في نشأتها للفيلسوف الألماني إمانويل كانط Emanuel Kant.

---

[103] - Rebecka Lattevall: **«The idea of Kosmopolis: Two kinds of cosmopolitanism».** In : Rebecka Lattevall and My Klockar Linder (Ed) : The idea of Kosmopolis : History, Philosophy and politics of world citizenship. Stockholm: Södertörn Academic Studies, 2008, p18.

[104] . مارتن غريفيش وَ تيري أوكالاهان: " **المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية**". مرجع سابق، 2008، ص 346.

[105] - Paul Hopper: **«Understanding cultural globalization».** U. k : Polity press, 2007. P, P 218 .219.

[106] .Rebecka Lattevall: **«The idea of Kosmopolis: Two kinds of cosmopolitanism».** Op. Cit, p 13.

تعتبر مقالة السلام الأبدي Perpetual peace 1795 لـ " إمانويل كانط " مخططا فلسفيا هاما أُلف بمناسبة اتفاقية بازل للسلام بين بروسيا وفرنسا الثورية، وتفاعل على نحو عكسي مع النظرة التشاؤمية لـ طوماس هوبز الذي حاجج بأن السلام حالة وقتية يساندها ميزان القوى، كما اِتّهمَ في ذات المقال أساطين القانون الطبيعي (غروسيوس، بفندورف Pufendorf، دو فاتل) بأنهم مجرد "معزّين بائسين" Miserable comforters لا يمكن أن تحتوي أفكارهم أدنى قوة قانونية. [107]

الدولة عند كانط " وحدة عدلية" وُجدت للدفاع عن مواطنيها ولتأييد الحق القومي، أما العلاقات الدولية فتنطوي على حق دولي يخول الدول التعايش فيما بينها (حق الأقوام Jus gentium) وذلك يتضمن فكرة الأمن الدولي؛ يشير كانط إلى فكرة الحق الكوسموبوليتانيJus cosmopoliticum وهي فكرة تشي بحق الجميع المشروع في الحصول على الاعتراف والحماية من جانب السلطات العامة، وإن كانوا غرباء، بوصفهم أفرادا من البشر؛ إنّ تتويج كلا الحقين: القومي والدولي يدفع إلى القول، حسب كانط، بأن حقوق الإنسان لم تعد طبيعية مجرّدة بل أضحت حقوقا وضعية تؤيدها الدول والمجتمع الدولي.

يفترض كانط أن يؤدي انتشار الحكم الجمهوري إلى التأسيس للحق الكوسموبوليتاني، فإذا كان أي شخص في العالم محروم من السلامة العدلية، فما من أحد سالم عدليا في العالم، لأن عالم الدول لا يتحمل وجود البرابرة بين ظهرانيه، إذ أنه من الاستحالة إغماض العين عن انتهاكات حقوق الإنسان، عمليات التعذيب، الإبادة الجماعية والإعدامات التعسفية وانتفاء حكم القانون. [108]

تحدث كانط بإسهاب كبير عن " الأمر القطعي" (وأحيانا الواجب القطعي)، وكلمة "أمر" قضية عملية مرشدة إلى نوع من الأفعال، تمتلك الوظيفة الإنشائية التي تتمثل في إكراه إرادة ما على شيء ما، فهو قاعدة مخصصة بواسطة الفعل " يجب"؛ إن الأوامر القطعية تملي على البشرية فعلا بوصفه هدفا عقليا وخيّرا بإطلاق. [109]

ما بعد ترتيبات 1945، تنازعت أطروحة "القانون الكوني الكوسموبوليتاني" أطروحتان بارزتان في الفلسفة الدبلوماسية الدولية:

---

[107] - Martti Koskenniemi: **«Miserable comforters: International relations as new Natural law».** European journal of international relations, September 2009, Vol 15, No 3, p 395.

[108] . روبرت جاكسون: " **ميثاق العولمة: سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول**". مرجع سابق، ص، ص 365، 367.

[109] . هنس زندكولر: " **المثالية الألمانية**". المجلد 1، ترجمة: أبو يعرب المرزوقي، فتحي المسكيني، ناجي العونلي. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2012، ص. ص 390، 392.

أولا: التضامن الدولي المقيد (العدالة التوزيعية العالمية) لـ جون راولز John Rawls.

ثانيا: المجموعة القانونية التواصلية لـ يورغن هابرماس Jürgen Habermas

أولا: التضامن الدولي المقيد

استخدم راولز مصطلح " الشعوب السمحة" Decent peoples ليصف مجتمعات غير ليبرالية لكن لديها من المؤسسات الأساسية ما يستوفي شروط الحق والعدالة، وضرب بذلك مثالا يوتوبيًا على مجتمعٍ إسلامي غير ليبرالي (كازانستان Kazanistan)، شعب غير عدواني يلتزم باحترام حقوق الإنسان وتحتوي بنيته الأساسية على نظام هرمي تشاوري سمح[110]؛ وبعيدا عن ما كان عليه الحال في عصور تاريخية مضت، فإن الارتكان إلى مباديء التعددية يُضيّق نطاق ما هو ممكن عمليا في الزمان والمكان الحاليين، لذلك قد تنشأ مشكلة، حسب راولز، في أن حدود ما هو ممكن ليست هي معطيات ما هو فعلي، وبالتالي لا مانع من المراهنة على الافتراضات والتكهنات للبرهنة بكل الحجج على أن العالم المثالي ممكن التحقيق، إن لم يكون موجودا بالفعل.[111]

يؤكد راولز على أهمية ترقية المؤسسات الدولية واعتماد سياسات جديدة وفقا لقانون الشعوب The law of peoples لاحتواء الدول الخارجة عن القانون (عندما تظهر مثل هذه الدول إلى الوجود)، ونجاح قانون الشعوب يقترن بالتخلي عن فكرة دولة واحدة تحكم العالم بأسره مثلما يقترن بـ " إعلاء حقوق الإنسان" من بين جملة الممارسات الجديدة، بمعنى أنه يجب أن تكون حقوق الإنسان موضع اهتمام للسياسات الخارجية لجميع النظم، العادلة منها والسمحة.[112]

يقتبس راولز من رايموند أرون Raymond Aron فكرة "السلام بالرضى" ومن شروطها امتناع الكيانات السياسية عن الاستمتاع بثمالة الفخر بأنها تحكم غيرها من الشعوب، فلا طائل من توسيع الأراضي إن كانت المصالح الجوهرية للشعوب السّمحة لا تشكل خطرا على الشعوب الديمقراطية؛ أما إذا كانت هناك دول خارجة عن القانون تنتهك حقوق الإنسان العالمية التي هي موضع تأييد واتفاق بين الشعوب الليبرالية

---

[110] . جون راولز: " **قانون الشعوب وَ عَود إلى فكرة العقل العام**". ترجمة: محمد خليل، القاهرة: المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2007، ص، ص 19، 26، 111.

[111] . نفس المرجع، ص، ص 32-31.

[112] . جون راولز: " **قانون الشعوب وَ عَود إلى فكرة العقل العام**". مرجع سابق، ص 66.

والشعوب الهرمية السمحة على حد سواء، إذا وُجدت مثل هذه الدول فيجب أن تكون عُرضة لعقوبات شديدة أقساها " حق التدخل" وفق ما يمليه " واجب المساعدة".[113]

يضيف راولز أنه على الشعوب جيدة التنظيم واجب مساعدة " المجتمعات المغلوبة على أمرها"، وهي مجتمعات ليست عدوانية أو توسعية، تفتقر إلى التقاليد الثقافية والسياسية وإلى القدرات والمعارف والخبرات الفنية، كما تفتقد في غالب الأحيان إلى الموارد التكنولوجية والمادية التي تؤهلها لتكون مجتمعات جيدة التنظيم؛ في هذه الحالة يقع على عاتق المجتمعات جيدة التنظيم واجب إدخال مثل هذه المجتمعات إلى نادي " مجتمعات الشعوب جيدة التنظيم"، ويستدل راولز بدراسة أمارتيا صن Amartya sen التجريبية حول المجاعات عن أربع حالات (البنغال 1942، أثيوبيا 1972، الساحل 1972، 1973، بنجلادش 1976)*؛ من هذه الدراسة يسترشد راولز بأن الهبوط في إنتاج الغذاء لم يكن بالضرورة السبب الرئيسي في المجاعات، ولكن غياب "حكومة سمحة" تراعي سعادة شعبها وتمتلك نظاما معقولا لتوزيع المساعدات كان هو السبب الرئيسي، لذلك فالمشكلة الرئيسية وفق استنتاجات صن واستدلال راولز هي أن المجاعات كارثة اقتصادية وليست مجرد أزمة غذاء، بعبارة أخرى أن المجاعات ترجع إلى فشل وأخطاء في البنى الاجتماعية والسياسية، والحكومات التي لا تولي اهتماما لحقوق الإنسان ستقف مكتوفة الأيدي وتترك الشعب يتضور جوعا في وقت كانت لها الإمكانية في أن تحول دون ذلك؛ والمجتمعات جيدة التنظيم، كما وصفها راولز، لا تسمح بأن يحدث شيء من هذا، وإن الإصرار على ترقية حقوق الإنسان لن يحول دون حدوث مجاعات فقط، بل سيكون قوة ضاغطة من أجل قيام حكومات فعالة، ويخفف متاعب التزايد السكاني بحيث يتناسب عدد السكان مع ما يستطيع اقتصاد المجتمع أن ينتجه.[114]

ثانيا: المجموعة القانونية التواصلية

يورغن هابرماس أحد الوجوه الفلسفية البارزة في مدرسة فرانكفورت النقدية ومُمثل جيلها الثاني، تمحور برنامجه الفلسفي أساسا حول "نظرية الخطاب الخُلقي" التي تضمنها كتابه الشهير "نظرية الفعل التواصلي"؛ حاول هابرماس إلغاء مركزية الفهم الذاتي Ethnologocentrism للعالم التي تُقدّم نفسها كنموذج مطلق

---

[113] . نفس المرجع، ص، ص 113-65.

* . تحصل أمارتيا صن على جائزة نوبل للاقتصاد سنة 1998 نظير دراساته المعمقة حول ظاهرة الجوع ونظريات التنمية البشرية، والدراسة التي استدل بها راولز هي:

Amartya Sen: **« Poverty and famines: An essay on entitlement and deprivation ».** Published to Oxford Scholarship Online, November 2003.

[114] . جون راولز: " **قانون الشعوب وَ عَود إلى فكرة العقل العام**". مرجع سابق، ص، ص 145، 149.

تقاس عليه النماذج غير المعترف بها خارج المشروع الثقافي الغربي، وإبقاء الباب مفتوحا أمام ما يسميه بزيادة الفعل التواصلي Communication action بين الأفراد والجماعات كسبيل لإكساب الديمقراطية بُعدًا أكثر حيوية يحررها من أسر الإعلام الموجه والاستثمارات الطبقية والبيروقراطية.[115]

إن "التعلم من الكوارث" فكرة أساسية في مشروع هابرماس، ولأنه عاصر الفترة النازية وتبعاتها التراجيدية (معسكر أوشفيتس و قنبلة هيروشيما) عُني هابرماس بالتفكير فيما من شأنه أن يمنع تكرار ما حدث، ويُؤتيَ أنماطا للحفاظ على العالم المعاش Lebenswelt تتوافر فيه ظروف يندمج بموجبها الأفراد في " الخُلقية ما بعد التقليدية" ويشيّدون نظاما اجتماعيا على أساس معايير متينة، تُبنى وفقه ذات الإنسان الحداثية، وهذا الإنتاج للذات لا يتم إلا عبر الكفاح ضد الأجهزة وبالأخص ضد نظم السيطرة الثقافية، ولا سيما ضد الدولة عندما تتحكم في الثقافة بنفس القدر الذي تتحكم به في الحياة السياسية والاجتماعية.[116]

يطرح هابرماس تمييزا ثلاثيا بين الخطاب الخُلقي (Moral) والخطاب الأخلاقي(Ethical) والخطاب البراجماتي(Pragmatic)؛هذا الأخير وثيق الصلة بالنطاقين القانوني والسياسي، إذ أن السياسة والقانون معنيان أساسا بما هو ممكن، وفي وقت يتناول فيه الخطاب البراجماتي الغايات المنشودة كما هي ويدرس الوسيلة المثلى لتحقيقها، يقوم الخطاب الأخلاقي بتقييم هذه الغايات، لذلك يوسم الخطاب الأخلاقي في فلسفة هابرماس بأنه "غائي" من منطلق أنه معني باختيار الغايات، و" تقييمي عقلاني للأهداف" عبر تقدير "ما يناسبنا"، كما أنه "احترازي" يتعلق بسبر السُبل التي تنتظم بها الرغبات والسعادة المستدامة للبشر.[117]

على تعاظم أهمية فكرة الخطاب الأخلاقي في فلسفة هابرماس تبقى الأولوية للخطاب الخُلقي، لأن هذا الخطاب يظل الآلية الافتراضية لحل النزاعات بين الفاعلين في العالم المعاش، فعلى عكس الخطاب الأخلاقي يستبعد نظيره الخُلقي "القيم" من عملية التبرير، وبذلك فإنه يتفادى مصدر صراع عويص، فمهما كان الاعتبار الأخلاقي مبررا تبريرا وجيها، ومهما بلغت أهمية قيمة ثقافية بعينها، فمن الممكن دوما أن يبطلها معيار خلقي صحيح، فالمعايير الخلقية، متى كانت متاحة، تتفوق على القيم الأخلاقية التي تتعارض معها، والجدول التالي يوضح ملخصا للفوارق بين الخطابين: [118]

---

[115] . توم بوتومور: " **مدرسة فرانكفورت**". ترجمة: سعيد هجرس، ليبيا: دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، ط2، 2004، ص. ص 24، 25.

[116] . ألان تورين: "**نقد الحداثة**". ترجمة: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، 1997. ص 434.

[117] . جيمس جوردن فينيلسون: " **يورجن هابرماس**". مرجع سابق، ص، ص 103،101،

[118] . جيمس جوردن فينيلسون: " **يورجن هابرماس**". مرجع سابق، ص، ص 104، 108.

	الخطاب الأخلاقي	الخطاب الخُلقي
المفهوم الأساسي	الخير / الشر	صائب / خاطئ، منصف / غير منصف
الوحدة الأساسية	القيـم	المعايير
السؤال الأساسي	من المناسب لي أو لنا؟	ما العادل؟ ماذا ينبغي أن أفعل ولماذا؟
درجة الصحة	نسبية أو مشروطة	مطلقة أو غير مشروطة
نوع النظرية	احترازية وغائية	واجباتية
الغايات	النصيحة والحكم وترتيب الأفضليات	تحديد المعايير الصحيحة ومعرفة الواجبات

جدول رقم 2: الفارق بين الخطاب الأخلاقي والخُلقي عند يورغن هابرماس، المصدر:

جيمس جوردن فينيلسون: " **يورجن هابرماس**". ترجمة: أحمد محمد الروبي، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2015، ص 104.

في تبريره للتدخل الإنساني في كوسوفو Kosovo يعتبر هابرماس أن هدفه "وضع حد للتطهير العرقي، مما يعكس حقيقة أن الدول يمكن لها أن تعمل وفق دوافع أخلاقية كوسموبوليتانية"، واعتبر هابرماس أن تدخلا كالذي حصل في كوسوفو "لا يمكن الحكم عليه بموجب المعايير المعتمدة حاليا في القانون الدولي، أين يصنف كتدخل في الشؤون الداخلية لدولة ذات سيادة أو انتهاك لحظر استخدام أو التهديد باستعمال القوة، بل يمكن التعاطي معه كمحاولة لتحوير القانون الدولي في اتجاه كوسموبوليتاني"، وعلى أمل أن تتشكل المؤسسات الدولية على قواعد جديدة تؤسس وتحترم حقوق الإنسان يستدرك هابرماس بالقول " أن الحد الفاصل بين القانون والأخلاق سيبقى مشوشا حتما".[119]

خلافا لـ هابرماس أرسى أكسل هونيث Axel Honneth (ممثل الجيل الثالث لمدرسة فرانكفورت) صرح قيم التسامح وكرامة الإنسان وضمان حقوقه الأساسية على " نظرية الاعتراف" The theory of

[119] . ليلى نقولا الرحباني: " **التدخل الدولي: مفهوم في طور التبدل**". بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية. ط 1، 2011، ص 66.

recognition *فالتضامن في ظل المجتمعات الحديثة أصبح متوقفا على علاقات التقدير المتماثل والاعتراف المتبادل، فسيطرة الآخرين على ذات وبدن وإرادة الإنسان إهانة تقضي على ثقته في نفسه وفي الغير، وهذا ما أكده الكاتب النمساوي جان أميري Jean Améry الذي كتب عن معاناته في مراكز الاعتقال الألمانية " لن يكون في مقدور شخص جرى تعذيبه أن يتعامل مع العالم مجددا".[120]

إن توظيف الاتجاهات اللسانية بإفراط، مثلما فعل هابرماس، من شأنه، حسب هونيث، أن يعجز عن تفسير استمرار المواقف الصراعية التي يغذّيها الشعور بالظلم والاحتقار وفقدان الكرامة الإنسانية، هذه المعضلات لا يمكن تخطيها إلا بالاعتراف بحقوق الإنسان وكرامته في فضاء علاقات اجتماعية لا يقتصر على تواصل الأفراد فحسب، ولكنه مجال لانتشار النزاعات والصراعات، ولهذا وقصد تحقيق حياة ناجحة وخيّرة وجب تشخيص كل التجارب الأخلاقية والاجتماعية التي يستشعر فيها الإنسان بأن حقوقه مهددة وعرضة للضياع.[121]

المطلب الثاني: التدخل الإنساني من منظار المدرسة الإنجليزية للعلاقات الدولية

نشأت المدرسة الإنجليزية سنة 1959 تاريخ اجتماع اللجنة البريطانية British committee لمناقشة نظرية في السياسة الدولية، ويقر باري بوزان Barry Buzan بأن فكرة "المجتمع الدولي" International society، التي يُنظر لها في كثير من الأدبيات على أنها المفهوم الرئيسي في المدرسة الإنجليزية، ليست في الحقيقة أصيلة لها أو خاصة بها[122]؛ إذ ترجع جذورها في الأصل إلى المؤرخ الألماني أرنولد هيرين Arnold Hermann Ludwig Heeren في مؤلفه الشهير "وجيز تاريخ النظام السياسي لأوروبا ومستعمراتها" A manual of the history of the political system of Europe and its colonies؛ وعلى غرار باري بوزان يقر الوجه البارز الآخر في المدرسة الإنجليزية ريتشارد ليتل Richard

---

* -تأثرت فلسفة هونيث بأفكار فردريك هيجل Friedrich Hegel الذي يرى بأن رغبة الإنسان في نيل التقدير والاعتراف قد زجت به عبر التاريخ في معركة دموية مصيرية من أجل المنزلة. كما تحدث أفلاطون Platon قبل ذلك عن الثيموس Thymos (القوة الغضبية) كمحرك للسلوك البشري. انظر:

Francis Fukuyama: « **The end of history and the last man** ». New York: Avon books, 1992, p, p 12.13.

120 - Jean Améry: **«par - delà le crime et le châtiment: Essai pour surmonter l'insurmontable».** Traduction : François Wuilmart. France : Actes sud, 2005, p 79.

121 . كمال بومنير: " **النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث**". الجزائر: منشورات الاختلاف. لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون. ط 1، 2010، ص، ص 126، 127.

122 - Barry Buzan: **«An introduction to the English School of international relations»**. UK : Polity press, 1st p, 2014. P 5.

Little أن هذه الوثيقة التاريخية التي كُتبت في الأصل باللغة الألمانية سنة 1809 وتُرجمت إلى اللغة الإنجليزية سنة 1834 تركت أثرا بارزا في مفكري أوروبا والولايات المتحدة، ولا سيما الجيل الأول من منتسبي المدرسة الإنجليزية.[123]

خلافا لما تدل عليه التسمية (المدرسة الإنجليزية)، كان المؤسسون الأوائل من جنسيات مختلفة (هيدلي بول من أستراليا وَ تشارلز مانينغ Charles Manning من جنوب إفريقيا) وانصبّ تركيز المدرسة على دراسة العلاقات الدولية من زوايا التاريخ والفلسفة والقانون تزامنا مع توهج البارادايم السلوكي الكمّي التجريبي في الولايات المتحدة، ولم تكن للمدرسة مصلحة في الترويج للسياسة الخارجية البريطانية، بل لا وجود لسمات فكرية إنجليزية في منهجها الفكري، وأنصف توصيفٍ لها على أنها مزيج بين التاريخ الأوروبي والقانون وعلم الاجتماع والنظرية السياسية.[124]

الفرع 1 . التقاليد الثلاثة في فكر المدرسة الإنجليزية

بُني تفكير المدرسة الإنجليزية على ثلاث مفاهيم أساسية:

أ . النظام الدولي (International system) ب . المجتمع الدولي (International society) ج . المجتمع العالمي (World society).

يتفق كل من هيدلي بول وَمارتن وايت على أن قصة العلاقات الدولية محكومة بنواميس Traditions ثلاثة: الواقعية أو الناموس الهوبزي، العقلانية أو الناموس الغروسيوسي، الثورية الكونية أو الناموس الكانطي.[125]

. النظام الدولي (هوبز / مكيافيللي، الواقعية): يتمحور حول سياسات القوة بين الدول، ويضع هيكل ونسق الفوضى الدولية في مركز التنظير للعلاقات الدولية، مع الإقرار بأن هذا المقترب يستساغ على نحو أفضل خارج المدرسة الإنجليزية (على نحو خاص عند النظريتين الواقعية والواقعية الجديدة)؛ إنه يستند أساسا إلى توصيف وجودي للدول Ontology of states مما يخوله أن يكون أقرب إلى الإبستمولوجية الوضعية والمنهجيات المادية والعقلانية منه إلى المدرسة الإنجليزية.

---

123 - Richard Little: **«The expansion of the international society in Heeren's account of the European States - System».** School of sociology, politics and international studies. Paper presented at the international studies association 49th annual convention, San Francisco, March 26, 29. 2008. P 2.

124 - Barry Buzan: **«An introduction to the English School of international relations»**. Op. Cit, p 5.

125 - Nicholas J. Wheeler: **«Pluralist or solidrist conceptions of international society: Bull and Vincent on humanitarian intervention».** Journal of international studies. Vol 21. No 3, 1992, p 463.

. المجتمع الدولي (غروسيوس / العقلانية): أو أحيانا "مجتمع ما بين الدول" Interstate society، يركز على مأسسة Institutionalization المصالح المتبادلة والهوية بين الدول، ويضع خلق وصيانة المعايير والقواعد والمؤسسات المشتركة في صلب نظرية العلاقات الدولية.

تبدو الفكرة الأساسية للمجتمع الدولي بسيطة "مثلما يعيش الأفراد في مجتمعات لها شكل معين وتشكّلت من قبل، تعيش الدول بدورها في شكل مجتمع دولي تشكّل من قبل"، وبصورة اقتباسية يتضح أن فكرة المجتمع الدولي هي عقد اجتماعي بين المجتمعات نفسها، ولكن يجب مراعاة سياق أن الدول كيانات مختلفة جذريا عن البشر، والمجتمع الدولي ليس مماثلا للمجتمع المحلي، ويجب أن يُدرس على أنه شكل متميز؛ فـ "الفوضى" أو "الأناركية" Anarchy قاعدة خام أتت بها الواقعية إلى نظريات العلاقات الدولية، ولكنها تبقى قاصرة عن تفسير كيفية نظر الوحدات الدولية إلى بعضها البعض، خاصة إن كانت هذه الوحدات تتقاسم هوية مشتركة، وتتفق على مجموعة شائعة من القواعد والمعايير.

كانت فكرة المجتمع الدولي محور التركيز الرئيسي لفكر المدرسة الإنجليزية، ولأنها تركز على أهمية التفاهمات المشتركة والهوية والقيم في مجتمع محكوم بالفوضى، فإنها تقترب على نحو وثيق من الإبستمولوجية البنائية Constructivist epistemology والمناهج التاريخية[126].

. المجتمع العالمي (كانط / الثورية): ترتبط أساسا بالنظرية السياسية المعيارية Normative political theory تهتم بالأفراد والمنظمات غير الحكومية، وجوهريا سكان العالم ككل، وتركّز على الهويات والترتيبات المجتمعية العالمية، وتضع تجاوز نظام الدولة في قلب نظرية العلاقات الدولية؛ وقد لاحظ فراد هاليداي Fred Halliday أن المدرسة الإنجليزية أصبحت تجنح باهتمام خاص لمفهوم الثورة. [127]

تُشكل هذه المفاهيم الثلاثة، من وجهة نظر المدرسة الإنجليزية، صورة متكاملة ومترابطة عن عالم العلاقات الدولية، كما أنها في تفاعل وتعايش مستمرين.

---

[126] - Barry Buzan: **«An introduction to the English School of international relations»**. Op. Cit, p, p 12, 13.

[127] - Ibid, p13.

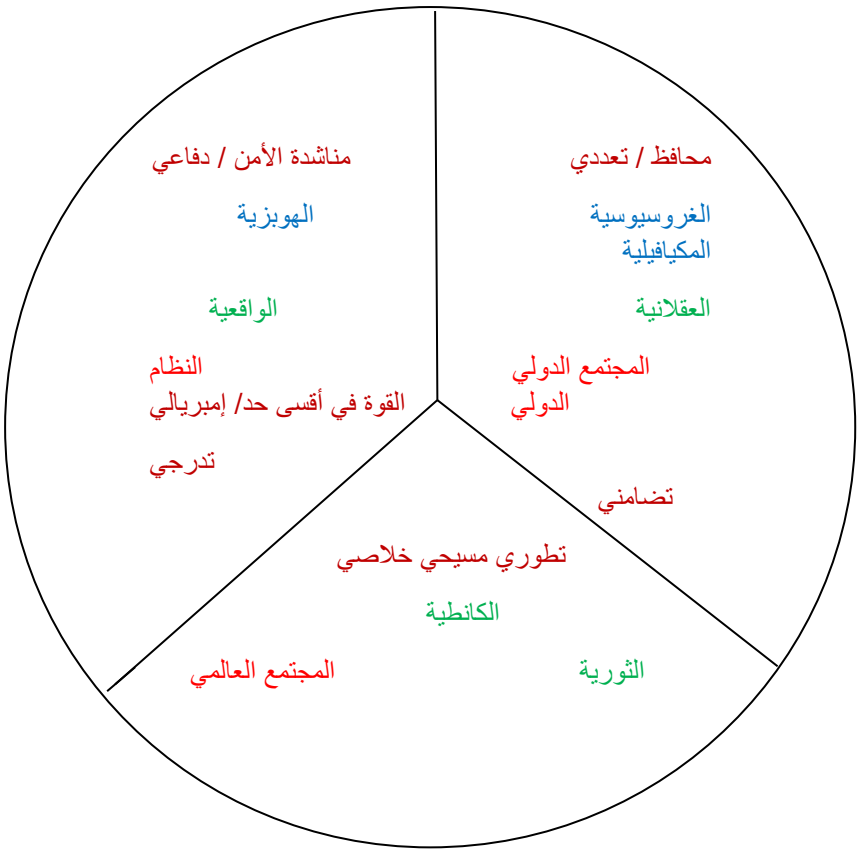

الشكل 2: " التقاليد الثلاثة"، النموذج الكلاسيكي للمدرسة الإنجليزية. المصدر:

Barry Buzan: **« An introduction to the English School of international relations »**. Op. Cit, p14.

يتحكم الثالوث السابق في تجاذبات المدرسة الإنجليزية تجاه طرح "التدخل/ عدم التدخل في العلاقات الدولية"، ويتماشى ذلك مع تسليط المدرسة الضوء على مفهومين مميزين كثيرا ما يتم تناولهما في أدبياتها: " منطق النظام" Raison de système ومعيار الحضارة" Standard of civilisation.

منطق النظام: تُنسب هذه الصياغة إلى آدم واتسون Adam Watson وتقف على النقيض مع فكرة "منطق الدولة" Raison d'état التي ترمز صراحة إلى المدرسة الواقعية وضمنيا إلى نظريات أخرى في العلاقات الدولية، حيث سبق لـ صامويل هنتنغتون أن دفع إلى أن رجل الدولة قد يكون مضطرا لانتهاك أخلاقيات متعارف عليها من أجل تحقيق وتدعيم مصالح ورفاهية الدولة، لذلك من الخطأ أن يضع الجندي ضميره الشخصي في مواجهة مع مصالح الدولة.[128]

[128] - Samuel P. Huntington: **«The soldier and the state: The theory and politics of civil - military relations».** Harvard university press: Belknap press, 1981, p78.

يذهب واتسون إلى أن لأعضاء المجتمع الدولي مصلحة كامنة في الحفاظ على ودعم تطور النظام، وبالتالي يتم استيعاب المصالح الوطنية الضيقة التي عبرت عنها الواقعية في "منطق الدولة" ضمن الأطر النظامية الأوسع والأشمل، والدبلوماسية هي الآلية الأكثر نجاعة لتحقيق مجتمع دولي من الدول المستقلة[129] عبّر عنه واتسون بمقاربة " الإيمان بجني فائدة من جعل النظام يعمل" The belief that it pays to make a system work؛ من خلال تمييز تلك الأحداث والتطورات التي تتفق والغاية الأصلية عن غيرها وتقرير ما يجب عمله تجاه هذه الأخيرة، وبمجرّد تزويد الدول بوسائل أفضل لممارسة علاقاتها، ستكتسب الدبلوماسية روحا جديدة من تلقاء نفسها، إنه شعور واعي بأن جميع الدول تعيش في مجتمع دولي لها مصلحة مشتركة يجب أن تحافظ عليها بقدر ما تضفي عليها ديناميكية تضمن استمرارها وبقاءها، هذا التطور يتجاوز مجرد التركيز على آليات الحوار، ففي عالم مترابط على نحو متزايد ستقبل الدول الاستسلام لاتفاقيات تُفتت من سلطتها إذعانا منها لإشراق الطريق التقدمي للدبلوماسية، فالشؤون الدولية ستنتظم لا محالة وفق أكبر تجمع من الدول؛ لقد كان تاليراند Charles Talleyrand يقول بأن نابليون يأتي ويذهب لكن مصالح فرنسا هي الأبدية، مثل هؤلاء الدبلوماسيين على بيّنة من أن المصالح طويلة الأجل تقتضي المشاركة في الحفاظ على الأداء الفعال للنظام وتحمل المسؤوليات تجاه المبادرة في الاتصالات المستمرة مع باقي الدول، حتما ستكون لهذه المسؤولية ميزات إيجابية تتأتى من التعاون المثمر مع باقي الدول والهيئات الدولية، وكل دولة ستكون على استعداد لدفع ثمن التخلي عن مصالحها الضيقة من أجل مزايا أكبر يضمنها المجتمع المنتظم.

تاريخيا، تتوافق أفكار واتسون نسبيا مع النصائح التي كانت تُسدى للأمير على مر السنين من ثيوسيديديس Thucydides إلى كيسنجر، فنكران الذات سيقطع بالدولة حتما أشواطا كبيرة، والأمير يجب أن يكون لديه الاستعداد لتقديم تنازلات بشأن المصالح غير الحيوية، غير أن التغيير السلمي الدولي لا يدور حول نفس الميلودراما القديمة المرتبطة بضبط تحولات ميزان القوى، وإنما ترتكز نسبيا إلى إذعان السلطة ولا سيما القوى الكبرى، إنها تُعنى أساسا بالتغييرات في الطابع الأساسي للسياسة الدولية والمطالبة بدور كبير لمهنيي الدبلوماسية في إعادة تشكيله.[130]

على عكس "معيار الحضارة" لم يحظ "منطق النظام" بانتشار واسع النطاق في أدبيات المدرسة الإنجليزية، إلا أن هناك مطالب بنشره لأنه قد يساعد على تلخيص ما هو مُضمر في العلاقات الدولية؛

---

129 - Corneliu Bjola and Markus kornprobst: **«Understanding international diplomacy: theory , practice and ethics ».** U. k: Routledge, 2013, p 219.

130 - Paul Sharp: **«Who needs diplomats ? The problem of diplomatic representation? ».** In: *www.diplomacy.edu › Resources › General.*

وعادة ما يشار إلى الاتحاد الأوروبي كمثال على مفهوم واتسون، إذ نجحت الدبلوماسية الأوروبية في إحداث توازن بين المصالح الوطنية والمصالح الكامنة في حفظ النظام.[131]

الفرع الثاني . معيار الحضارة

تأصّل هذا المفهوم في القرن التاسع عشر عبر التفرقة بين الدول والشعوب استنادا إلى تصنيفات هرمية: متحضرة(Civilized) بربرية(Barbarian) وحشية(Savage)، كما أن طبيعة نشأة وتكوين القانون الدولي وتاريخ مختلف الممارسات الدبلوماسية الدولية جعلا من رهان المدرسة على "معيار الحضارة" يتعاظم، فقوة القانون الدولي التي قد يستمدها من وضوح فقراته لا تنفي حقيقةَ ما أكّده المؤرخ الفرنسي الشهير فرناند برودال Fernand Braudel من أن قواعد القانون الدولي جاءت خصّيصا لتأمين انتشار اقتصاد العالم Economie monde مستندة إلى المبدأ الليبرالي الشهير "دعه يعمل دعه يمر" وهو ما سمح للطرف الأقوى خلال مرحلة زمنية معينة بفرض شروطه وتهيئة الظروف التي تعينه على تعميم هذه القانون، مما أفرز ذلك قواعدا ومستجدات تعمل دول العالم الفقيرة حاليا على تغييرها[132] ؛ ومازال النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية لحد الآن يتضمن عبارة "أمم متمدنة" Civilized nations في المادة الثامنة وثلاثين[133]، وفي ذات السياق يؤكد محمد بجاوي أن القانون الدولي برز مع معايير وأبعاد محددة: بعد جغرافي (قانون أوروبي)، بعد عقائدي (المسيحية)، بعد اقتصادي (التجارة الماركنتيلية)، بعد سياسي (الاستعمار).[134]

رأى يوهان هيردر Johann Gottfried Herder (معاصر كانط ومواطنه) أن أوروبا لها من الخصائص الجغرافية والمناخية ما يجعلها أطْيبَ وسط طبيعي على الأرض وهذا ما يخولها لأن تكون موطن أطيب جنس بشري، لذلك هي وحدها مسرح الحضارة الإنسانية، الحضارة التي تحتكر لوحدها " التقدم"، ذلك أن الحضارات القديمة (الصين والهند وغيرها) لم تعرف أي تقدم تاريخي يذكر، وينحو مونتسكيو Montesquieu منحى مشابها حين يجعل من العامل الجغرافي أساس كل حضارة: الجنوب موطن الكسل بسبب الحرارة السائدة والشمال موطن العمل والنشاط بدافع البرودة، لذلك، حسب مونتسكيو، من قدَر الشعوب الجنوبية أن تغزوها الشعوب الشمالية باستمرار، ومن الطبيعي أن يكون السادة من الشمال والعبيد من

---

131 - Corneliu Bjola and Markus kornprobst: **«Understanding international diplomacy: theory , practice and ethics ».** Op. Cit, p 219.

132 . ريمون حداد: " **العلاقات الدولية**". بيروت: دار الحقيقة، ط1، 2000. ص 32.

133 - Davis F. Fidler: **«The return of the standard of civilization».** Chicago journal of international law, Vol 2, No 1, Article 9, 2001, p 137.

134 - Mohamed Bedjaoui: **«Pour un nouvel ordre économique international»**. Unesco : 1978. P 146.

الجنوب[135]؛ وفي عمله الكلاسيكي "الاستشراق " أوضح إدوارد سعيد أن الشرق Orient لم يكتشفه الشرقيون بل بناه الأوروبيون لكي يعرّفونه بوصفه عالما شرقيا نقيض عالمهم المتقدم، وفي تلك العملية أُسبغت على آسيا صفات السلبية، الاستبداد، الجمود، اللاعقلانية، القسوة، لكي تمثل المقابل للصورة الأوروبية الدستورية، الديناميكية، العقلانية والمستنيرة؛ ومن منظور سياسة السيطرة يسمي كاباني Kabbani هذا بـ " ابتكر تسد" على وزن " فرق تسد".[136]

يدافع منتسبو المدرسة الإنجليزية على صلاحية الارتكاز إلى معيار الحضارة في عالم ما بعد الحرب الباردة بما أنه مازال متداولا بكثرة في خطابات حقوق الإنسان وفي سلوكيات التجارة والحرب وربما حماية البيئة، وإن اِنهار الطرح الكلاسيكي لهذا المعيار بعد 1945 نتيجة منح حق تقرير المصير للشعوب المستعمرة، إلا أن الطرح الحديث يلزم الدول غير الغربية" western states Non التعامل مع مشروطية Conditionality جديدة، تلتزم فيها القوى الاستعمارية القديمة بتقديم المساعدات وتنمية الدول الأقل تقدما Less developed شريطة أن تكون لهذه الأخيرة قدرة على صنع سلوكيات تتوافق مع توقعات السياسات والقواعد التي صُنعت من طرف واحد في العلاقات الدولية، عادة ما يكون هو الطرف المهيمن[137]؛ ثمة ما يؤكد ذلك في عملية صنع القرارات المالية أين لا تقتصر مشروطية منظومتي البنك وصندوق النقد الدوليين وبعض الحكومات الغربية على جملة من الإصلاحات الاقتصادية (تبنّي السوق الحرة ودعم الأنظمة المصرفية الشفافة) بل تتعداها إلى الجوانب السياسية (حماية حقوق الإنسان، الانتخابات النزيهة وسيادة القانون)، ورغم أن المشروطية عبر صيغة " التكيف الهيكلي" سابقة لسنة 1989 إلا أنها ظلّت إحدى السمات المثيرة للجدل في علاقات شمال/ جنوب؛ لقد كان الفقر على الدوام عامل تقييد للخيارات والحيوات التي في مقدور الأفراد تبنيها، وما زال التخلف الاقتصادي يشكل هاجسا يحرم العديد من الدول من عضوية فاعلة في الأسرة الدولية، ومسوّغا لظاهرة الإمبريالية، إلا أنه ومع تصفية الظاهرة الاستعمارية تم تهذيب الأمر، فما لبث الفقر أن أصبح ذريعة أخلاقية لطلب المساعدة الخارجية من البلدان الأكثر غنى.[138]

---

[135] . محمد عابد الجابري: " **مسألة الهوية العروبة والإسلام.... والغرب**". بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط4، 2012، ص. ص 122، 123.

[136] . بيتر تيلور وَ كولن فلنت: " **الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر**". ترجمة: عبد السلام رضوان وَ إسحاق عبيد، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، 2002. ص 247.

[137] - Barry Buzan: **«The standard of civilisation as an English school concept»**. Journal of international studies, Vol 42, no 3, June 2014, p576.

[138] - Robert Jackson: **«Quasi- states, dual regimes, and neoclassical theory: International jurisprudence and the third world».** International organization, 41, 4, September 1987, p, p 519, 549.

تجدر الإشارة إلى أن اهتمام المدرسة الإنجليزية بدور القيم والأفكار ليس من قبيل المفارقة أو الميزة، فدائما ما ارتبط نجاح أحد كتب علم السياسة أو علم الاجتماع بدعمه إحدى الفرضيتين: الأفكار والقيم هي نتاج البنيات، أو (الفرضية المضادة): القيم متغيرات مستقلة تفسّر الفوارق بين الأنظمة ومسارات التبدّل والإنتاج، فالحظوة الكبيرة التي نالها كتاب مجتمع الإنجاز The achieving society لـ دافيد ماكليلاند David McClellandفي الولايات المتحدة له علاقة بالفكرة العامة المنبثقة عن تحاليله الخاصة: "القيم مسؤولة عن الديناميكية والتقدم كما عن جمود المجتمعات"، وتشير بعض نصوص تالكوت بارسونز Talcott Parsons إلى أن ديناميكية المجتمع الأمريكي ترجع إلى قيمة النجاح الراسخة فيه بعمق، كما حاول بارسونز تفسير بعض الفوارق بين المجتمعين الأمريكي والألماني انطلاقا من القيم؛ وبالأسباب عينها تفسّر شعبية كتاب ماكس فيبر Max Weber حول "علم الأخلاق البروتستانتي" وكذلك نجاح كتاب "الأسماء والأشياء" Les mots et les choses لـ ميشال فوكو Michel Foucauld وفيه قُدّم التاريخ الغربي كأسير لسلسلة من الانكفاءات المعرفية، أما غابريال ألموندGabriel Almond وَ سيدني فيربا Sidney Verba فاعتبرا أن ظهور الأنظمة الديمقراطية وديمومتها يتوقف بشكل وثيق على ظهور بعض القيم الفردية واستقرارها.[139]

وصف باري جيلسBarry Gills مارتن وايت بأنه مترجم المشروع البحثي التويَنبي Toynbean (نسبة لـ أرنولد توينبي)* في مجال العلاقات الدولية، وفي كتابه "منظومات الدول" Systems of states يصنف وايت الأنظمة، اعتمادا على شواهد تاريخية، إلى دولية وإقطاعية، أساسية وثانوية، والعلاقة الجدلية بين مؤسستيْ السيادة والتدخل تمتد هي الأخرى إلى لحظة تاريخية حضارية فارقة هي معاهدة وستفاليا التي لا تعدو أن تكون عملية ترويض وتدجين للدين، أُحبطت على أساسها كل الاشتباكات والصدامات ذات الارتباط بقضايا القيم، إلا أنه ومع بروز الظاهرة الاستعمارية أُقحمت الأيديولوجيا السياسية في قالب القيم عينه، مثلما يتم الزج بمقاربة التدخل الإنساني اليوم، مقاربةٌ تفرض قيمًا على دول غير راغبة في تبنيها،

---

[139] . ريمون بودون: " **موضع الفوضى**". ترجمة: منصور القاضي، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1999، ص. ص 162، 175.

* . بعد تقاعده عن العمل في المعهد الملكي للشؤون السياسية بلندن، استقل توينبي رفقة زوجته سفينة وطافا حول العالم، ويعتبر كتابه " دراسة للتاريخ" المؤلف من اثنا عشر مجلدا من أثرى الكتب التي دونت في مجال الحضارات البشرية، انظر: باراج خانا: " **العالم الثاني: السلطة والسطوة في النظام العالمي الجديد**". ترجمة: دار الترجمة، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ط1، 2009، ص 9.

انطلاقا من حقيقة تاريخية ثابتة مفادها وجود دول مستقلة في ترتيباتها الدستورية، وأخرى تفتقر إلى مقومات تخولها من أن تتبنى القدرة الكاملة على التصرف.[140]

الفرع 3 . الإمبريالية لـ جون هيوغ واتسون

يرجع التفسير السياسي الكلاسيكي لمفهوم الإمبريالية Imperialism إلى أواخر القرن التاسع عشر، وعادة ما تستحضر في ذلك دراسة هينريش فريدجونغ Heinrich Fredjung "عصر الإمبريالية" Das zietalter des imprialismus، كما يشار في الاتجاه الممارساتي إلى السياسة التوسعية لـ نابليون الثالث Napoleon III، أما التطور الأبرز يبقى ذلك الخطاب الذي ألقاه وزير الخارجية البريطاني بنيامين ديزرائيليBenjamin Disraeli سنة 1872 في القصر البلوريCrystal Palace بعنوان " الحفاظ على الإمبراطورية" The maintenance of empire أعلن فيه عن برنامج طموح للتوسع الإمبريالي تزامنا مع بلوغ الحقبة الجميلة للعصر الفكتوري ذروتها.[141]

تشير الإمبريالية إلى علاقة رسمية، أو غير رسمية، تكون فيها دولة ما مسيطرة على السيادة السياسية الفعالة لمجتمع سياسي آخر، ويمكن تحقيق ذلك إما عن طريق القوة أو التعاون السياسي أو عبر التبعية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ببساطة الإمبريالية هي عملية/ سياسة إنشاء إمبراطورية أو الحفاظ عليها، إنها تعبّر عن مواقف المركز المتروبوليتاني Metropolitan الحاكم المسيطر على إقليم بعيد، وغالبا ما تكون الظاهرة الكولونيالية نتيجة لها.[142]

يجنح الأمريكيون اليوم إلى رؤية أنفسهم شعبا مختارا، وُجد على الأرض ليمنح البشرية في كل مكان الأمل وليقوم بأعمال الخير في العالم، و في ما مضى تبنّى الأوروبيون نظرة عالمية مماثلة حول تفوق الحضارة الأوروبية؛ كانوا يعتبرون مسؤولياتهم الأممية/ الدولية تفرض عليهم توظيف ما لديهم من قوة وثروة في سبيل نشر الحضارة حول العالم، تلك هي النظرة التي تعبر عن عنفوان ظاهرة الإمبريالية.[143]

---

140 - Barry Buzan: **«An introduction to the English School of international relations»**. Op. Cit, p, p 48, 102.

141 - Wolfgang J. Mommsen: **«Theories of Imperialism». Translated** by : P.S. Falla, U.S.A : The university of Chicago press, 1980, p3.

142 . وليام د. هارت: " **إدوارد سعيد والمؤثرات الدينية للثقافة**". ترجمة: قصي أنور الذبيان، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، 2011، ط1، ص 136.

143 . روبرت جاكسون: " **ميثاق العولمة: سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول**". مرجع سابق، ص 659.

من أهم المعالم المميزة لاجتماعات اللجنة البريطانية هو الرغبة في استثمار مهارات المنظّرين والممارسين على حد سواء، إذ كان هناك افتراض سائد داخل اللجنة أن النظرية هي نتاج لإفراز الجانب العملي، وآدم واتسون (وأحيانا جون هيوغ واتسونJohn Hugh Watson) كان بطيعة انشغاله في الحقل الدبلوماسي لفترة طويلة أحد المعنيين بدراسة الممارسة والنظرية في العلاقات بين الدول* ؛ إنها متّسع الخبرات التي حاول إسقاطها في كتاب "تطور المجتمع الدولي" أين أبرز أن أي إضاءات في هندسة مشروع تاريخي مقارن يجب أن لا تقتصر على النموذج الأوروبي للمجتمع الفوضوي (وهو واقع مناقشات اللجنة البريطانية) بل أنه من غير الممكن فهم المجتمع الدولي المعاصر دون إلمام معرفي وشعوري بكيفية اشتغال وتطور المجتمعات الدولية في الماضي (سومر القديمة، آشور، اليونان الكلاسيكية، روما، الهند، الصين، النظامين البيزنطي والإسلامي انتهاءً إلى ظهور النظام الأوروبي)[144]، وقد عبّر واتسون عن ذلك بقوله "إن مجتمعنا الدولي الحالي غامض (لغز) إذا نظرنا إليه في عزلة" 'Puzzling if looked at in isolation' [145] .

طبيعة العلاقة بين التاريخ والنظرية كانت من القضايا المركزية التي واجهتها مناقشات اللجنة البريطانية، وفي مناسبات عديدة بدا أن أشغال اللجنة تجابه مأزق "أزمة التاريخانية" Crisis of historicism ، لقد كانت ثمة شكوك عميقة بشأن قيمة التقاليد التاريخية الغربية، ومدى إمكانية الرهان عليها في الوصول إلى معرفة تاريخية موضوعية، ولتجاوز هذا الموقف كان واتسون واضحا في كتابه المشترك مع هيدلي بول " توسيع المجتمع الدولي" حين قال في مقدمة الكتاب" موضوعنا لا يمكن فهمه إلا في منظور تاريخي، وأنه بدون وعي للماضي الذي انبثق عنه لا يمكن للمجتمع الدولي العالمي المعاصر أن يكون ذا معنى"[146] ، وإن أفضل ما اقترحه واتسون لتخطي النموذج الوستفالي هو نموذج النظام الإمبريالي.

---

* . التحق جون هيوغ واتسون (آدم واتسون) بالسلك الدبلوماسي عام 1937، وتقلد مهاما دبلوماسية أثناء الحرب العالمية الثانية في بوخارست، القاهرة، موسكو حيث أنشأ علاقة صداقة طويلة مع جورج كينان. انظر:

Barry Buzan and Richard Little: « **Introduction to the 2009 Reissue ».** In: Adam Watson: « The evolution of international society: A comparative historical analysis ». London And New York: Routledge Taylor and Francis Group, 2009, p xi.

144 - Barry Buzan: **«An introduction to the English School of international relations»**. Op. Cit, p 51.

145 - Adam Watson: **«The evolution of international society: A comparative historical analysis».** Op. Cit, p1.

146 - Hedley Bull And Adam Watson: **«The expansion of International society»**. Oxford: Clarendon Press, 1984, p9.

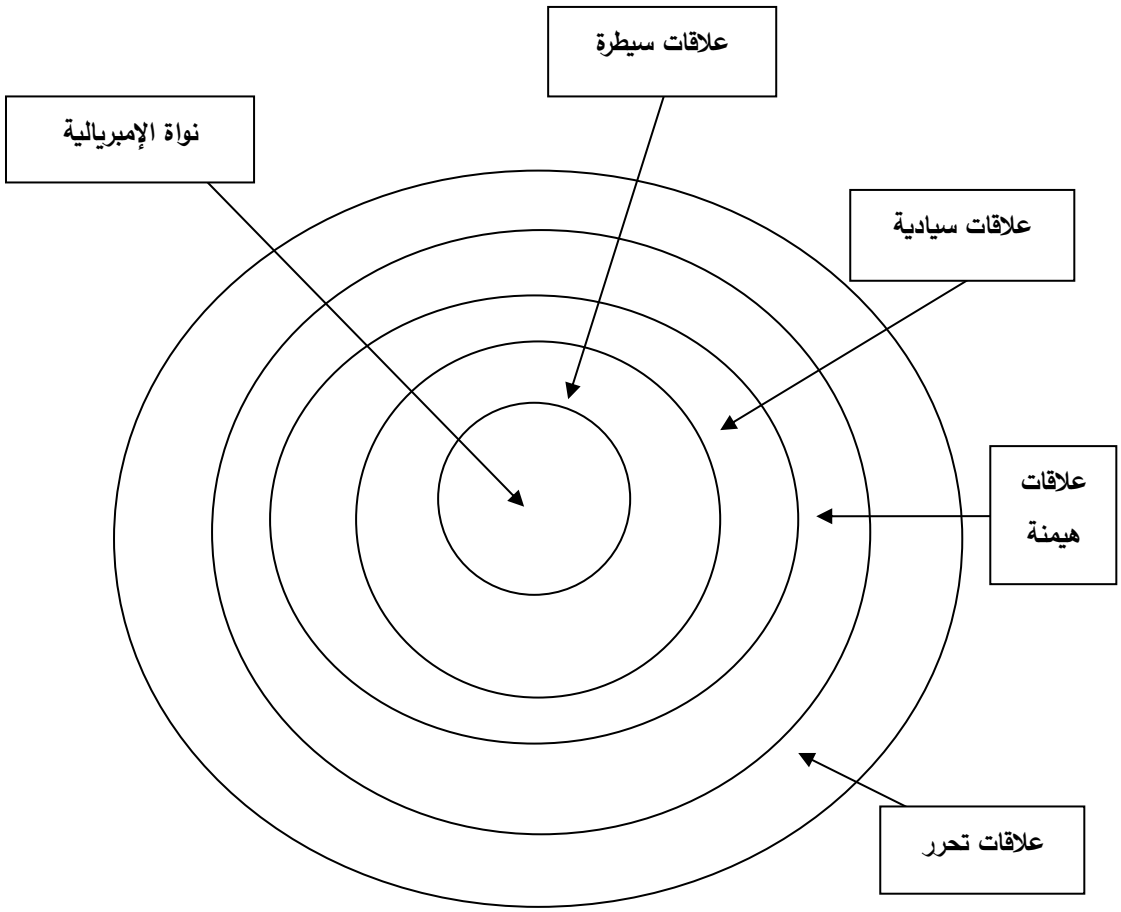

الشكل 3: نموذج النظام الإمبريالي لـ آدم واتسون. المصدر:

Barry Buzan and Richard Little: **« Introduction to the 2009 Reissue ».** Op. Cit, p xxiii.

الخطوة الأولى في سلسلة واتسون هو توسيع الإطار المرجعي للتفكير في العلاقات الدولية ليشمل الإمبراطوريات، ومن ثم قام بتفكيك التمييز الثنائي الوالتزي (نسبة لـ كينيث والتز Kenneth Waltz) للأنظمة إلى فوضوية وهيراركية، وعلى الرغم من أن وجهة النظر التقليدية للإمبراطوريات تتناسب مع النظام الهرمي لـ والتز، إلا أن هذا التخمين حسب واتسون يُبسِّط إلى حد كبير الطريقة التي تمت وفقها هيكلة معظم الإمبراطوريات في تاريخ العالم، لذلك من المناسب نمذجة الإمبراطوريات في سلسلة من الدوائر متحدة المركز، حيث أن قوة الإمبراطورية تضعف كلما امتدت الدوائر إلى الخارج، إلا أنه لا بدa من الإقرار أن سر استمرار معظم الإمبراطوريات طويلة الأمد يكمن في استعدادها لتحمل درجات مختلفة من الاستقلال مع مختلف المجتمعات السياسية التي تقع ضمن نطاق الإمبراطورية.[147]

عندما تقوم السلطات الإمبريالية بضبط السياسات الخارجية وأحيانا بعض المناحي الداخلية لوحدات أخرى فهذا يحدده واتسون بسياسات المجتمعات المسيطرة (Dominion)، أما إذا كانت سلطة الإمبريالية أضعف وتمتد فقط إلى الاعتراف السياسي بسيادة دولة على الآخرين فإن هذا يشير إلى الإقطاعية

[147] - Barry Buzan and Richard Little: **«Introduction to the 2009 Reissue».** Op. Cit, p xxii.

(السيادية) Suzerainty، وفي حالة ما توافرت قوة واحدة أو أكثر مؤهلة لـ ، في ما معناه، "إرساء القانون Lay down the law " حول تسيير أنظمة الدول المستقلة، فهذه إشارات واضحة إلى الهيمنة[148]؛ يمكن للنظام الدولي حسب واتسون أن يضم أكثر من قوة مهيمنة واحدة، لذلك، عندما يأتي ،على سبيل المثال، للنظر في الدول/ المدن الإغريقية يُعرّف كل من أثينا وإسبرطة على أنهما قوتين مهيمنتين، إلا أن المميز في واتسون تقديمه فرضيات جريئة وصفها بالقابلة للتحقيق الإمبريقي، حيث أطَّر فرضياته ضمن " بندول* مجازي" Pendulum metaphorical استقرت فيه "الهيمنة" في الجزء السفلي من الأرجوحة The swing، إلا أنها هي ذاتها نفس النقطة التي يتوقف ويستريح عندها البندول، في إشارة إلى أن هناك ميل طبيعي في العلاقات الدولية لتبني علاقات الهيمنة. [149]

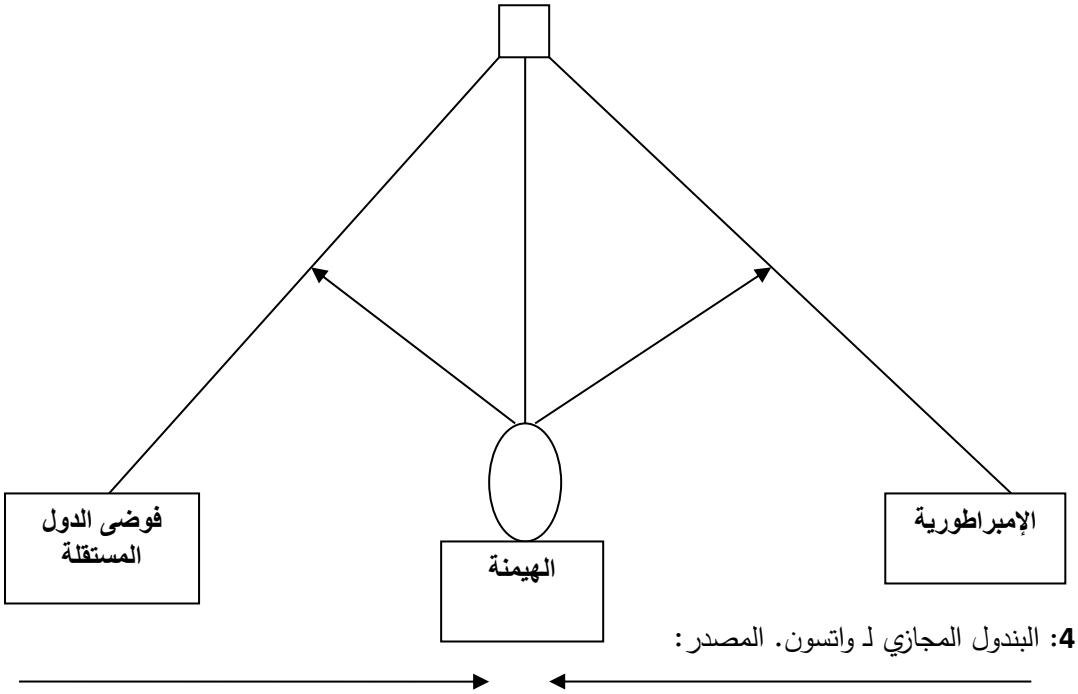

الشكل 4: البندول المجازي لـ واتسون. المصدر:

Barry Buzan: **« An introduction to the English School of international relations »**. Op. Cit, p 54.

يجادل واتسون بأن المجتمعات السياسية تتأرجح رغباتها باستمرار بين تحقيق أكبر قدر من الفعالية تحت مظلة الإمبراطورية من جهة، والاستقلال من جهة ثانية أين يمكنها تحقيق أكبر نجاعة تحت مظلة الفوضى[150]، وبقدر تركيزه على أن الإمبراطوريات سمة هامة من سمات السياسة العالمية بقدر ما يوحي

---

[148] -Barry Buzan: **«An introduction to the English School of international relations»**. Op. Cit, p 52.

* . يسمى في بعض مصادر اللغة العربية النواس أو رقاص الساعة.

[149] - Barry Buzan and Richard Little: **«Introduction to the 2009 Reissue».** Op. Cit, p xxiv.

[150] - Adam Watson: **«The evolution of international society: A comparative historical analysis».** Op. Cit, p14.

هذا بأن التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية مظهر متطور من مظاهر استخدام القوة في العلاقات الدولية؛ صحيح أن كتابات واتسون صيغت قبل تدفق " شلّال المعايير" Norm cascade في أواسط وأواخر تسعينات القرن الماضي، أين اكتسبت هذه المعايير خاصية البداهة التي لا خلاف عليها (حتى وإن لم تكن قد اكتملت بعد)، إلا أن حقوق الإنسان في تلك الفترة عرّضت أنظمة الحكم الداخلية الخاصة بجميع أعضاء المجتمع الدولي لـ " تقويم مشروع" من الأقران الأكثر قوة وهيمنة.[151]

إذًا، من بين كل أطياف العلاقات الدولية كانت المدرسة الإنجليزية الأشد حرصا على فك كل الخيوط المتشابكة المتعلقة بقاعدة التدخل الإنساني، بدءا من اعتبارات التاريخ والحضارة وانتهاء بمقاصد الشرعية أو الهيمنة أو الفوضى، وحتى أن أشهر تضامنيي المدرسة رايموند فنسنت لم يشذ R.J.Vincent عن قاعدة اعتبار فعل التدخل انتهاكا للنموذج التقليدي في العلاقات الدولية[152]، وفيما أسماها باري بوزان بـ "المساهمات المهملة" The neglected contributions في حقل حقوق الإنسان والعلاقات الدولية أعطى جون فنسنت بعدين رئيسيين للحقوق الأساسية: أ . الحق في الأمن (التحرر من الظلم) ب . الحق في البقاء (التحرر من الجوع)[153]؛ وفّرت هذه الفكرة أرضية استفسارية عن المعايير التي تُشرّع القيام بعمل عسكري من قبل المجتمع الدولي أو دول تنوب عنه[154]؛ اتفق جون فنسنت مع والزر في أن التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية يقتصر فقط على حالات القمع الاستثنائية وغير قابل للتنوع بين اليوم والآخر day Not the day . to . variety فإذا بلغ تهديد الحياة حد المجاعة يتوجب على المجتمع الدولي أن يتدخل إنسانيا.[155]

كفرع معرفي في العلاقات الدولية كانت المدرسة الإنجليزية إما ضحية للتجاهل أو أنه أسيء فهم كتابات أعلامها، وحتى محاولة ستانلي هوفمان لتأريخ الحقل والتي تمتد لغاية 1970* توضح كيف تم تجاهل المدرسة الإنجليزية، فقد ادعى هوفمان أنه لم تكن هناك دراسات منهجية معرفية خارج الولايات المتحدة

---

[151] - تيم دان: " **المدرسة الإنجليزية**". في: تيم دان وآخرون، " **نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع**". مرجع سابق، ص 376.

[152] - جون بيلس وَ ستيف سميث: " **عولمة السياسة العالمية**". مرجع سابق، ص 819.

[153] - Ana Gonzalez- Pelaez and Barry Buzan: **«A viable project of solidarism ? The neglected contributions of John Vincent's basic rights initiative ».** International relations, SAGE publication, Vol 17, 3, September 2003, p 321.

[154] - جون بيلس وَ ستيف سميث: " **عولمة السياسة العالمية**". مرجع سابق، ص 826.

[155] - R.J. Vincent: **«Human rights and international relations».** U.K: Cambridge university press, 1ST published, 1986, p, p 126,127.

* . الدراسة المقصودة هي:

Stanley Hoffmann: **« An American social science: International relations ».** The Journal of the American Academy of Arts and Sciences *Daedalus*. Vol 106, No3, p, p 41 ,60.

الأمريكية " فقط مساهمات لامعة كتلك التي قدمها هيدلي بول"، إلا أن عمله " كان غير معتمد وغير مترابط"[156]؛ إلا أن المفارقة تكمن في أن نبوءة هيدلي بول عن القروسطية الجديدة New Medievalism هي التي مكّنت كتاب "المجتمع الأناركي" The anarchical Society الذي نُشر سنة 1977 من أن يكون نبراسا لفهم العديد من القضايا في عالم ما بعد الحرب الباردة.

[156] . تيم دان: " **المدرسة الإنجليزية**". في: تيم دان وآخرون، " **نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع**". مرجع سابق، ص 339.

الفصل الثاني:

التدخل الإنساني
في ظل تحولات الأمم المتحدة، الرأي العام، السيادة وحقوق الإنسان

أفْرَدَ تقرير التنمية البشرية الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP's سنة 1994 فصلا كاملا لمفهوم "الأمن البشري" Human security؛ بدا توقيت التقرير ملائما جدا، ليس فقط بسبب نهاية

الحرب الباردة بل أن الأحداث التي شهدتها بعض مناطق العالم أوائل التسعينات ساهمت في إبراز تداعيات غير تقليدية تطرّق لها التقرير؛ هذه الفكرة لم تبق كامنة في رفوف المكتبات، حيث بادرت مجموعة من القوى المتوسطة Middle powers (كندا، النرويج، النمسا، تشيلي، اليونان، إيرلندا، الأردن، هولندا، سلوفينيا، سويسرا وتايلند) إلى التكيّف مع مفهوم الأمن البشري وإدراجه كأحد الجوانب البارزة في سياساتها الخارجية؛ غير أن الملاحظ تركيز مقاربات هذه الدول على " التحرر من الخوف" Freedom from fear كركيزة للأمن البشري بدل "التحرر من الحرمان" Freedom from want التي وردت في تقرير UNDP's [157]، كان هذا إيذانا بترديد أصداء " فكر كانط"، أي أنّ الأمن العالمي سيتّسع لما بعد حماية الحدود ليشمل حماية الناس، ولا مجال للعودة مجددا إلى قضايا ضيقة من قبيل النخب الحاكمة أو المصالح الحصرية للدولة، ذلك ما أكّدته مجددا "اللجنة المهتمة بالحكم العالمي" أواسط التسعينات، وبالتالي أضحت قاعدة "عدم التدخل" وغيرها من المباديء الوقائية والشّفعية في العلاقات الدولية محل تهديد؛ تبقى هذه التطورات شاهدة على انتشار" ثقافة كوزموبوليتانية عولمية" تغدو فيها الحدود بين المجتمع الداخلي ونظيره الدولي أكثر تشوّشا وغموضا، خاصة في ظل تراكم المزيد من المعاهدات والمواثيق المتعلقة بالتشريع الدولي لحقوق الإنسان[158]، ذلك بالضبط هو ثمرات الانبهار العالمي المتنامي بنموذج " التسامي الكانطي" Kantian sublime، غير أنه كل من حاول التقاط نظرية كانط في الأمن البشري إلا وضلّ الطريق، لا لشيء سوى لإسقاطه الوزن المبدئي لـ " سيادة الدول"؛ هذه الأخيرة ظلت ضمانة دولية تقضي ببقاء الدول متحررة من التدخل الأجنبي، ولو جرى فعلا اعتماد عقيدة كانط حول أمن البشر لانْعكسَ ذلك في نزوع تاريخي لتقييد "حق الحرب"، ولا يغدو هذا أن يكون أقل من انقلاب ثوري في كيان المجتمع الدولي[159].

تمّت الإشادة بـ كانط منْ مجموعة منَ "المؤسساتيين" الذين أثنوا على أفكاره الجمهورية بوصفها أساسا للسلام الديمقراطي الجدير بالإشادة إنْ كان في اتحاد سلمي يحكمه قانون كوزموبوليتاني، لذلك قليل من يزدري مثل هذا المديح، غير أن أكاديميي " ما بعد الاستعمارية" يطرحون أسئلة عن جدوى نظام دولي مؤسَّس على أفكار كانط، ويُرشدون إلى أن تمثيلاته للقرن الثامن عشر شابتْها عديد الفجوات أثّرت حتما على صحة نظريته، فالعودة إلى مصادر "حقوق الإنسان" و "السيادة" هي بمنزلة نقطة انتقاد للمؤسساتيين

---

[157] - S. Neil MacFarlan and Yuen Foong Khong: **«Human security and the UN: A critical history».** U.S.A : Indiana university press, 2006, p, p 225, 226.

[158] . روبرت جاكسون: " **ميثاق العولمة: سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول**". مرجع سابق، ص، ص 385، 386.

[159] . نفس المرجع، ص، ص 389، 390.

المعاصرين الذين يسعون دائما إلى تغيير العالم الحاضر دون إعطاء اهتمام لتعقيداته والمخاطر المتنوعة المحدقة بهذا التغيير[160].

ضمنيا، هذا الفصل هو حوار مؤسساتي/ ما بعد استعماري حول التدخل الإنساني استنادا إلى التحولات الدائمة في المؤثرات الأربعة الأكثر تأثيرا في حضوره: منظمة الأمم المتحدة، الرأي العام، السيادة وحقوق الإنسان.

المبحث الأول: التدخل الإنساني في ظل أزمات الأمم المتحدة وتأثير الرأي العام

ليس اعتباطيا أن يتم الربط بين منظمة الأمم المتحدة والرأي العام، ففي عام 1937 أظهر استطلاع للرأي أجراه " المعهد الأمريكي للرأي العام" AIPO (والذي أنشأه جورج جالوب George Gallup) أنّ 26 % فقط من الأمريكيين أرادوا الانضمام إلى عصبة الأمم، إلا أنه فور انتهاء الحرب العالمية الثانية أشارت AIPO إلى إعراب 87% من الأمريكيين عن موافقتهم الانخراط في منظمة لحفظ السلام؛ وتعتبر بداية تسعينات القرن الماضي مرحلة انبعاث التقييمات الإيجابية للأمم المتحدة، خصوصا بعد جهود المنظمة في مساعدة قوات التحالف على طرد القوات العراقية من الكويت؛ على سبيل المثال في عام 1994 أشار استطلاع "برنامج توجهات السياسة الدولية " PIPA إلى أن 84 % من الأمريكيين يؤيدون فكرة عمليات حفظ السلام الأممية، إلا أنه وبعد سنة فقط، أي تزامنا مع مستنقع البوسنة، انخفضت النسبة إلى 67 % فقط[161]؛ تاريخيا تَكتسب التدخلات الإنسانية شرعيتها وقانونيتها من درجة تأييد الرأي العالمي لها.

المطلب الأول . الأمم المتحدة والتدخل الإنساني

منذ ثيوسيديديس إلى بسمارك Otto Von Bismarck اتّجهت الدول إلى تعريف نفسها عبر التمسك بالسيادة والاستقلال، إلا أنها نسّقت تدريجيا مع بعضها لإقامة منظمات دولية تدعم السلام وتكبح جماح العدوان، وتُرتب الأمور الدبلوماسية وتصوغ مجموعة القوانين الدولية، كما تشجع التنمية وتعزز الرفاهية؛ غير أن قيام هذه الشبكة التي تندرج في إطار "الحاكمية العالمية" Global governance لم يحدث على نحو مطرد وسلس، حيث مر بإخفاقات عديدة، ولقي مقاومة شرسة من أولئك الذين شعروا أن قيام مثل هذا الاتجاه سيهدد سلطتهم وينقص ما يحوزونه من امتيازات، لذلك كان كل صوت مؤيد للتعاون الدولي يقابله

---

[160] . سيبا غروفوغوي: " **ما بعد الاستعمارية**". في: تيم دان وآخرون (محررون): " نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع"، مرجع سابق، ص 571.

[161] - Christopher S. Leskiw: «**The United Nations**». In : Jhon G. Geer (Ed) : « Public opinion and polling around the world : A historical encyclopedia. Volume1 ». U.S.A : ABC-CLIO, INC, 2004, p, p 365,368.

صوت يحذر من تداعي السيادة الوطنية، ولا يزال الجدل، لحد اليوم، محتدما بشأن هذه القضية، ولعل "منظمة الأمم المتحدة"United Nations Organization، التي تأسست سنة 1945 على أيدي الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية، هي أكثر تلك الهيئات شهرة وطموحا، ليس فقط كونها وريثة ملامح التعاون الدولي عن "عصبة الأمم" (التجربة الأولى في هذا الميدان) بل لأن اختصاصها وصلاحياتها كان أوسع نطاقا، سواء في الشؤون الاقتصادية أو فض المنازعات الدولية أو مجال حقوق الإنسان.[162]

إن جهود منظمة الأمم المتحدة للحد من وطأة الفقر وتعزيز التنمية والتحول الديمقراطي، بما في ذلك تقديم المساعدة الانتخابية والتربية المدنية، قد أصبحت تدريجيا أكثر تكاملا وشمولا، كل هذه الجهود يمكن أن توصف بأنها مسعى لـ "بناء السلم الوقائي" Preventive peace – building تستهدف معالجة الأسباب الجذرية للصراع.[163]

ضم مؤتمر سان فرانسيسكو San Francisco (1945) 282 مندوبا من 46 دولة للتداول حول مشروع ميثاق جديد لمنظمة الأمم المتحدة، وبمشاركة آلاف المستشارين والصحفيين والمترجمين تداولوا، من نهاية أفريل إلى غاية 25 جوان، ما يقارب نصف مليون وثيقة أفرزت عن لحظة دستورية هامة في التاريخ الدولي الحديث.[164]

بحسب مايكل بارنت Michael Barnett فإن قوات الأمم المتحدة نشأت في المقام الأول على أساس قدرتها الإقناعية بدلا عن الإجبار أو الإكراه، وبحسب جوزيف ناي فإنه يمكن للأمم المتحدة أن ترفع راية القوة اللينة Soft power بما تحتويه من جاذبية تمنحها قدرا وافيا من السلطة، إلا أنه لا مجال للحديث عن أي قوة لينة للمنظمة، أو الدولة، ما لم تتمتع بالشرعية Legitimacy .[165]

الفرع 1 . أزمات الشرعية في " النزعة التدخلية الجديدة"

منذ البداية استخدم مصطلح الشرعية في الميادين ذات الصلة بالشؤون القانونية التي تحتوي على مفاهيم سياسية واضحة، فقد وظّف شيشرون تعبيرات Legitimum imperium و Postestas legitima عندما

---

[162] . بول كينيدي: " **برلمان الإنسان. الأمم المتحدة: الماضي، الحاضر، المستقبل**". ترجمة: رؤوف عباس، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2008، ص 17.

[163] - Oliver P. Richmond: **«The limits of UN multidimensional peace operations»**. In : « The United Nations and human security ». (Ed : Edward Newman and Oliver P. Richmond). New York : Palgrave, first published, 2001, p 31.

[164] - Ian Hurd: **«After anarchy: legitimacy and power in the United Nations Security Council».** New Jersey : Princeton university press, 2007, p 83.

[165] - Ian Hurd: **«After anarchy: legitimacy and power in the United Nations Security Council».** Op. Cit, p14.

أشار إلى السلطة والحكام المعينين بصورة شرعية قانونا، أو عندما قام بتمييز العدو الشرعي Legitimus hostis عن السارق أو القرصان، بداعي أن هناك معاهدات كانت قد أبرمت مع الأول، وهي وثائق تتمتع بقيمة الشرعية القانونية، وبالعودة إلى نصوص القرون الوسطى، التي ظهر فيها مدلول كلمة الشرعية للمرة الأولى، فإنها تشير إلى فكرة "مطابقة القانون"، في حين تأكدت صفتها السياسية بخاصية " تبرير تفويض السلطة"، أين عُرضت كنشاط سياسي ساري المفعول ولكن على نحو قانوني، وفي هذا الصدد فإن صاحب السيادة لا يؤسس القانون لكنه يتولى سلطته بموجبه.[166]

يحدّد باحثو الشرعية ثلاثة مقتربات يمكن وفقها تحديد وقياس قوتها ونشاطها:[167]

اقتراب " العواقب . الإيجابية" The « favorable outcomes » approach: يكون البشر أكثر ميلا للموافقة على المؤسسات التي توفر لهم المنافع المادية، أين تكون الشرعية في هذه الحالة مستمدَّة من القدرة على تلبية المصالح الذاتية، وهذا هو الأساس الذي استند إليه هابرماس في حديثه عن أزمة الشرعيةLegitimation crisis في الأنظمة الرأسمالية الحديثة التي قد تكون مهددة إن عجزت عن توفير الحماية التي وعدت بها دولة الرفاه، كما اعتقد روبرت جيلبين Robert Gilpin أن ازدياد موجة القومية الاقتصادية والتكتلات التجارية الإقليمية وَضعَ الدولة في موقف صعب إزاء تلبية مصالح المواطنين في ظل اقتصاد عالمي منخرط أفقيا ورأسيا في العولمة.

اقتراب "الإنصاف" Fairness approach: الإنصاف عنصر أساسي في الشرعية، خصوصا أن الامتثال للمعايير الدولية يرتبط مباشرة بما إذا كانت الدول تنظر إليها على أنها نزيهة؛ وبفعل هيمنة عدد قليل من البلدان على مجلس الأمن قد تكون قرارات المنظمة عاتمة وغير عادلة، بتعبير إريك فوتن Erik Voeten.

الاقتراب "الإجرائي" The procedural approach: لا تهتم المدرسة الإجرائية بعدالة الإجراء من عدمه بقدر ما تولي أهمية أكبر لـ "صحة الإجراء" Correct procedure الذي هو سمة مميزة لترشيد الحكم الشرعي، إذ أن التشريع يمكن بلوغه، حسب هابرماس وقبله ماكس فيبر، عبر تيسير عملية تبادل الحجج المقنعة والمعقولة التي تفضي في النهاية إلى اتفاق جميع الأطراف، وبما أن القواعد التي تصدر على

---

[166] . جان سارك كواكو: " **الشرعية والسياسة: مساهمة في دراسة القانون السياسي والمسؤولية السياسية**". ترجمة: خليل إبراهيم الطيار، عمان: المركز العلمي للدراسات السياسية، 2001، ص 37.

[167] - Ian Hurd: **«After anarchy: legitimacy and power in the United Nations Security Council».** Op. Cit, p, p 67, 72.

أساسها الإجراءات تكون، في الغالب، من سلطة مختصة، فإن هذا يجعلها مقبولة وتحظى بالدعم الفعال حتى وإن تعارضت مع مصالح بعض الفئات.

بحسب بعض الخبراء فإن بعثات المراقبة الأممية إلى كشمير (1948) قبرص (1964)، مرتفعات الجولان (1974) و جنوب لبنان (1978) كانت سندا للاحتفاظ بالوضع القائم Status quo محليا وإقليميا بدلا من أن تعمل على تعزيز الأمن البشري، هذا الأخير سيكون منطقا لإنفاذ السلام Peace enforcement، مساندا للتفوق المعياري Normative superiority، ومُشرعنًا لسلوكيات المنظمة، فبعد انتهاء الحرب الباردة نما محوران رئيسيان داخل الأمم المتحدة هما: الجيل الثاني لقوات حفظ السلام متعددة الوظائف، الذي اضطلع، إضافة لمهامه التقليدية، بمكوّنات جديدة ترمي في الأساس إلى ترسيخ العملية الديمقراطية، والجيل الثالث الذي كانت مهامه تنفيذية ميدانية، وقد تباينت الخبرات في هذا الشأن، فبينما سجلت القوات نجاحا نسبيا في ناميبيا، السلفادور، كمبوديا، موزمبيق والصومال، أخفقت بالمقابل في البوسنة و رواندا، ويُعزى ذلك جزئيا إلى المشاكل الناشئة في مجلس الأمن، وتعرّضه للتسييس المفرط بفعل استقطابات السياسة الداخلية الأمريكية وطبيعة تبنيها لسياسة خارجية تتماوج بين التدخلية Interventionism أحيانا، و الانعزالية Isolationism أو الأحادية Unilateralism في أحيان أخرى.[168]

إن معظم الانتهاكات الخطيرة لحقوق الإنسان، في منتصف التسعينات، تمّت على أيدي قوات فوضوية تابعة لمليشيات انفصالية، أو جرت في سياق حرب أهلية تبادل فيها أطراف الصراع ارتكاب الفضائع، بعبارة أخرى أُرتكبت هذه التجاوزات بواسطة جماعات لم يكن لها وجود في مؤتمر فيينا سنة 1993، ولم تكن (الجماعات) معنية بالجدل الذي دار في المؤتمر حول مواجهة سيادة الدولة للحقوق الفردية والدولية، كما أنها لم تشهد من قبلُ أي مؤتمر نظمته منظمة الأمم المتحدة، وكان هذا سببا مباشرا في إثارة أسئلة هامة حول طبيعة الدولة ذاتها وقدرتها المفترضة على حماية مواطنيها، ففي منتصف التسعينات كان المجتمع الدولي مهموما بظاهرة " انهيار الدول" State collapse وهو ما لم يَدُر بخلد الآباء المؤسسين للأمم المتحدة.[169]

في ظل هذا الانحدار برزت بعض المقترحات، مع حلول العيد الخمسيني للأمم المتحدة سنة 1995، تدعو إلى تنشيط مجلس الوصاية The trusteeship council (الذي أحدثته الأمم المتحدة سنة 1945، ونصَّ عليه الفصل الثاني عشر من الميثاق الأممي) ليمارس مهامه على هذه الدول المتفككة، إلا أن هذه

---

[168]- Oliver P. Richmond: **«The limits of UN multidimensional peace operations».** Op. Cit, P.P 34, 35.

[169] . بول كينيدي: " **برلمان الإنسان. الأمم المتحدة: الماضي، الحاضر، المستقبل**". مرجع سابق، ص، ص 284، 285.

الدعوات تبدو بعيدة عن الواقع وغير ممكنة سياسيا، حيث خصّت المادة الـ 77 من ميثاق الأمم المتحدة أقاليم جغرافية معينة (11 إقليم) يطالها نظام الوصاية، هذا الأخير ستنتهي مهامه التقليدية عمليا بمجرد استقلال هذه الأقاليم واستقرار أحوالها*، كما تنص المادة 78 من ذات الميثاق على أن نظام الوصاية لا يطبَّقُ على الأقاليم التي تتمتع بالعضوية في منظمة الأمم المتحدة.[170]

مع توالي الضغوطات نتيجة إخفاقات ميدانية سابقة، وأمام لا أخلاقية ولا عقلانية طرح العودة إلى العمل بنظام الوصاية، كان أمام منظمة الأمم المتحدة تحديات جمّة في سبيل شرعنة ما سماه مايكل دويل Michael Doyle و نيكولاس سامبانيس Nicholas Sambanis بـ"النزعة التدخلية الجديدة" The new Interventionism، ويعكس نشاط مجلس الأمن بوضوح هذا التوجه الحديث، حيث تضاعفت القرارات الصادرة عنه خلال الفترة الممتدة بين 1987 . 1994 أربع مرات، كما تضاعفت العقوبات الاقتصادية سبعة مرات، وزاد عدد القوات العسكرية المساهمة في حفظ السلام من 10000 إلى 70000، أما الأكثر ملاحظة فهو زيادة ميزانية حفظ السلام السنوية من 230 مليون دولار إلى 3.6 مليار دولار وهو ما يعني ثلاثة أضعاف الميزانية التشغيلية العادية للأمم المتحدة.[171]

استتبع ذلك تعيين الأمين العام، في مارس من سنة 2000، " الفريق المعني بعمليات الأمم المتحدة للسلام" بغية تقييم أوجه القصور في النظام القائم آنذاك، وتقديم توصيات من أجل التغيير والإصلاح، ترأّس هذا الفريق "الأخضر الإبراهيمي" وقد سمي التقرير باسمه (Brahimi report)، أين دعا فيه إلى التوصيات التالية: إجراء تغيير مؤسسي ملموس، زيادة الدعم المالي وتجديد الالتزام السياسي من جانب الدول الأعضاء.

رغم استحداث "دائرة عمليات حفظ السلام" Department of peacekeeping operations (DPKO)، إلا أن "تقرير الإبراهيمي" أكد على أن الأمانة العامة للأمم المتحدة تفتقر للتنسيق مع عمليات حفظ السلام الميدانية، وفي هذا الصدد قد تكون في حاجة إلى استشارات وخبرات مختلف الوكالات الإنسانية والتنموية، كما أشار ذات التقرير إلى افتقار الأمانة للمهارات وعدد الموظفين اللازم لتنفيذ عملية مسلحة واسعة النطاق، ناهيك عن قِصر المسافة النفسية المطلوبة لإيقاع العقوبات القسرية؛ قد تتطلب الإجراءات

---

* . علّق مجلس الوصاية أعماله مع تحقيق آخر إقليم لاستقلاله وهو جزر بالاو Palau في ديسمبر 1994، انظر في ذلك:

Brian Deiwart: **"A new trusteeship for world peace and security: Can an old league of nations idea be applied to a twenty - first century Iraq?"**. Indiana International & Comparative Law Review. Vol 14: 3, 2004, p1994.

[170] - Carsten Stahn: **«The law and practice of international territorial administration: Versailles to Iraq and beyond»**. Cambridge: Cambridge university press, 1st published, 2008, p 440.

[171] - Michael W. Doyle and Nicholas Sambanis: **«Making war and building peace: United Nations peace operations».** New Jersey: Princeton university press, 2006, p6.

العسكرية تنسيقا وثيقا بين جمع المعلومات الاستخباراتية والعمليات، وقد لا تتاح هذه المطالب إلا في ظل توافر خبرات ودقة القوات المسلحة الوطنية والتحالفات العسكرية أكثر من أن يتولاها هيكل قيادة منظمة الأمم المتحدة.

من جانب آخر، قيادة وسيطرة الأمم المتحدة على إستراتيجية كبرى وعميقة في بيئة متعددة الأطراف يعد مشكلة في حد ذاته، فقد يحدث ألّا تثق كتائب إحلال السلام (التي غالبا ما تكون مسلحة تسليحا خفيفا) في قائد، من جنسية مغايرة، لقوات الأمم المتحدة، ما يدفعها من تلقاء نفسها إلى المبادرة بأخذ واجب الرعاية للحد من المخاطر.[172]

من الجدير بالذكر أن ميثاق الأمم المتحدة لا يحتوي على أي إشارة لحفظ السلام، ما يعني أنه نموذج للمرونة والتطور في الكيفية التي فَسّرت بها الحكومات والأفراد القواعد الأصلية، التي كانت من إبداعها، على ضوء أحداث ملحة لم تكن في الحسبان، وإنه لمن مفارقات التاريخ أن جنودا من السويد، الدنمارك، فرنسا، إيطاليا أمعنوا في سفك الدماء وإضرام الحرائق في أوروبا منذ أربعة قرون، يُرسَلون اليوم في كتائب لحفظ السلام إلى كل مكان، من الكونغو إلى الشرق الأوسط. [173]

قد تستجيب الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن للضغوطات الناجمة عن الحروب الأهلية، إلا أنها نادرا ما تتحمس لمعالجة أزمة الموارد المالية واللوجستية في منظمة الأمم المتحدة، بمعنى أنه في أغلب الأحيان لم تتماش عملية تعيين بعثات عمليات حفظ السلام مع منطق توفير وسائل كافية تضمن عملا ناجحا لهذه البعثات، إن لم تكن هناك بوادر أن تساهم هذه الأخيرة في تحقيق المصلحة الوطنية الضيقة، وفي هذا الجانب أعلن الرئيس الأمريكي بيل كلينتون في كلمة أمام الجمعية العامة في 27 سبتمبر 1993 " في مجلس الأمن، بدأت أوطاننا تطرح أسئلة صعبة حول مقترحات عن بعثات حفظ السلام الجديد: هل هناك تهديد حقيقي للسلام؟ هل البعثة المقترحة لها أهداف واضحة ومحددة؟ وهل يمكن تحديد نقطة النهاية لأولئك الذين سيطلب منهم المشاركة؟ وكم ستكون تكلفة المهمة؟ من غير المعقول أن تكون منظمة الأمم المتحدة طرفا في كل صراعات العالم. إذا كان الشعب الأمريكي يقول "نعم" لعمليات حفظ السلام الأممية، يجدر بمنظمة الأمم أن تعرف متى تقول " لا".[174]

من المأثورات الكلاسيكية الشهيرة في التاريخ العسكري إعلان نابليون بونابرت أن "الجيوش تمشي على بطونها" Une armée marche sur son estomac في إشارة إلى أهمية الناحية الغذائية، اللوجستية

---

[172] - Michael W. Doyle and Nicholas Sambanis: **«Making war and building peace: United Nations peace operations».** Op. Cit, p, p 188, 189.

[173] . بول كينيدي: " **برلمان الإنسان. الأمم المتحدة: الماضي، الحاضر، المستقبل**". مرجع سابق، ص 121.

[174] - Michael W. Doyle and Nicholas Sambanis: **«Making war and building peace: United Nations peace operations».** Op. Cit, p, p 189, 191.

والقوت المادي في بدء ومواصلة العمليات[175]، ذلك ما ركّز عليه تقرير الإبراهيمي، إلا أن المحاولات الإصلاحية والتقارير اللاحقة ركزت في مجملها على كيفية بناء عقيدة عسكرية Military doctrine لمنظمة الأمم المتحدة في ظل امتعاض البعض وعدم ثقة البعض الآخر في أن تستطيع الولايات المتحدة تحمل تبعات التدخلات لوحدها سواء ماديا أو بشريا.

تصدر الوثائق الخاصة بالعقيدة العسكرية لقوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة عن دائرة عمليات حفظ السلام (DPKO) وعن قسم الدعم الميداني Department of field support (DPS) التابع لها، وتُقسّم الوثائق إلى ستة سلاسل إرشادية رئيسية مُرقّمة من 1000 إلى 6000، حيث أن الوثائق المدرجة تحت السلسلة رقم 1000 تعرف بالعقيدة العليا الرئيسة أو "عقيدة كابستون" Capstone doctrine، وهي تغطي المبادئ الأساسية والمفاهيم العامة لتخطيط وإدارة عمليات حفظ السلام والعوامل المؤثرة على نجاحها.[176]

إن تحقيق مستوى من السلام يمكن الحفاظ عليه، حسب مذهب كابستون، يتطلب إنجاز تقدم ملحوظ في أربعة مجالات:

- تدعيم سيادة القانون واحترام حقوق الإنسان.
- استعادة الدولة لقدرتها على توفير الأمن والحفاظ على النظام العام.
- دعم قيام المؤسسات الشرعية وعمليات المشاركة.
- تنمية وتطوير التعافي الاجتماعي والاقتصادي، بما في ذلك إعادة المُرحّلين والنازحين واللاجئين من الأفراد المتضررين نتيجة الصراع.

تجمع إستراتيجيات بناء السلام الدولي بين صنع السلام Peace Making، حفظ السلام Peacekeeping، إعادة الإعمار فيما بعد النزاع Postconflict reconstruction، والإنفاذ Enforcement (إذا اقتضت الحاجة)، ويشترط أن تكون الإستراتيجية الانتقالية فعّالة تأخذ بعين الاعتبار مستويات العداء والقدرات الفئوية، كما يجب أن تتضمن تصاميم الانتقالات مزيجا من القدرات القانونية والبيروقراطية التي تتكامل معها مجموعة أخرى من الطرائق المحلية والالتزامات الدولية.[177]

---

[175] . بيرت تشابمان: " **العقيدة العسكرية: دليل مرجعي**". ترجمة: طلعت الشايب، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2015، ص 11.

[176] ـ نفس المرجع، ص 175.

[177] - Michael W. Doyle and Nicholas Sambanis: **«Making war and building peace: United Nations peace operations».** Op. Cit, p 63.

يتم تحديد المساحة المتاحة لبناء السلام عبر تفاعل ثلاثة متغيرات: القدرات المحلية Local capacities، القدرات الدولية International capacities وَ مستوى العداء Hostility، فكلما زادت وفرة القدرات المحلية والدولية وتضاءلت مستويات العداء كلما كانت فرص بناء السلام أكبر، وبالنظر إلى دعم الدول ذات السيادة للقدرات الدولية واكتسابها الشرعية في القانون والأعراف الدولية، فإن هذا يخول لها (القدرات الدولية) مستوى إيجابي ثابت (ق د 0) لا يمكن أن تكون معه منعدمة، ويمكن قياس المتغيرات الثلاثة وفق " مثلث بناء السلام" A peacebuilding triangle الذي تحكمه المؤشرات من 0 . 1 كحد أقصى.

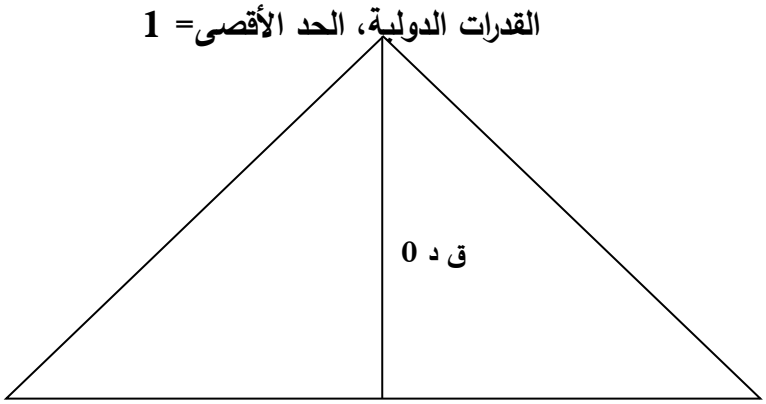

شكل رقم5: مثلث بناء السلام، المصدر:

- Michael W. Doyle and Nicholas Sambanis: **«Making war and building peace: United Nations peace operations».** Op. Cit, p 64.

في عالم يُتوقع أن يكون فيه كل متغير من المتغيرات الثلاثة ذو دور محدود، يجب أن يكون هناك تخطيط مسبق تراعى فيه بشكل دقيق النقاط التالية:[178]

- أنّ التنازلات ستكون ضرورية أحيانا من أجل تحقيق بناء السلام.
- أنّ الأدوار الدولية يجب أن تكون مُصمَّمة لتتناسب مع كل حالة على حدى.

[178]. Michael W. Doyle and Nicholas Sambanis : **« Making war and building peace : United Nations peace operations ».** Op. Cit, p 64.

- أنّ " نمو السلام الذاتي" Self sustaining peace ليس فقط هو الهدف الصحيح، بل عمليا هو الغاية الضرورية لبناء السلام، أين قد يكون المجتمع الدولي ليس على استعداد لتقديم المساعدات في المدى الطويل.

تبدو النزعة النيو . ليبرالية التي يطرحها "دويل" وَ "سامبانيس" مفرطة في النظرة التفاؤلية بشأن " الأدوار الإنسانية المستقبلية لمنظمة الأمم المتحدة"، إلا أن هذا قد يجد ما يبرره في ظل إخفاق نظرية " الواقعية الجديدة" في تفسير الانقسامات العرقية والدينية ودور عامل الأساس الطبقي في نشوب الحروب الأهلية؛ بشكل عَرَضي ترتبط الواقعية الجديدة مع الحروب الأهلية نظرا للدور المركزي الذي توليه لمفهوم الفوضى Anarchy، ففشل الدولة، الذي كثيرا ما يرتبط بظروف الحرب الأهلية، يولّد حالة الفوضى المحلية التي توازي حالة الفوضى الدولية، إلا أن الواقعية الجديدة قد تكون ذات فائدة فقط في تفسير أنماط العنف، بدلا عن تبيان الأسباب والآثار المباشرة للفوضى المحلية وهو ما قد تبرع فيه الليبرالية الجديدة، هذه الأخيرة بدورها قد تشوبها أوجه قصور من جانب عجزها عن تفسير استخدام القوة في العداوات العرقية وعدم إمكانية شرحها لأنماط التحالف والصراع بين الجماعات المتمردة والحكومة، وهكذا ،وبشكل عام، يبدو أن فائدة نظريات العلاقات الدولية في تحليل عمليات بناء السلام بعد الحروب الأهلية تبدو محدودة.

مبدئيا، تختلف عمليات حفظ السلام عن التدخلات الإنسانية في عدة أوجه، حيث تتطلب الأولى الموافقة الصريحة من الدولة المضيفة، وهو ما لا يعتبر ضروريا في حال التدخل الإنساني، كما أن عمليات حفظ السلام تجري ،نظريا، تحت إشراف الأمين العام للأمم المتحدة، في حين يُعنى مجلس الأمن الدولي بالإشراف على التدخلات الدولية الإنسانية، إلا أنه بعد الحرب الباردة نمت نبرة تفاؤلية في أهمية أن تناط للأمم المتحدة أدوار أكثر إنسانية، لاسيما بعد موجة تقارير الأمناء العامين تجاه الانتهاكات الإنسانية، وهي التقارير التي اعتبرت بمثابة نقلة نوعية لمهام الأمين العام من الطابع الإداري إلى السياسي. [179]

بقدر ما أصبحت صلة الأمم المتحدة بالتدخل الإنساني أكثر مطلبية ووضوحا، بقدر ما أصبحت أكثر تعقيدا، وهذا في ظل تباين متزايد في وجهات النظر حول معالجة الأزمات الأمنية بين الغرب من جهة وروسيا والصين من جهة أخرى[180]، إنها أزمة تمس مباشرة مصداقية أقوى جهاز في المنظمة وفي تاريخ نظام الدولة . القومية: مجلس الأمن الدولي.

---

[179] . معمر فيصل خولي: " **الأمم المتحدة والتدخل الدولي الإنساني**". القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، د.س. ن، ص، ص 7، 9.

[180] - Aglaya Snetkov and Marc Lanteigne: **"The loud dissenter and its cautious partner - Russia, China, global governance and humanitarian intervention".** International relations of the Asia-Pacific. Vol 15, no 1, Oxford : Oxford university press, p 113.

الفرع 2 . مجلس الأمن الدولي والتدخلات الإنسانية

لا يشبه مجلس الأمن أي هيئة أخرى في تاريخ البشرية، حيث يمثّل أعضاؤه الخمسة الدائمون (الصين، الولايات المتحدة، فرنسا، المملكة المتحدة، روسيا) نحو 30 % من عدد سكان العالم، ويُنتجون أكثر من 40 % من الناتج الاقتصادي العالمي، وفيما يخص الشأن العسكري يحوزون مجتمعين على 26 ألف رأس نووي (ما يعادل 99 % من الرؤوس النووية الموجودة في العالم) مع جيوش قوامها البشري 5.5 مليون نسمة.[181]

عرف العالم الدول الكبرى طوال التاريخ، فقد حظيت الإمبراطورية الرومانية بالقوة، وحصلت على كثير من الامتيازات بما يفوق ما كان للغال Wales أو البريطانيين القدماء، كما فاقت إمبراطورية " تشي أن" 朝秦 جميع منافساتها في آسيا، وفي عامي 1814 . 1815 نشأت خماسية من الدول الأوروبية (النمسا، روسيا، فرنسا، بروسيا، بريطانيا) أدارت نظام السلام الذي أعقب الحروب الكبرى التي شهدها القرن الثامن عشر، وعندما سقط هذا التوافق الأوروبي سنة 1914 دفع الصراع المدمر كبار المنتصرين إلى صياغة نظام يحقق نوعا من الرابطة بينهم عام 1919، ومع إشراف الحرب العالمية الثانية على نهايتها التقت مجموعة دول مختارة من الدول الكبرى لتضع تصميما للنظام العالمي الجديد سنة 1945، لذلك لا غرابة، وفق الاستدلالات التاريخية الآنفة، أن يَخصّوا أنفسهم بامتيازات معينة، بل إن لم يفعلوا لكان ذلك مثارًا لتعجّب معاصريهم.[182]

يعكس تأسيس مجلس الأمن الرغبة القوية لمنشئي الأمم المتحدة في أن تؤدي المنظمة دورا متزايد الأهمية في المحفل العالمي على اعتبارها المنوطة بالتصدي للأخطار، وتحقيقا لهذه الغاية يعترف ميثاق الأمم المتحدة بمجلس الأمن بوصفه الهيئة التي تتحمل المسؤولية عن صون السلم والأمن الدوليين (المادة 24)، ويتحقق ذلك بثلاثة طرق: أولا، على النحو المبين في المادة 26 والتي تنص بأن يضع المجلس منهاج تسليحٍ بالتنسيق مع لجنة أركان الحرب المشار إليها في المادة 47، ثانيا، حالات المنازعات الدولية التي يمكن أن تهدد السلم والأمن الدوليين تسوّى بطريقة سلمية على أساس الأساليب المنصوص عليها في الفصل السادس، ثالثا، يخوّل مجلس الأمن اتخاذ الإجراءات اللازمة لمعالجة حالات تهديد السلم والإخلال به ووقوع العدوان وفقا للفصل السابع، وتصف المادتان 42 و 45 أن مجلس الأمن يحق له القيام بعمل

---

[181] . ديفيد بوسكو : " **خمسة يحكمون الجميع: مجلس الأمن ونشأة النظام العالمي الحديث**". ترجمة: غادة طنطاوي، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2014، ص 16.

[182] . بول كينيدي: " **برلمان الإنسان. الأمم المتحدة: الماضي، الحاضر، المستقبل**". مرجع سابق، ص 87.

عسكري جوي، بري أو بحري إذا لم تُجد نفعا التدابير المنصوص عليها في المادتين 40 و 41 والتي لا تتضمن استخدام القوة المسلحة.[183]

تحيل لحظة ميلاد مجلس الأمن إلى إحياء مفهوم أساسي في دراسة المجتمع البشري، وهو السلطة Authority، لقد أشار باحث الفلسفة السياسية ريتشارد فريدمان Richard Friedman إلى أن السلطة تَبيّن بأنها مصطلح مراوغ Elusive رغم ذلك فلا يمكن الاستغناء عنها، ويعتقد هاري إكستين Harry. H Eckstein أن السلطة تقع في قلب فهم السياسات بل هي لبّ العلوم السياسية نفسها، في حين تبدو حنّة أرندت Hannah Arendt أقل حماسة حين تعلن بأن السلطة قد اختفت في العالم الحديث، وتوصلت إلى هذا الاستنتاج بعد أن لاحظت خسارة السلطة لديمومتها وموثوقيتها.[184]

تعطي المادة 51 من الميثاق لمجلس الأمن سلطة اتخاذ تدابير الإنفاذ في حالة ممارسة الدفاع عن النفس فرديا أو جماعيا، كما تضع المادة 53 التنظيمات والوكالات الإقليمية تحت سلطة المجلس ما يضمن له استعمالها وتوظيفها في أعمال القمع كل ما رأى ذلك مناسبا؛ من الواضح أن تدعيم صلاحيات المجلس يهدف إلى تدجيج قدراته الإنفاذية خصوصا بعد درس "عصبة الأمم" في فترة ما بين الحربين العالميتين، حيث تَبيّن أن الهيئات الدولية التي تفتقر إلى القوة وتقتصر فقط على إصدار قرارات وإدانات للمعتدين سيكون مآلها الفشل، وكذا فقدان المصداقية والشرعية؛ إنّ النص على الطابع الإلزامي لقرارات مجلس الأمن يهدف إلى زيادة الضغوط المعنوية على الدول الأعضاء بغض النظر عن استفتاءاتهم أو مشاركتهم من عدمها في الجهاز التنفيذي للأمم المتحدة.[185]

من الناحية العملية يتضح أن السلطة أداة للحكم الذي يدين هو الآخر بوجوده لغريزة السيطرة، السلطة كما كان يقول فولتير Voltaire " تقوم في جعل الآخرين يتصرفون تبعا لاختياراتي"، أو كما أورد ماكس فيبر "السلطة توجد حيثما يكون من حظي أن أفرض إرادتي رغم مقاومة الآخرين لها"، أو بتعبير دو جوفينيلBertrand de Jouvenel " الأمر والطاعة، هنا يكمن الشرط الأساسي لوجود السلطة، الشرط الكافي الذي من دونه لا تقوم للسلطة قائمة: هذا الجوهر هو القيادة"، لقد تم تعريف العنف بوصفه التجلّي

---

183 - Dimitris Bourantonis: **«The history and politics of UN security council reform».** London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2005, p3.

184 - Ian Hurd: **«Theories and tests of international authority».** In : Bruce Cronin and Ian Hurd : « The UN security council and the politics of international authority ». London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2008, p 24.

185 - Dimitris Bourantonis: **«The history and politics of UN security council reform».** Op. Cit, p 4.

الأكثر بروزا للسلطة[186]، إلا أن حنّة أرندت كانت من أوائل المنظرين الذين أمسكوا بالخيط الرفيع الذي يفصل "القوة" عن "السلطة".

تتحدث أرندت عن "حكم اللا أحد" Rule by nobody وهو شكل بيروقراطي للحكم يمارَس عبر نظام مكاتب معقّد، لا يمكن في رحابه للبشر أن يكونوا مسؤولين، وطالما أنه ليس ثمة من يحاسب حول ما أَنجز، فإن "حكم اللا أحد" يعتبر، وبكل وضوح، الحكم الأكثر طغيانا؛ إنه من بين أقوى الأسباب الكامنة خلف القلاقل التي تهزّ العالم في الزمن الراهن وتعطيه شكله الكابوسي، وميله الخطير نحو الإفلات من الرقابة والغرق في نوع من الهيجان العبثي؛ وقد ساهمت "التقاليد اليهودية/ المسيحية"، و " تصوّرها الحصري للقانون" في دعم هذا الاصطلاح، فالقانون لم يكن من ابتكار "واقعيي السياسة" بل كان نتيجة لتعميمٍ، يكاد يكون تلقائيا، لـ " وصايا الرب" التي تنادي بأن " العلاقة بين الأمر والطاعة" من شأنها أن تكون كافية لتوصيف جوهر القانون نفسه.[187]

إن الشكل الأكثر تطرفا للسلطة هو ذلك الذي يعبر عنه شعار "الجميع ضد الواحد" All against one، أما الشكل الأكثر تطرفا للعنف فهو الذي يعبر عنه شعار "الواحد ضد الجميع" One against all، وباستعمال لغة المفاهيم تكمن السلطة في جوهر كل حكومة، إلا أن العنف غير ذلك، فهو أداتيٌ بطبيعته، شأنه شأن كل وسيلة يظل على الدوام بحاجة إلى توجيه وتبريرٍ كلما اختار سلوكَ طريق الهدف الذي يتّبعه، أما من الناحية السياسية يقع العنف والسلطة على طرفي النقيض، فحين يحكم أحدهما بشكل مطلق يغيب الآخر، فالعنف يظهر حين تكون السلطة مهددة، لكن إن تُرك على سجيّته سينتهي الأمر باختفاء السلطة[188]؛ بتعبير آخر تحُول السلطة دون استخدام الوسائل الخارجية القسرية، وكلما أُستخدمت القوة كان مآل السلطة الفشل، أو بالأحرى تتحول السلطة إلى فوضى، فالسلطة الدولية والفوضى الدولية لا يتعايشان International authority and international anarchy do coexist .[189]

مثّلت فكرة قيام هيئة دولية حكومية، مثل مجلس الأمن، تحديا بالغا للنماذج المهيمنة في نظريات العلاقات الدولية التي أنكرت واستبعدت قيام أي شكل من أشكال السلطة المركزية في فوضى النظام الدولي الحالي، لقد كان كينيث والتز واضحا في التمييز بين "السياسة الوطنية التي هي مجال السلطة" و " السياسة

---

[186] . حنّة أرندت: " **في العنف**". ترجمة: إبراهيم العريس، بيروت: دار الساقي، ط1، 1992، ص 32.

[187] . حنّة أرندت: " **في العنف**". مرجع سابق، ص، ص 33، 34.

[188] ـ نفس المرجع، ص، ص 37، 45، 50.

[189]- Ian Hurd: **«Theories and tests of international authority».** Op. Cit, p, p 4, 25.

الدولية التي هي مجال كفاح القوة"[190]، في حين كان موقف البنائية من الفوضى أكثر تعقيدا، حين جادل ألكسندر وندت Alexander Wendt أن نوعية الفوضى الدولية تعتمد جزئيا على توزيع الأفكار والمصالح في النظام، بحيث يكون في مقدور المرء الحديث عن تنوع لـ "ثقافات الفوضى" في ظل ثلاثة اتجاهات تكيّفا مع التقاليد الثلاثة للمدرسة الإنجليزية:

الثقافة الهوبزية The Hobbesian culture، الثقافة اللوكية The Lockean culture، الثقافة الكانطية The Kantian culture[191].

لم تخضع حملة قصف الناتو ليوغسلافيا سنة 1999 لمشاورات مجلس الأمن، وذلك ما أثار موجة من الانتقادات، حيث استخدم الأمين العام آنذاك لهجة قوية "ما لم يقرر مجلس الأمن إعادة نفسه إلى مركز متفوق باعتباره المصدر الوحيد لشرعية استخدام القوة، فنحن على طريق خطير إلى الفوضى"، نتيجة لذلك فاستعارة " الفوضى الدولية" بين الأمم ليست مفيدة في ظل نظام دولي تحت سلطة المجلس، فهياكل الإدارة العالمية، بتعبير يان هارد Ian Hurd، لا يجب أن تتواجد حتميا في سياق الفوضى فقط، بل يجب أن تتجاوز ذلك.[192]

في الفترة الممتدة من 1945 إلى 2014 أصدر مجلس الأمن 2195 قرار، ويُبيّن تحليل البيانات أن 743 منها (43%) تخص القارة الإفريقية، و469 قرار (27%) موجّهة لمنطقة الشرق الأوسط، أما أوروبا فكان نصيبها 321 قرار بواقع 19%، في حين وُزّع 182 قرار (11%) على مناطق جغرافية أخرى، ما يعني أن قرارات مجلس الأمن التي تعالج قضايا إفريقيا والشرق الأوسط تصل إلى 1212 من أصل 1715 أي ما يعادل 70% .[193]

تعتبر الدراسات القانونية التجريبية Empirical legal studies (ELS) نهجا مبتكرا في القانون الدولي، فاستخدام التقنيات الكمية من شأنه أن يقدم أفكارا جديدة حول قانون الأمم المتحدة في الواقع العملي، إلا أن هذا لا يعني بأن التحليل الكمي سيحلّ محل الأدبيات الفقهية الدارسة للدول الكبرى، فهو مجرد مكمّل لها، ما يفترض أن أي دراسة تجريبية عن القانون تحمل في طياتها خلفية من التحاليل المعيارية والعقائدية؛

---

190 - Ian Hurd: **«After anarchy: legitimacy and power in the United Nations Security Council».** Op. Cit, p 63.

191 - Alexander Wendt: **«Social theory of international politics».** Cambridge: Cambridge university press, 1st published, 1999, chap 6.

192 - Ian Hurd: **«After anarchy: legitimacy and power in the United Nations Security Council».** Op. Cit, p, p 130,179.

193 - Rossana Deplano: **«The strategic use of international law by the united nations security council: An empirical study».** New York: Springer, 2015, p6.

بناء عليه قد توحي نتائج التحليل الكمية السابقة بأن القانون الدولي يؤدي دورا هاما في رسم سياسات مجلس الأمن، إلا أن هذا لا يعني بالضرورة أن قرارات المجلس تسهم في تطوير القانون الدولي.[194]

ساهم الأمين العام السابق " كوفي عنان" في توجيه انتباه الرأي العام العالمي إلى القارة الإفريقية، وبفضله تم التسليم بأن الجهود التي تُبذل لمساعدة المجتمعات الإفريقية يجب ألّا تقتصر على الموارد الحيوية، بل يجب أن تمتد إلى التعاون بين مؤسسات الأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية والكنائس وقطاع الأعمال الدولي، لذلك أصبح مجلس الأمن مجرد فاعل من مجموعة فواعل أخرى في هذا الإطار الواسع الأشمل؛ جزء من هذه المقاربة يعود إلى مهارات الإقناع التي تحلى بها الأمين العام والتي ساعدت في جعل الأمم المتحدة تبدو أكثر كفاءة بفعل الإجراءات العملية التي اتبعها في استشراف الأزمات وإجهاضها وتحسين عملية إعادة البناء، كان هذا تزامنا مع نجاحات ميدانية كاستقلال تيمور الشرقية سنة 1999، وترافق ذلك مع تحول المزاج السياسي الأمريكي الذي أصبح أقل عداء للمنظمة، لذلك كانت حدة الأزمات الإنسانية وعددها في بداية القرن الحادي والعشرين أقل من نظيراتها التي شهدها العالم في تسعينات القرن المنصرم[195]، إلا أن الأزمة السورية بدءا من مارس 2011 أعادت للواجهة أشهر العقبات التي يواجهها مجلس الأمن في تنفيذ مهامه، وهي معضلة اللا توافق Incompatibility بين الدول الأعضاء، فنظام العضوية المزدوج الذي منح المزيد من السلطة، على نحو غير متكافئ، لخمس من القوى العظمى المنتصرة في الحرب العالمية الثانية كان سببا في وضع المصالح القومية الضيقة في مواجهة المُثل الجامعة التي أُسست عليها الأمم المتحدة، فلا يُتوقع وجود دوافع قوية للدول الخمسة تدفعها للقلق حول مصالحها في إفريقيا التي شهدت الكوارث، لذلك سيظل المجلس يعكس واحدا من التوترات التي ألقت بظلالها على المنظمة.

أشارت المادة 53 من ميثاق الأمم المتحدة إلى كل من ألمانيا واليابان باسم "الدول المعادية" Enemy states، إلا أنه من المفارقات التاريخية اللافتة أن تحتل الدولتان المركزين الثاني والثالث على التوالي في قائمة كبار المساهمين في ميزانية الأمم المتحدة، وإذا كانت الهند شاركت أكثر من غيرها في جهود الأمم المتحدة لحفظ السلام وفرضه بالقوة، ما المانع في أن تحصل على مقعد دائم بمجلس الأمن؟؛ لقد بدا

---

[194] - Ibid. p, p 4,7.

[195] - بول كينيدي: " **برلمان الإنسان. الأمم المتحدة: الماضي، الحاضر، المستقبل**". مرجع سابق، ص، ص 114، 115.

استمرار الدول الخمس المنتصرة سنة 1945 في التمتع بالامتيازات ضربا من الإزعاج لعقل وضمير المجتمع الدولي خاصة مع تدني المكانة الدولية لكل من بريطانيا وفرنسا.[196]

بصفتها الدولة الأكثر استعمالا لحق النقض داخل المجلس، تبدو روسيا في صورة "المنشق الجاهر والصاخب" The lourd dissenter في حين تبدو حليفتها الصين شريكا حذرا Caution partner، قد يكون هذا نافذة جديدة تنظر من خلالها الدول الصاعدة لحجة إضافية تبرر بشكل أوضح مطالبها بتوسيع المقاعد الدائمة في الهيئة التنفيذية للمنظمة، غير أن مفارقةً أخرى أفرزها منطق المصلحة الضيقة في السياسة الدولية تكمن في أن أكبر معارضة لانضمام اليابان، ألمانيا، البرازيل، الهند إلى المجلس قد جاءت من دول العالم النامي نفسه، على أساس أن إعادة هيكلة المجلس وفق الانتخاب الإقليمي ستحجب خصوما إقليميين آخرين من الجلوس إلى طاولة المفاوضات، فقد انخرطت كل من إسبانيا، إيطاليا، الأرجنتين، كندا، المكسيك، كوريا الجنوبية، باكستان وآخرون في "نادي المقهى" Coffee club و في " التوحد من أجل الاتفاق" Uniting for consensus من أجل معارضة مسعى مجموعة الأربعة G4 السابقة، الهادف للانتخاب حول جوانب الإصلاح المقترح[197]؛ إنها دلالات على انفتاح شهية النظام الدولي الفوضوي للغيرة Jealousy، الحسد Envy والمضاهاة Emulation وهي من الطبائع التي لا توصف بالشاذة والغريبة عن السياسة الدولية، فقد توصّل أوتو بفلانز Otto Pflanze، وهو أحد أفضل الباحثين في تاريخ الإمبراطورية الألمانية، إلى استنتاج مفاده أن مستعمرات ألمانيا لم تكن تهدف إلى تحقيق مكاسب اقتصادية، بل كانت رمزا للفخر والسلطة، كانت مجرد أرقام تدل على أن "الرايخ Reich" قوة عالمية، فما حققته بريطانيا من توسع آنذاك دفع ألمانيا إلى الحسد والمنافسة ولو بتوهّم العظمة.[198]

يشبّه جوشن برانتل Jochen Prantl هيكل مجلس الأمن بالأسطورة الإغريقية جانيس Janus ذو الوجهين (انظر الملحق)، فبينما يقوم المجلس بفتح النظام يعمد بالمقابل إلى غلق المتجر (المؤسسة) Open system and closed shop ، فلقد سمحت صيغة آريا* Arria formula بخلق ترتيبات غير

---

196 - نفس المرجع، ص111.

197 - James Raymond Vreeland and Axel Dreher: **"The political economy of the united nations security council: Money and influence".** Cambridge: Cambridge university press, 1st published, 2014, p, p 238,239.

198 - Richard Ned Lebow: **«A cultural theory of international relations».** Cambridge : Cambridge university press, 1 st published, 2008, p335.

* . نسبة إلى " دييغو آريا" Diego Arria ممثل فنزويلا الدائم لدى الأمم المتحدة، الذي دعا أعضاء المجلس إلى الاجتماع بدوائر وخبراء مستقلة، وقد حفّزت هذه الآلية الكثيرين وفتحت أفاقا جديدة خصوصا أثناء أزمة البلقان. انظر:

رسمية تَعقد بموجبها الدول دائمة العضوية مشاورات مع منظمات غير حكومية ومجموعات غير رسمية Informal groups تكون فاعلة في النزاع، في هذا الإطار وَجدت منظمات "العفو الدولية"، " هيومن رايتس واتش"، "أكسفام Oxfam" مكانا لها على طاولة المفاوضات، أكثر من ذلك تحولت إلى "مجموعات أصدقاء" Groups of friends تدعم إجراءات صنع وحفظ السلام التي تُعهد للأمين العام، غير أن الوجه المغاير لهيكل المجلس يكمن في "مجموعات الاتصال" Contact groups التي يتم اختيارها ذاتيا من تحالفات خاصة تضم مجموعة دول ترغب في كثير من الأحيان بأن يكون عملها بمعزل عن المجلس (مثل: مجموعة الاتصال حول ليبيا في 2011 التي ضمّت الأمين العام للأمم المتحدة وممثلين عن حلف الناتو ودول عربية و أوروبية، و مجموعة الاتصال لمكافحة القرصنة قبالة سواحل الصومال التي تشكّلت بناء على قرار مجلس الأمن الدولي رقم 1851، وتضم أكثر من ثمانين بلدا ومنظمة وشركة صناعية)، إن هذا السياق الواسع الذي يعترف بمجموعات غير رسمية من غير الدول، ويُكسبها أهمية متزايدة في فترة ما بعد الحرب الباردة، قد أعاد فتح باب النظر في ما إذا كانت هذه المجموعات مكمّلةً لعمل المجلس أو منافسةً له، وهنا تحديدا يُطرح السؤال "من يحكم؟" Who governs [199].

تجتمع الأدلة في دعم الاتجاه الفوضوي لمجلس الأمن، على أساس أنه مظهر للقوة في العلاقات الدولية، إلا أنه في عالم ما بعد الحداثة ليست القوة إلا ظاهرة وجب تجنّبها قدر الإمكان، فالعالم انطلق من "هوبز" وفرضية " الجميع يحارب الجميع"، ومرّ بـ " كلاوسوفيتز" الذي كانت الحرب له استمرارا للسياسات، إلا أنه يعود اليوم تدريجيا للفيلسوف العسكري الطاوي الصيني "صن تزو" الذي جادل بأن أفضل حرب هي تلك التي لا يتعين خوضها[200].

الفرع 3 . مبدأ الحماية الأممي بعدسات جندرية/ إيكولوجية

تنظر الأمم المتحدة إلى الأمن الإنساني Human security كمفهوم موحد Unifying concept، وقد سبق لـ " كوفي عنان" أن دعا الباحثين إلى توليد المعرفة حول هذا الطرح المستجد وتطبيقاته، لقد أضحى هذا المفهوم سمة مميزة يمكن التعرف عليها، في كل الأجندات المستقبلية للمنظمة، على أنه انقلاب

Edward C. Luck: **"UN Security Council: Practice and promise".** London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2006, p77.

[199] - Jochen Prantl: **«The UN security council and informal groups of states: Complementing or competing for governance ?».** Oxford: Oxford university press, 1st published, 2006, p, p 29, 31, 32.

[200] . روبرت كوبر : " **تحطم الأمم: النظام والفوضى في القرن الحادي والعشرين**". ترجمة: زهير السمهوري، الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 2005، ص 153.

على الصيغة التقليدية للأمن (الانتقال من أمن الدول إلى الأفراد)[201]، بيد أن اللغة الجديدة هذه، وعلى اهتمامها بالتعليم والفقر واللاجئين والصحة، مازالت تحوي ثغرات مفاهيمية لا سيما ما تعلق بالبعد الجنساني وقضايا البيئة.[202]

أولا: التدخل الدولي الأممي بعدسات جندرية

الحرب، بعدسات جندرية، بناء ثقافي قائم على أساطير الحماية The legends of protection، هذه الأساطير كانت، ولا زالت، ذات أهمية في الحفاظ على شرعية الحرب وضعضعة السلام عبر ربطه بخصائص أنثوية (الضعف، المثالية، التنازل)؛ إن فكر الحرب العادلة يولّد رواية عن جنود أبطال يحمون الأرواح البريئة (النساء والأطفال) مبررين العنف لأجل المرأة ومتجاهلين في ذات الوقت العنف ضدها.[203]

على أساس تعريفها بأنها عنصر "محمي" كانت المرأة، على مر التاريخ، عرضة للاعتداء، الاغتصاب والعنف الجنسي من طرف " مقاتلي العدالة"، فقُبيل نهاية الحرب العالمية الثانية، وبعد دحر القوات النازية من بولندا، قام الجنود السوفييت باغتصاب مجموعة من الراهبات في دار عبادة بضواحي العاصمة وارسو Warsaw ما أدّى إلى حمل مجموعة منهن، وهي القضية التي كانت، ولازالت، مثار إزعاج حاد للكنيسة*،وفي نطاق الحروب الأهلية انتشر استخدام " سلاح الاغتصاب" كإستراتيجية اتبعتها الدعاية المتطرفة لـ " الهوتو" من أجل إخضاع مجتمع " التوتسي"[204]، وتبيّن كاثارين مون Katharine Moon كيف تموضعت الدعارة في مستوى تنسيق أمني عالي بين السياستين الكورية والأمريكية، وكيف أن الاعتبارات المرتبطة بالأمن القومي تُرجمت إلى انعدام أمن النساء، كان ذلك في كتابها " الجنس بين الحلفاء" Sex among allies [205] (فيما يبدو على أنه لغة محاكية أو تهكمية لكتاب مورغانتو الشهير "السياسة بين الأمم")، فالحرب في السياسة الدولية تعتمد بشكل واضح على التوقعات المبنية على أساس

---

[201] - Barbara Von Tigerstrom: **«Human security and international law: Prospects and problems».** Oxford and Portland, Oregon : Hart publishing, 2007, p2.

[202] - Paul Battersby and Joseph M. Siracusa: **«Globalization and human security».** U.S.A : Rowman and Littlefield Publishers, INC, 2009, p59.

[203] . ج. آن تيكنر وَ لورا شوبيرغ: " **النظرية النسوية**". في: تيم دان وآخرون، " نظرية العلاقات الدولية: التخصص والتنوع". مرجع سابق، ص، ص 489، 490.

* . تم تأريخ هذه الحادثة سنة 2016 في فيلم سينمائي فرنسي / بولندي، بعنوان: " البريئات" .The innocents

[204] - Laura Sjborg: **«Reconstructing women in Postconflict Rwanda».** In: Robin M. Chandler and others, « Women, war and violence: Personal perspective and global activism ». U.S.A: Palgrave Macmillan, 1st published, 2010, p173.

[205] - ج. آن تيكنر وَ لورا شوبيرغ: " **النظرية النسوية**". مرجع سابق، ص 489.

الجندر، أي كيف تساهم النساء، بكونهن نساء، في دعم المجهود الحربي لدولتهم، فالمرأة المقاتلة في إقليم كشمير مثلا، بالإضافة لمشاركتها بشكل مباشر في الصراع عبر توفير الدعم اللوجستي (طهو الطعام، توفير المأوى، إمداد المسلحين بالأسلحة والذخائر والرسائل النصية) فإنه يُتوقع منها كذلك استخدام " جنسانيتها" للإيقاع بضباط وجنود الجيش المناوئ، ورصد تحرك عمليات العدو[206]، ولا زالت اليابان لحد اليوم تجد حرجا في الاعتراف بـ " نساء المتعة" Comfort women أو " إيانفو" 慰安婦 كنظام مرتب للبغاء خدم الجيش الياباني أثناء الحرب العالمية الثانية.[207]

بيّنت تحقيقات الأمم المتحدة في الكونغو أن جنودا من وحدات مختلفة شكّلوا بدءا من سنة 2005 شبكات للاتجار الجنسي وتيسير دعارة القُصّر والاغتصاب، وكان من بين الضحايا الخمسمائة أطفال لا يتعدون سن الثالثة عشر، وقد اعترف الأمين العام بان كي مون Ban ki moon بوجود اعتداءات وتحرشات جنسية على السكان المحليين في مالي، أما سراييفو فقد شهدت واحدة من أفضع قضايا الاتجار بالبشر على مر التاريخ الإنساني، فعلى مرمى حجر من قواعد قوات حفظ السلام غزت فتيات من منظومة الدول الاشتراكية المنطقة، أين ثبُت أن عددا كبيرا من أفراد الشرطة البوسنية والوحدات الدولية متورطون بأنفسهم في استخدام بائعات الهوى، حين كانوا يتولّون تغطية نقل الفتيات وتقاسم الأرباح مع أصحاب الملاهي.[208]

في أكتوبر من سنة 2000 اعتمد مجلس الأمن القرار رقم 1325 الذي يشدد على مسؤولية جميع الدول إزاء وضع حد لظاهرة الإفلات من العقاب ومحاكمة المسؤولين عن جرائم الإبادة الجماعية بما في ذلك تلك المتصلة بالعنف الجنسي وغيره من أشكال العنف ضد النساء والفتيات؛ لقد كان هذا تطورا في منظومة تهدف إلى إدماج البعد الجنساني في عمليات حفظ السلام، ولتبيان صرامة الأمم المتحدة في معالجة هذه القضايا دخلت المنظمة في شراكات مثيرة للجدل مع الشركات العسكرية والأمنية الخاصة(PMSCs) Private military and security companies التي عُهد إليها القيام بأعمال حفظ السلام نيابة عن المنظمة، وقد قدّم " المعهد الدولي للبحث والتدريب من أجل النهوض بالمرأة" The UN International Research and Training Institute for the Advancement of Women (UN-INSTRAW)

---

[206] - Swati Parashar: **«Women, militancy and security: The South Asian conundrum».** In : Laura Sjborg (Ed), « Gender and international security : Feminist perspective ». London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2010, p 178.

[207] - Natalja Zabeida: «Not **making excuses: Functions of rape as a tool in ethno - nationalists wars».** In: Robin M. Chandler and others, « Women, war and violence: Personal perspective and global activism ». Op. Cit, p20.

[208] . الجزيرة الوثائقية: " **فساد الأمم المتحدة**"، وثائقي من إنتاج الجزيرة الوثائقية، 2015.

توصية من أجل تقديم المساعدة للشركات العاملة في مناطق الصراع لتجاوز المخاطر لا سيما العنف القائم على أساس الجنس، وتحقيقا لهذه الغاية اشترطت إدارة شؤون السلامة والأمن (United (UNDSS Nations Department of Safety and Security على هذه الشركات تكوين وتدريب أفرادها على قانون حقوق الإنسان وتطبيقاته في منع التحرش الجنسي قبل إكمال الخدمات التعاقدية.[209]

بتحالفها مع الشركات العسكرية والأمنية الخاصة يبدو أن الأمم المتحدة تُحاكي، ربما عن غير قصد، تجربة بريطانيا مع محاربي " الجورخا" Gurkha *في النيبال، غير أنها تبدو في المقابل متعمّدةً تهميش، وأحيانا متجاهلة، الحجج القانونية المحيطة بهذه الظاهرة، فالقانون الدولي حظَر نشاط هذه الخدمات وأدرجها في خانة "أعمال المرتزقة" كما نصت على ذلك المادة 47 من البروتوكول الأول الإضافي لاتفاقيات جنيف سنة 1977، و كذا " الاتفاقية الدولية لمناهضة تجنيد المرتزقة واستخدامهم وتمويلهم وتدريبهم" سنة 1989، ولعل تورط المرتزق البريطاني "سيمون مان" Simon Mann في محاولة انقلاب على حكومة غينيا الاستوائية سنة 2004 يمثّل خرقا وثغرة تستوجب تنظيم أعمال PMSCs بتبيان ماهية وضعها القانوني[210].

في البوسنة واجهت شركة دينكورب DynCorp الأمريكية ادعاءات بتورّطها في البغاء غير القانوني والاتجار بالبشر واسترقاق صغار السن، وعندما نجحت كاثرين بولكوفاتش Kathryn Bolkovac في فضح هذه التجاوزات تم إنهاء عقدها مع الشركة بصورة تعسفية، من جانب آخر بعض هذه الشركات قد يكون لها تأثير إيجابي في بناء الدولة وإضفاء الاحترافية والطابع الديمقراطي على الجيش، مثل ما كان عليه الحال في صورة التعاقد الذي تم بين حكومة كرواتيا وشركة الموارد الفنية العسكرية MPRI.[211]

باسم الحفاظ على الأمن تتورط الدول في إشعال الحروب، وتتسبب بذلك في عنف بنيوي للفئات الأكثر ضعفا وتهميشا، ما يفتح شهية التأويلات النسوية على الدوام في مواجهة حَجب المرأة Women's

---

[209] - Amanda Chisholm: **«From warriors of empire to martial contractors: Reimagining Gurkhas in private security»**. In : Maya Eichler (Ed) : « Gender and private security ». Oxford : Oxford university press, 2015, p, p 199, 200.

* . استعانت بريطانيا بجنود " الجورخا" الأشداء لتحقيق مصالحها في آسيا طوال القرن التاسع عشر، كما قدموا خدمات كبيرة للجيش البريطاني في الحربين العالميتين، لمزيد من المعلومات انظر:

J.B.R Nicholson: **« The Gurkha rifles ».** U.S.A: Hippocrene books. INC, first published, 1974.

[210] - Christopher Kinsey: **«Corporate soldiers and international security: The rise of private military companies».** London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1st published, 2006, p134.

[211] . سابرينا شولتز وَ كريستينا يونج: " **النوع الاجتماعي وأثره في الشركات العسكرية والأمنية الخاصة**". ترجمة: مركز جنيف للرقابة الديمقراطية على القوات المسلحة، معهد الأمم المتحدة الدولي للبحث والتدريب من أجل النهوض بالمرأة، 2008، ص، ص 15، 16.

invisibility عن السياسة العالمية، وإن استمر هذا التهميش، خصوصا أثناء فترات النزاع، فلا ضير بأن تتكرر ظاهرة " الماسة السوداء" Black diamond* في بقاع أخرى من العالم.

ثانيا: التدخل الدولي الأممي بعدسات إيكولوجية

أنتج عقد الستينات من القرن الماضي ثورة بيئية كبرى اتّصفت في المستوى الأعمق بأنها تحوّل من المركزية البشرية إلى المركزية الإيكولوجية Ecocentrism[212]، وقد ساعدت " نظرية العلاقات الدولية الخضراء" Green IR theory في إظهار ما سُمّي بـ "العمى البيئي" Ecological blindness عند المقاربات العقلانية السائدة (خصوصا الواقعية الجديدة والليبرالية الجديدة)، كما أنها نجحت في توسيع نظريات العلاقات الدولية المعيارية ذات التوجه الكوزموبوليتاني عن طريق تأويل بعض المفاهيم والخطابات المركزية في الحقل، وتحدّت أشكال الفهم التقليدية للأمن والتنمية والعدالة الاجتماعية بخطابات جديدة حول "الأمن البيئي" Ecological security "التنمية المستدامة" Sustainable development،"التحديث الانعكاسي التبادلي"Reflexive modernization و "العدالة البيئية" Environmental justice . [213]

غير أن القضايا البيئية الدولية تفرض تحديات معينة بالنسبة لبعض أساليب المقاربة السائدة في العلاقات الدولية، ذلك أن العرف الغالب في هذا التخصص يتسم بمركزية دور الدولة، وأن السياسة الدولية تتحدد وفق مجموعة مصالح تسعى الدول وراءها، لكن المشكلات البيئية، العابرة للحدود، تتخطى مثل ما تتحدى الأفكار القائمة حول طبيعة سيادة الدولة[214]، فعلى محمل الجد أخذ منظّرو "العلاقات الدولية الخضراء" مقولة روبرت كوكس في " أن النظرية هي دائما لشخص ما ولهدف ما" Theory is always for someone and for some purpose، لذلك انتقدوا بشدة العالم الهوبزي (نسبة للفيلسوف هوبز) للواقعية الجديدة الذي أكّد على حتمية السلوك التنافسي بين الدول، وأن التعاون البيئي لا يعدو أن يكون حماقة بما أنه لا يضمن مكاسب مطلقة، وهو مستبعد جدا إلا إذا كان في الإمكان تحفيزه من طرف دولة

---

* . الماسة السوداء: فصيل نسوي مسلح انضم إلى متمردي ليبيريا، بعد تعرض جلهن للاغتصاب من طرف القوات الموالية للرئيس تشارلز تايلور Charles Taylor، انظر:

Kendra E. Dupuy and Krijn Peters: **"War and children: A reference handbook".** U.S.A: ABC CLIO, 2010, p71.

[212] . جورج سيشنز: " **الإيكولوجيا العميقة'**. في: مايكل زيمرمان (محرر): " الفلسفة البيئية: من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية". ترجمة: معين شفيق رومية، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، 2006، ص 233.

[213] . روبين إيكرسلي: " **النظرية الخضراء**". في: تيم دان وآخرون، " نظرية العلاقات الدولية: التخصص والتنوع". مرجع سابق، ص 606.

[214] - جون بيلس وَ ستيف سميث: " **عولمة السياسة العالمية**". مرجع سابق، ص، ص 665، 666.

مهيمنة؛ لقد كان هؤلاء في منظور "الخضر" دعاة " تطبيعٍ" Normalization للممارسات المستغلة للبيئة، وفي المقابل سعى العالم اللّوكي (نسبة للفيلسوف لوك) والذي يرمز لليبرالية الجديدة، إلى خلق منظومات حكم دولية تعمل على ترشيد الاستغلال العقلاني للطبيعة، أين تتحول هذه الأخيرة إلى "صنبور" Hydrant يزود الدول بالطاقة والموارد و يوسّع قائمة الخيارات والبدائل التنموية لديها، إلا أن إطار التحليل الخاص بالليبراليين الجدد يبدو مشلولا عن إعطاء تصور مقنع للبعد المعياري لمنظومات الحكم البيئية، وهو ما يدافع عنه المنظّرون الخضر باستماتة حينما يشيرون إلى المعايير الأخلاقية التي لا يمكن أن تقتصر على مصالح الدول أو قدراتها.[215]

جعل الرئيس الأمريكي دونالد ترامب Donald Trump من نفسه مذياعا يجهر بالأسرار الدقيقة لليمين الأمريكي، فأثناء حملته الانتخابية قال ترامب أنه لو كان محل جورج و. بوش لكانت سياسته في العراق تقوم على " أخذ النفط"؛ لذلك تلازم الجبروت Tyranny، سواء كان اقتصاديا أو عسكريا أو سياسيا، على الدوام بمسألة الطاقة، ومنذ عشرينات القرن الماضي لم تعد الماكينة الأمريكية تكتفي بمواردها الخاصة من النفط؛ كان الرئيس الأمريكي الثلاثون في سنوات العشرينات كالفن كوليدج Calvin Coolidge يقول "من المحتمل أن يكون تفوّق الأمم مرتبطا بامتلاكها للنفط"؛ منذ ذلك التاريخ، لا يَني الجيوبوليتيك أن يذعن وينصاع لجيولوجيا الطاقات الأحفورية؛ وبعدسات " خضراء" قد تعكس اصطفائية التدخلات الإنسانية طموحا في استهدافٍ مباشر أو تأمينٍ لإمدادات وطرائق المد الطاقوي حتى تُفعّل القوى من جبروتها المتزايد.[216]

ظاهريا، تبدو العلاقة بين مبدأ عدم التدخل وفكرة حماية البيئة أشبه بصراع بين الثابت والمستجد، فمبدأ عدم التدخل في طوره الجامد يسير عكس اتجاه فكرة حماية البيئة العابرة للحدود في شكلها دائم التطور[217]، ومثل هذا التناقض قد يضع الطرفان في حالة صدام بأي لحظة، خصوصا إذا كان للعوامل البيئية دور في حدوث وتطور الإبادة الجماعية، تماما مثل ما حدث في رواندا (انظر في ذلك الفرع الموسوم بـ: اللحظة الغروسيوسية الجديدة)، وإزاء التعاطي مع هذه المعضلة استحدث المنظّرون السياسيون الخضر مصطلح " مجتمع المخاطرة" Risk society، وبحسب أولريش بيك المخاطرة ليست كارثة بل هي توقع لها، بمعنى أنها تؤسس لسياسة وقائية حيث تَفرض التوقع وقايةً، فالأخطار البيئية في المحصّلة هي عبارة عن تكوينات

---

[215] . روبين إيكرسلي: " **النظرية الخضراء**". مرجع سابق، ص، ص 622، 623، 624.

[216] . ماتيو أوزانو: " **لا جبروت بلا طاقة: 'النمو الأخضر' هل هو ضد من الأضداد؟**". في: برتراند بادي وَ دومينيك فيدال (مشرفين): " من يحكم العالم؟: أوضاع العالم 2017". ترجمة: نصير مروّة، بيروت: مؤسسة الفكر العربي، ط1، 2016، ص، ص 189، 190.

[217] . سامح عبد القوي السيد: " **التدخل الدولي بين المنظور الإنساني والبيئي**". مرجع سابق، ص 259.

من الآثار الجانبية المحتملة للقرارات الصناعية وغير الصناعية التي تتخذها الكيانات الاقتصادية، الدول، المستهلكون والأفراد[218]؛ في رواندا مثلا كان يتم التفاعل مع زيادة عدد السكان بقطع الغابات وتجفيف المستنقعات للحصول على أراض زراعية جديدة، وفي غياب أدنى سياسة توقع للمخاطر كان حتميا أن تعلّق إحدى الصحف الأمريكية على الأحداث هناك بـ " ما يجري في رواندا (أي الإبادة الجماعية) شأن متأصل، داخلي وعادل للعالم الذي نعيش فيه"[219] ، ومن عِبر التاريخ المدهشة مشاهدة المعابد المهجورة في أنغكور وات Angkor Wat ومدن المايا Maya العريقة، والتي قد تدفع للتساؤل: هل يمكن أن تلقى الأجيال الحالية واللاحقة نفس المصير؟.

إذن، يتضح أن منظومة التدخل الأممي، بعيون إيكولوجية، تستند في المقام الأول إلى مقاربة " تعميق التوجه الأداتي للعالم غير البشري"، لذاك هي مطالبة، وبصورة مُلحة، بتبني سياسات وقائية أو "وظيفة تنوير" Enlightenment function ذات طابع قسري تُفضي إلى لحظة لا قومية أو كوزموبوليتانية Cosmopolitan moment لمجتمع المخاطر العالمي، مع أهمية الإشارة إلى عقبة إبستمولوجية في مسعى تحقيق ذلك، وهي أن العلوم الاجتماعية قد ظهرت موازاة مع بزوغ الدولة القومية، ما دفع بـ أولريش بيك للدعوة إلى عدم تجاهل العلم القائم ولكن إلى إصلاحٍ جذري له عبر تحريره من قبضة النزعة القومية والتوجه به إلى ما أسماه بـ " الميتودولوجيا الكوسموبوليتانية" Kosmopolitischer blick .[220]

المطلب الثاني . حدود تأثير الرأي العام على التدخلات الإنسانية

في 18 فيفري 2017 نشر الرئيس الأمريكي دونالد ترامب تغريدة على موقع تويتر يتحامل فيها على بعض وسائل الإعلام الأمريكية واصفا إياها بأنها ليست عدوة له فقط، بل هي عدوة لكافة الشعب الأمريكي؛ خطاب ترامب الشعبوي لا ينفي عن الوسائل الإعلامية حجم الأدوار التي أدتها منذ ثمانيات القرن الماضي، والتي كان لها تأثير بالغ على مجرى الأحداث في السياسة العالمية، بدءا من تغطية أحداث ميدان تيانانمين The Tiananmen Square وصولا إلى الهزّات التي ضربت أقطار الدول الشيوعية، انتهاء إلى سقوط

---

[218] . أولريش بيك: " **مجتمع المخاطر العالمي: بحثا عن الأمان المفقود**". ترجمة: علا عادل وآخرون، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2013، ص، ص 287، 338.

[219] . جارد دياموند: " **الانهيار: كيف تحقق المجتمعات الإخفاق أو النجاح؟**". ترجمة: مروان سعد الدين، الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 2011، ص، ص 437، 445.

[220] - Ulrich Beck: **«Pioneer in Cosmopolitan sociology and risk society».** New York: Springer, 2014, p, p 67, 80.

جدار برلين، أما التطور الأبرز على الإطلاق فهو تحول الإعلام إلى فاعل مؤثّر في كشف تجاوزات حقوق الإنسان وما يستدعيه ذلك من دفع القادة نحو التدخل العسكري لحماية المضطهدين.

الفرع 1 . أثر القناة سي. أن. أن ومثلث كلاوسوفيتز

منذ حرب الخليج الثانية أصبح اسم قناة CNN (Cable News Network) مرادفا لنقل المعلومات والصورة السريعة على مدى أربعة وعشرين ساعة من موقع الحدث؛ مثَّل هذا وعدًا جديدا بزيادة مكانة وحظْوة الرأي العام في السياسة الخارجية، بل أنها امتدت أحيانا لتغيير إستراتيجيات الحرب، حيث يسود اعتقاد قوي بأن صور اللاجئين الأكراد كان لها دور هام في إنشاء الملاذات الآمنة، وفي مقابل ذلك يُعتقد بأن "طريق الموت السريع" * Highway of death كان دافعا لقرار الولايات المتحدة الأمريكية بإنهاء الحرب، وفي ذلك يقول برنت سكاوكروفت Brent Scowcroft (مستشار الأمن القومي الأمريكي آنذاك) " انظر للصور التلفزيونية من 'طريق الموت السريع' سترى مشاهدا لحرق وتدمير المعدات جميلة الرسم، أعتقد أن أحد الجوانب المهمة لإنهاء الحرب أننا لا نريد أن نكون مثل الجزارين الذين عقدوا العزم على الانتقام بذبح الناس".[221]

يعرّف ستيفن ليفنغستون Steven Livingston الأثر CNN بأنه تأثير ثقل الإعلام العالمي الجديد على الدبلوماسية والسياسة الخارجية، ويصفه بيارز روبنسون Piers Robinson بأنه ردود الجماهير المحلية والنخب السياسية على الأحداث العالمية التي يتم إرسالها بواسطة تكنولوجيا الاتصال، أمّا جوزيف ناي فيكيّفه على أنه نتاجٌ لزيادة حرية تدفق بث المعلومات ودورات الأخبار القصيرة على الرأي العام في المجتمعات الحرة. [222]

كان للتدخل الإنساني في العراق، وبعده الصومال، دورا في تصعيد النقاش داخل الدوائر الأكاديمية والحكومية، حيث اعتبر بعض خبراء السياسة الخارجية أن تدخل السلطة الرابعة في عملية السياسة تطفّل لا مبرر له؛ جورج كينان، مثلا، رأى بأن القنوات التقليدية لصنع السياسة مُغتصبة بفعل التغطية الإعلامية المكثّفة لمعاناة شعب الصومال، وفي ذلك خشي كينان من أن النخب قد تفقد مراقبة السياسة الخارجية

* . نشرت الصحافة البريطانية في مارس 1991 صورة جثة محروقة لجندي عراقي داخل شاحنة عسكرية، وهي الصورة التي التقطت في مكان ما على " طريق الموت السريع" الذي يربط بين البصرة والكويت، وحسب المحكمة الدولية لجرائم الحرب فإن 20000 مركبة حُوصرت على طول الطريق من طرف القوات الجوية الأمريكية، ما أدى إلى موت 25000 عراقي.

[221] - Babak Bahador: **«The CNN effect in action: How the news media pushed the West toward war in Kosovo».** New York : Palgrave Macmillan, 1st published, 2007, p, p 3,4.

[222] Babak Bahador : **« The CNN effect in action : How the news media pushed the West toward war in Kosovo ».** Op. Cit 4.

لصالح وسائل الإعلام[223]، ودافعه في هذا خلفيته الفكرية الواقعية التي تتوجّس من الرأي العام على أساس أن مطالبه آنية، لحظية، مزاجية واستعجالية بعيدة عن الرؤى الإستراتيجية، فقوة الرأي العام العالمي وهمية وعاجزة، وليس في مقدوره ممارسة أي سياسات زجرية تجاه الدول.[224]

يشير تأثير CNN إلى أن تغطية القناة للحدث الأجنبي يجعل الجمهور المشاهد يضع ذلك الحدث في بؤرة اهتماماته، وبالتالي يجبر الحكومة على التدخل واتخاذ القرار الملائم، وعندما تبدأ شبكات أخرى منافسة في محاكاة تجربة CNN يتحوّل الموضوع، حتميا، إلى سلسلةٍ من الاهتمامات المحورية للحكومة، فعلى سبيل المثال، أُجبرت الإدارتان الأمريكية والبريطانية على الاستجابة للأزمة الصومالية لأن CNN لم تُسقطها من التغطية، بينما في السودان، و وقتٍ ما رواندا، الحرب الأهلية مشتعلة دون استجابةٍ من أي دولة رئيسية، لأن CNN آثرت عدم التركيز على تلك المحنة[225]، لذلك، وخلافا لـ جورج كينان الواقعي الشاجب لدور وسائل الإعلام في صنع السياسات الخارجية (من باب أنها تنافس أو تقضي على دور النخب)، فإن المزاج الويلسونيWilsonian temperament أبان عن تقدير متزايد للدور الذي تضطلع به وسائط الإعلام في تعزيز التدخل الغربي، فعلى سبيل المثال، أشاد الدبلوماسي الأمريكي بمنطقة البلقان ريتشارد هولبروك Richard Holbrooke بمساعدة وسائل الإعلام في استرعاء الانتباه إلى مآسي البوسنة و كوسوفو، كما رحّب أنتوني ليك Anthony Lake (مستشار الأمن القومي الأمريكي وبروفيسور في العلوم السياسية) بقدرة وسائل الإعلام تسليطَ الضوء على الأزمات الإنسانية في جميع أنحاء العالم، وفي كلمته سنة 1999 بمناسبة الحرب ضد صربيا تحدّث توني بلير على أن تجنّب الخطر يقتضي السماح لـ CNN بأن تتجوّل مرتديةً مهماز الماشية* Cattle prod لإدراك وتبيُّن النزاع العالمي الجدّي، مما يعني، ضمنيا، أنه لا رادع لسلطة وسائل الإعلام في إجبار الحكومات على التدخل، أما من الناحية الأكاديمية، فمنذ المجاعة الإثيوبية سنة 1984، جرت مناقشات متنوعة حول التأثير المزعوم لوسائل الإعلام على أزمات دول العالم الثالث، ومن أهم الأعمال في هذا الشأن: « Crosslines global report : Somalia, Rwanda and

---

223 - Piers Robinson: **«The CNN effect: The myth of news, foreign policy and intervention».** London and New York : Routledge, 1st published, 2002, p10.

224 - Hans Morgenthau: **«Politics among nations: The struggle for power and peace»**. Op. Cit, p 279.

225 . توماس ل. ماكفيل: " **الإعلام العالمي**". ترجمة: عبد الحكم أحمد الخزامي، القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، 2012، ص، ص 372، 373.

* . المهماز: قطعة حديدية في مؤخر حذاء الفارس أو المروض ينخس بها جنب ما يمتطيه.

« From massacre to beyond » ، من تأليف إدوارد جيراردت Edward Girardet وَ « genocide » من تأليف روبرت روتبيرغ Robert Rotberg وَ توماس وايس Thomas Weiss . [226]

يصرّح نيكولاس ويلر بأن هناك مجموعة من القيود من شأنها أن تحد من فاعلية الأثر CNN، خصوصا إذا كان هناك تماسٌ مع خطوط نشر القوات البرية، كما أن التغطية الإعلامية ليست سببا مباشرا ، بصفة دائمة، تحضّ صانعي السياسة على التدخل، بل أنها يمكن أن تكون، أحيانا، غطاء يوفر الدعم العام المحلي الذي يبحث عنه الساسة لانتهاج سياسة تدخلية[227] ، مما يشير إلى أن الرأي العام يمكن أن يكون عرضة للتلاعب السياسي، فبعد انتهاء حرب الخليج الثانية كتب الفيلسوف الفرنسي جان بودريار Jean Baudrillard أن " حرب الخليج لم تحدث" La guerre du Golfe n'a pas eu lieu وهي لم تكن شبيهة لحروب التاريخ، مبررا ما عاينه الناس بمشهد استعراضي لنسخة تلفزيونية مصوَّرة أبطالها زعيما القوتين المتناحرتين (جورج بوش الأب وَ صدام حسين) ومعهما عشرات الملايين من المشاهدين يتعرفون من خلال عالم الواقع المفرط Hyper Reality على ما يحدث في الواقع الحقيقي Real time، والفكرة هنا أن وسائل الإعلام بانتقالها من مشهد حرب لآخر تُحدّد مثل ما تساهم في تشكيل الرؤية والاستهلاك والمعرفة عن هذه الحرب أو تلك الأزمة، وتهندس الانطباع العام عن الأحكام، الملابسات والأطراف طبقا للإطار الإعلامي الذي أُريد لها أن تندرج ضمنه أو تُروّج من خلاله[228]؛ ففي حالة كوسوفو تكاتفت وسائل الإعلام، الأوروبية خصوصا، لخلق جو من الشعور بالذنب الجماعي والخجل من خلال التركيز على أن مجزرة سربرينيتشا هي الأسوأ في أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية، وتساءل كثيرون هل يُعقل أن يُذبح ثمانية آلاف شخص في وسط أوروبا، في مكان متاخم نسبيا لحدود الاتحاد الأوروبي وداخل أماكن يفترض أنها مناطق آمنة؟، وبما أن النزاع نشب مع منعطف القرن الواحد والعشرين أظهرت وسائل الإعلام أن القادة السياسيين في الغرب يستشعرون ثقل الوقت وتحذوهم إرادة في دخول القرن الجديد بمجموعة من المبادئ الأخلاقية الطاهرة الخالية من المذابح وأعمال التطهير العرقي؛ إن الثقافة السياسية الغربية Western

---

[226] - Piers Robinson: **«The CNN effect: The myth of news, foreign policy and intervention».** Op. Cit, p11.

[227] - Nicholas J. Wheeler: **«Saving strangers: Humanitarian intervention in international society».** Op. Cit, p300.

[228] . شهيرة بن عبد الله: " **الحرب في وسائل الإعلام: آليات بناء المعنى وإنتاج المعرفة**". مجلة المستقبل العربي، العدد 429، نوفمبر 2014، ص 95.

political culture كانت هي الوقود الذي اشتغلت عليه وسائل الإعلام لإيقاد ضمائر الأوروبيين وإقناعهم بإنسانية تدخل الناتو في كوسوفو.[229]

ضمن هذا التوجه، تتأسس المقاربة المعرفية للأثر CNN باعتبارها وسيلة للبناء الاجتماعي، تعيد تشكيل أحداث الأزمة، وتُحوّلها إلى معلومات تحتكم في بنيتها وتصوراتها إلى ذهنية اجتماعية، وكان والتر ليبمان Walter Lippmann أوّل من أوضح، في كتابه الرأي العام Public opinion 1921، أن عملية جمع الأخبار ونشرها وتفسيرها في وسائل الإعلام يمكن أن تؤثر بشكل كبير في تفسيرات الناس للواقع، وتُغيّر بالتالي أنماط سلوكياتهم تجاهه، واستنتج ليبمان أن طريقة تعامل الصحافة مع نهاية الحرب العالمية الأولى كانت مضلّلة لا تعكس ما يحدث فعلا على أرض الواقع، فالناس احتفلت باتفاق الهدنة يوم 6 نوفمبر 1918 بناء على الصورة الزائفة التي نقلتها الصحافة، دون أن يعلموا بأن آلاف الجنود كانوا يلقون حتفهم على أرض المعارك، وأن الهدنة لم تتم إلا بعد خمسة أيام من تاريخ إعلان الصحافة عنها، فما تقوم به وساط الإعلام في الأصل هو جدولةٌ للقضايا والأحداث التي على المتلقي أن يتابعها ويهتم بها، ويحدث وأن تُركّز على مواضيع ومعلومات بعينها، وتنفي أو تهمش أخرى، وفي صلب هذه الجدولة تعمد وسائل الإعلام إلى انتقاء المفردات والمسمّيات الشارحة للمواضيع والقضايا بما يتماشى والخط التحريري لسياسة الوسيلة الإعلامية، وهكذا تكون الأجندة الإعلامية (بما فيها ظاهرة الأثر CNN) وسيلة لممارسة السلطة وفرض إدراك جماعي للواقع يخدم مصلحة الأقوى[230].

يقر بيير بورديو Pierre Bourdieu بأن قدرة الانتشار الرهيبة التي يملكها التلفزيون قد ألقت بظلالها على الصحافة المكتوبة ومجال الثقافة بشكل عام[231]، إلا أن هذا يبدو ضئيلا مقارنة بما أفرزته التطورات التكنولوجية اللاحقة في مجال الإعلام التواصلي على المعرفة، و يتأكد هذا أكثر مع بلوغ عدد الأجهزة الموصولة بالشبكة العنكبوتية عشرة مليارات، مع توقع صعود الرقم إلى خمسين مليارا سنة 2020، إذ بات العالم على عتبة " شؤون أنترنتية" Internet matters بتعبير هنري كيسنجر، إنه عصر يُعرّف فيه النظام العالمي بمعادلة امتلاك الناس قابلية الاطلاع الحر على المعلومات الدولية وتبادلها؛ ذلك كفيل، حسب هذه الأطروحة، بتمكين الطبيعة البشرية التواقة والمندفعة للحرية، غير أن الفلاسفة طالما دأبوا على فصل دائرة نفوذ العقل إلى ثلاث قطاعات: المعلومات Information، المعرفة Knowledge والحكمة Wisdom؛

---

[229] - Babak Bahador: **«The CNN effect in action: How the news media pushed the West toward war in Kosovo».** Op. Cit, p, p 71,72.

[230] - شهيرة بن عبد الله: " **الحرب في وسائل الإعلام: آليات بناء المعنى وإنتاج المعرفة**". مرجع سابق، ص، ص 98، 99.

[231] . بيير بورديو: " **التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول**". ترجمة: درويش الحلوجي، دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، ط1، 2004، ص90.

تستند الشبكة العنكبوتية إلى "المعلومات" التي تَيسّر انتشارها أُسّياً، ومع ذلك فإن أي تُخمةِ معلومات قد تعيق، ويا للمفارقة، حيازة المعرفة وتبعد الإنسان أكثر من أي وقت مضى عن بلوغ الحكمة.[232]

يعتبر المفكر العسكري البْروسي كارل فون كلاوسوفيتز في مؤلفه الكلاسيكي "عن الحرب" أن الحرب مفارقة عجيبة تقوم على ثالوث غريب: العواطف الشعبية Popular passions، الأدوات العملياتية Operational instruments والأهداف السياسية Political objectives؛ يتّصل الأول بعامة الناس والثاني بالعسكريين، في حين يرمز الثالث للحكومة؛ يشير هذا الثالوث للهيكل الاجتماعي للحرب The social structure of war[233] ،وفي سياق الحروب والتدخلات العسكرية يلقي الأثر CNN بظلاله على مجالات الثالوث الكلاوزوفيتزي Clausewitzian trinity.

أثر CNN والرأي العام: يرتبط تزايد أهمية الرأي العام في الحرب بنمو القيم الليبرالية والديمقراطية، وتحديدا بازدهار حجة " مذهب الخلاص بالرأي العام" The doctrine of salvation by public opinion "، التي نادى بها جيريمي بنتام وَ جون ستيوارت ميل في حين ازدراها إدوارد هاليت كار[234]، أو وفق ما عبّر عنه روسو وَ كانط بأن الحروب يمكن أن تُمنع في حال مشاركة العامة في اتخاذ القرارات، وتُعتبر الثورة الفرنسية نموذجا يحتذى به في امتثال الإدارة لشواغل العامة، في حين ترمز الحرب العالمية الأولى إلى حد تاريخي فاصل يجسد مخاطر تهميش الرأي العام عن السياسة الدولية، فكثير من الباحثين أرجع الأسباب الجذرية لهذه الحرب إلى الدبلوماسية السرية التي لم تعترف بدور المشاورات العامة، وفي ذلك يقول السيناتور الأمريكي جون ماكين John McCain " أعتقد أن الحرب العالمية الأولى لم تكن لتستمر ثلاثة أشهر إذا كان عامة الناس يعلمون ما يدور في الصراع"، فعدم اطلاع العامة على الإعلام يعني أن كثيرا من الفضائع لم تُعرف، أو لم يتم الوقوف على حقائقها، كالإبادة الجماعية التي مست الأرمن في تركيا 1915 . 1922 أو موجة القتل بالتجويع (باللغة الأوكرانية Голодомор) التي عصفت ببقاع شتى في الاتحاد السوفييتي[235]، وتُقدّم حرب فيتنام مثالا كلاسيكيا على قدرة الرأي العام، من خلال الأثر CNN، في قلب معادلة الحملة العسكرية وحتى زيادة احتمال إتلاف الروح المعنوية للجنود، فبدءا من سنة 1963، ولمدة

---

[232] . هنري كيسنجر : " **النظام العالمي: تأملات حول طلائع الأمم ومسار التاريخ**". ترجمة: فاضل جتكر، بيروت: دار الكتاب العربي، 2015، ص، ص 334، 340، 341.

[233] - Babak Bahador: **«The CNN effect in action: How the news media pushed the West toward war in Kosovo».** Op. Cit, p 47.

[234]- Ole R. Holsti: **«Public opinion and American foreign policy».** U.S.A : The university of Michigan press, 2004, p14.

[235] - Babak Bahador: **«The CNN effect in action: How the news media pushed the West toward war in Kosovo».** Op. Cit, p, p 50,51.

خمسة سنوات، ظلت الحملة العسكرية الأمريكية متماسكة وسالمة بفعل الدعم اللامتناهي من الجمهور، إلا أنه بعد هجوم تيتTet offensive الكاسح سنة 1968، وتصاعد صور الموت والدمار وقتلى الجيش الأمريكي، تزايدت الأدلة على أن مزاعم الحكومة التفاؤلية مضللة وخادعة، ما أسهم هذا في خفض معنويات جميع الأمريكيين، مدنيين وعسكريين، الأمر الذي عجّل في نهاية المطاف باتخاذ قرار الانسحاب، وغالبا ما يشار إلى هذا السيناريو باسم "متلازمة فيتنام" The Vietnam syndrome* .

كانت الصورة و الكلمة معيارا و مقياسا رئيسا للحكم على نجاح أو فشل عملية التدخل الإنساني، وذلك يفهم ضمنيا من تصريح بيل كلينتون "لا نريد مزيدا من الصور عن البلقان مثل ما رأيناه في الأيام القليلة الماضية، إنها تذكّرنا حتما بما تتحمله البوسنة من مقاساة"[236]؛ جاء تصريح كلينتون نتيجة ضغوط لطبيعة المفردات التي أُستخدمت في الإعلام، سواء كان مقروءا أو مكتوبا، لوصف السياسة الغربية في البوسنة، أين كانت معظم التعبيرات محرجة ومُنبئة بفشل عملية تدخل الأمم المتحدة: غياب العزم Absence of will، العجز Impotence، إذلال تلو الآخر One humiliation after another، سقيم Sickly (انظر الجدول رقم03)، و تفاعلا مع طرد أكثر من 20000 من سكان سربرينيتشا بعد المجزرة تحمِل الأرقام دلالات أخرى على إخفاق الغرب وقابلية بعثة الأمم المتحدة للانهيار، فالمفردات الإنسانية المتعاطفة: اللاجئين Refugee، الأطفال Children، النساء Women، كانت أضعاف مفردات المسافة الحيادية: مسلم Muslim، بوسني Bosnian، جندي Soldier، [237](انظر الجدول رقم 04)

* . لمزيد من المعلومات راجع:

Geoff Simons: **« Vietnam syndrome: Impact on US foreign policy ».** U.S.A: Macmillan press LTD, 1st published, 1998.

[236] - Babak Bahador: **«The CNN effect in action: How the news media pushed the West toward war in Kosovo».** Op. Cit, p 136.

[237] - Piers Robinson: **«The CNN effect: The myth of news, foreign policy and intervention».** Op. Cit, p, p 79, 80.

إطار الفشل		إطار النجاح	
الكلمة	مرات التردد	الكلمة	مرات التردد
الفشل	62	النجاح	05
التقاعس	107	الحماية	56
النهاية	11	الاستمرار	10
المجموع	180	المجموع	71

جدول رقم 03: التغطية الإعلامية للعلاقة بين الأمم المتحدة والغرب بين 11 وَ 18 جويلية 1995

إطار التعاطف		إطار الحياد	
الكلمة	**مرات التردد**	**الكلمة**	**مرات التردد**
لاجئين	**236**	مسلم	83
بشر	**148**	بوسني	29
نساء	**68**	رجال	66
أطفال	**52**	جنود	15
مسنين	**13**	مقاتلين	02
المجموع	**517**	المجموع	195

جدول رقم04: التغطية الإعلامية لترحيل سكان سربرينيتشا بين 11 وَ 18 جويلية 1995. مصدر الجدولين:

Piers Robinson: **« The CNN effect: The myth of news, foreign policy and intervention ».** Op. Cit, p 80.

أثر CNN والجيش: اكتسبت العمليات الإستراتيجية العسكرية، بفعل الأثر CNN، مزيدا من الزخم اللوجستي، الاجتماعي والتكنولوجي، إلا أنها يمكن كذلك أن تتحول إلى بوابة سلبية تعكس الكثير من الأخطار، وتضع ، بالتالي، سياق تنفيذ أو نجاح الخطة العسكرية على المحك، فالمعلومات التي يكشف عنها الأثر CNN تصل إلى الجمهور الدولي بما فيه الخصوم؛ وبعض التسريب، ولو كان يبدو للصحفي معلومات عادية، كحجم المعدات والقدرات والقائد المحتمل للحرب، يمكن أن يُفهم كإفادات حساسة تُعرّض الأفراد والعمليات العسكرية للخطر، علاوة على ذلك، ونظرا لتزايد الطابع متعدد القوميات في وسائل الإعلام

يُدفع الصحفي الذي ليس من موطن الحرب، وتحت ضغط شدة المنافسة، في أن يكون أول من يحوز ويروي القصة، دون إبداء أي اهتمام بالعواقب التي تنتج عن المعلومات الحساسة.[238]

رغم هذه المخاوف، تبقى المعلومة ذات أهمية لا غنى عنها في إستراتيجيات الحرب، ولا أدلّ على ذلك من استحداث القوات الأمريكية المشتركة لـ "مذهب العمليات المعلوماتية" Information operations doctrine (IO) في أوت 1998، حيث أكد قائد قوات الدفاع الجوي الأمريكية في منتصف التسعينات رونالد فوجلمان Ronald R. Fogleman أن العمليات المعلوماتية تُمثّل "البعد الخامس لحالات الحرب" Fifth dimension of warfare " بعد الأبعاد الأربعة التقليدية " البر، البحر، الجو والفضاء"[239]، وفي ذلك يعمل الأثر CNN على التأثير على الخصم وجمع معلومات تكتيكية عنه، والتزام البروباغندا سعيا لتحقيق الأفضلية عليه.

أثر CNN والحكومة: عبَّر كل من هانس مورغانتو وَ هنري كيسنجر عن أسفهما تجاه تأثير وسائل الاتصال الحديثة على الدبلوماسية، معتقديْن أنها أفقدتها الكثير من حيويتها، فغالبية وسائل الإعلام تتعمد المبالغة في إضفاء الطابع الدرامي على الأزمات لتحقيق عوائد تجارية، ما يتسبّب في تكثيف التوترات وتأجيج الكراهية، وعلى الرغم من ذلك تميل غالبية الحكومات إلى استخدام شبكات إعلامية عابرة للقارات كميزة للمجتمعات الديمقراطية، وعرضها (الشبكات الإعلامية) كأداة قوية في مكافحة الأعداء وكسب تأييد الحكومات غير الضالعة بصورة مباشرة في النزاع، وقد أظهرت حرب الخليج 1991 بعض الأساليب الدبلوماسية الجديدة التي يمكن توظيفها إعلاميا أثناء الحرب، ففي 11 جانفي 1991 ظهر وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر James Baker على التلفاز متحدثا إلى الصحفيين وأفراد القوات الجوية الأمريكية بحظيرة الطائرات في المملكة السعودية "أستطيع أن أقول لكم: لن تضطروا للانتظار فترة أطول، حتى لا يكون هناك سوء فهم اسمحوا لي أن أكون واضحا تماما، سنعبر الحافّة ليلة 15 جانفي"، وكانت تقف وراء بيكر طائرة مقاتلة من طراز F 111 في صورةٍ صارمة تضافرت فيها الثقة، الاستعداد والوعيد، إذ كان بيكر يعي أن الجمهور المستهدف بكلامه ليس أفراد القوات الجوية بل الرئيس صدام حسين، وأوضح بيكر لاحقا " لم تُرسل هذه الرسالة عبر جو ويلسون Joe Wilson (دبلوماسي أمريكي في العراق)، لقد قمنا بإرسالها من خلال شبكة CNN"؛ سمحت وسائل الإعلام بتوفير نوع جديد من الممارسات والضغوط الدبلوماسية لم يكن متوافرا من قبل، وإن ظل الاعتقاد بأن مجالي الحرب والدبلوماسية منفصلان عن بعضهما، فإن الأثر

---

238 - Babak Bahador: **«The CNN effect in action: How the news media pushed the West toward war in Kosovo».** Op. Cit, p 52.

239 - Thomas Rid: **«War and media operations: The US military and the press from Vietnam to Iraq».** London and New York: Routledge, 1st published, 2007, p120.

CNN أنشأ رابطا اتصاليا بين البيئتين، وحتى الحركات الراديكالية الانعزالية، مثل طالبان، التي منعت التلفاز عن العامة، عمدت قيادتها إلى تثبيت الهوائيات لرصد تصورات العالم عنها، بل شاركت ببراعة وإسهاب في لعبة الدعاية الإعلامية، وهو ما حذا بالقوى الغربية إلى الرد بتشكيل "مراكز معلومات التحالف" CICs Coalition information centers، كاستجابات منسقة في واشنطن، لندن وَ إسلام أباد لدحض تصريحات طالبان وإثبات اليد الطولى في الدعاية الإعلامية التي تولاها " فريق الإجابة السريعة" Rapid response team . [240]

يفرز الأثر CNN ضغوطا من نوع جديد تواجه الدبلوماسيين وصناع القرار الذين يتواجدون في وضع اضطراري يدفعهم لتبني سياسة استعجالية استجابة لمطالب دورات الأخبار على مدار أربعة وعشرون ساعة، يُعرف هذا التطور بـ " الأثر المتسارع" The accelerant effect الذي يمكن أن يكون مادة تزيد من الخطأ، سوء الفهم أو سوء الإدراك Misperception، فمن المرجح أن الفروق بين الصياغة والتنفيذ ستصبح أكثر تشويشا، وتدفع بالتالي إلى اتّباع تنقيحات تكتيكية Tactical revisions، فعلى سبيل المثال، أثناء حرب الخليج وبعد قصف العامرية في 13 فيفري 1991، وانتشار صور جثث المدنيين على شاشات التلفاز، أُثيرت الشكوك حول ادعاءات التحالف من القصف الدقيق على الأهداف العسكرية، وهو ما دفع ،بدرجة كبيرة، إلى تعديل السياسات والأهداف بوسط بغداد.[241]

في سياق التدخل العسكري من الطرف الثالث تتأثر أدوار الإعلام بمختلف المراحل التي يمر بها التدخل أثناء عملية التنفيذ، ويمر بنقاط متباينة (انظر الشكل رقم 06) تُفضي إلى نتيجة مفادها أن السياسة الخارجية للحكومة هي أهم مجالات التأثير المحتمل على الأثر CNN، فخلال 78 يوما من حملة القصف التي قادها الناتو على جمهورية يوغسلافيا الاتحادية عام 1998، كانت صور اللاجئين والمنكوبين الألبان تستخدم كورقة لتوفير الدعم الدعائي للغرب وتعزيز جهود الحرب، غير أن صور الأخطاء والأضرار الجانبية التي شملت المدنيين الأبرياء أدت إلى تخفيض دعم الحرب.

---

[240] - Babak Bahador: **«The CNN effect in action: How the news media pushed the West toward war in Kosovo».** Op. Cit, p, p 54, 55,56.

[241] - Ibid, p,p 61, 62.

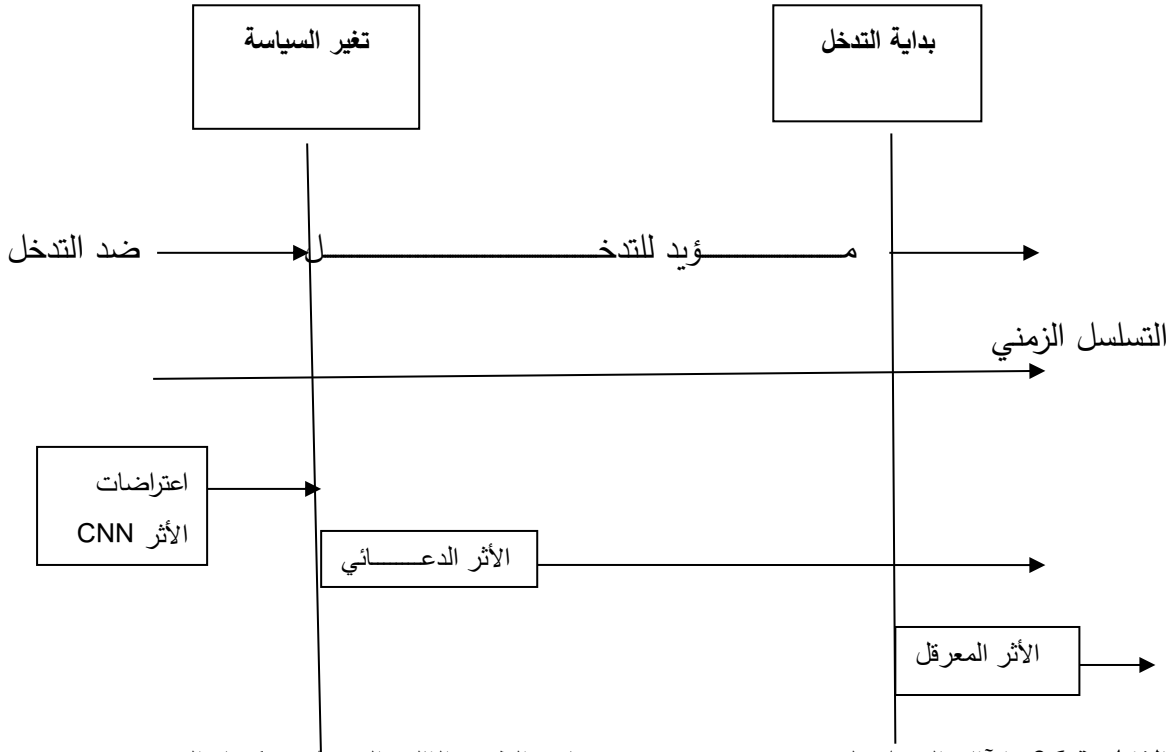

الشكل رقم06: الآثار المختلفة للإعلام في علاقته بتغير سياسة الطرف الثالث المتدخل عسكريا. المصدر:

Babak Bahador: **« The CNN effect in action: How the news media pushed the West toward war in Kosovo ».** Op. Cit, p 63.

الفرع 2 . الإعلام الأمريكي والتدخل الإنساني: من توافق ألموند . ليبمان إلى البروباغندا

تاريخيا، أدّت وسائل الإعلام دور محاسبة ورقابة بالغ الأهمية، ففي سبعينات القرن الماضي نجح الصُحفيان بوب وودوارد Bob Woodward وَ كارل برنستين Carl Bernstein في كشف الفساد السياسي داخل إدارة نيكسون (فضيحة ووترغايت Watergate scandal)، كما اقترن اسم سيمور هيرش Seymour Hersh بفضح التجاوزات اللا إنسانية للقوت المسلحة الأمريكية (جريمة ماي لاي My Lai Massacre في فيتنام، وانتهاكات سجن أبو غريب في العراق)؛ تحملُ هذه الأمثلة في طياتها ما يشار له عادة بـ "صحافة كلب الحراسة" Watchdog journalism التي تنشط وفق نموذج السوق الحرة باستقلالية عن السلطة السياسية[242]، لذلك هناك إجماع على أن الأيديولوجية السياسية والهيكل الحكومي يؤثران بشكل واضح على عملية الاتصال السياسيPolitical communication ، فإن كانت وسائل الإعلام في الدول الديمقراطية توسم بـ" السلطة رابعة" The fourth estate التي تجسّد قوة الحماية والرصد، فإنها في النظام

[242] - Piers Robinson: **«Media and US foreign policy»**. In: Michael Cox and Doug Stokes (Ed): « US foreign policy ». Oxford: Oxford university press, 2nd edition, 2012, p 161.

السّلطوي ستكون بُوقا يَنشر الدعاية الزعامتية The leadership's Propaganda؛ فليس من الغريب أن لا تُقر وسائل الإعلام السوفييتية، في ظل هيمنة الدولة الكاملة على المعلومة، بوجود قوات قتالية في أفغانستان إلا بعد مرور خمسة سنوات ونصف، غير أن هذا التمايز النظري سيندثر بمجرد أن يتم استدعاء لحظات تاريخية فارقة تشابهت فيها أدوار وسائل الإعلام سواء في منظومة الدول الديمقراطية أو تلك التي توسم على أنها شمولية، ففي عام 1968 أعلن القادة الأمريكيون عن عملية "الفتنمة" Vietnamization التي تقضي بتسليم مقاليد السلطة للفيتناميين الجنوبيين، وعلى رغم قناعتهم بالعكس فإن الأمريكيين رأوا في الفتنمة طريقا لتحقيق الاستقرار في المنطقة، وفي حالة الاتحاد السوفييتي فإن "المصالحة الأفغانية" Afghan reconciliation كانت عنوانا يوحي بتوطيد السلطة في البلاد، وكما هو الحال مع الفتنمة فإن المصالحة ستقدم تفسيرا منطقيا لانسحاب القوات السوفييتية من أفغانستان، الذين باتوا متفهّمين أن حليفهم (الرئيس محمد نجيب الله) قادر على الدفاع عن الأرض بعد إتمام عملية الانسحاب، ورغم أن الصراع في كلتا الحالتين قد سُوّي وأُطّر في المفاوضات الدولية، إلا أنه وبشكل غير متوقع، وفي كلتا الحالتين اهتمت القوتان العظمتان بالحفاظ على سمعتهما من وراء هذا الانسحاب، ليس بالتركيز على إقناع الخصوم الدوليين، بل بالتركيز أكثر على إقناع الجماهير المحلية.[243]

تبدو هذه الأمثلة التاريخية محرجة لما عُرف بـ" توافق ألموند . ليبمان" The Almond/Lippmann Consensus الذي يعتبر مُشرعنا للفرضية الواقعية المستندة إلى أن ترشيد متطلبات السياسة الخارجية لا يمكن أن يتماشى مع تأييد الرأي العام الذي غالبا ما تكون تفضيلاته عاطفية لا عقلانية؛ فقد نبّه غابريال ألموند Gabriel Almond إلى أن "المزاج" Mood قد يدفع السياسة الخارجية إلى الانعزالية Isolationism، فبتجميع بيانات استقصائية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية بداية الحرب الباردة يتضح أن معظم الناس يفتقرون إلى معلومات أساسية حول الشؤون الدولية، في حين يبدون اهتماما أكبر بالقضايا التي تمس بشكل مباشر حياتهم اليومية (الصحة، الاقتصاد، الجريمة، العلاقة بين الأعراق)؛ هذه المزاجية، حسب ألموند، لا يمكن أن تكون قائدا جيدا للسياسة الخارجية؛ أما ليبمان فقد كان أكثر هجومية حين أكد أن فرض الناس للفيتو على قرارات واعية ومسؤولة قد جعل الحكومة مضطرة للبحث عن الإجابات الضرورية والأنسب، وكان لهذا تداعيات ظهرت في تأخيرٍ، طويل كان أو قصير، لاعتماد السلم مع دعاة السلام، الحرب مع العدوانيين، أو المفاوضات مع المحايدين، المسالمين والعنيدين، فـ " الرأي الجماهيري"

---

[243] - Laura Roselle: **«Media and the politics of failure: Great powers, communication strategies, and military defeats».** UK: Palgrave Macmillan, 1st published, 2006, p2.

Mass opinion اكتسب سلطة متزايدة وقد أثبت خطورته خاصة حين يتعلق الأمر بقرارات مصيرية تتعلق برهانات الموت والحياة.[244]

في ما يتّصل بتأييد توافق ألموند .ليبمان، أجرى برنارد كوهين Bernard Cohen سنة 1973 مقابلات مع مسؤولين في وزارة الخارجية الأمريكية تبيّن من خلالها أن مصلحة الرأي العام شبه منعدمة، كما توصّلت الدراسة إلى أن أي محاولة من المسؤولين لتثقيف الرأي العام بشأن القضايا الدولية ستجعل السياسة الخارجية موضع خطر، وفي ذات السياق أجرى كل من وارن ميلر Warren Miller وَ دونالد ستوكس Donald Stokes دراسة على توجهات مجلس النواب سنة 1963، وكانت النتيجة أن غالبية النواب يراعون في مواقفهم القضايا المحلية أكثر من القضايا الدولية؛ غير أنه وبعد نهاية الحرب الباردة ظهرت مسوحات جديدة ابتعدت عن المسألة الكلاسيكية المتعلقة بتأثير الرأي العام محاولةً تقديم فحص أفضل لتأثير الجمهور على الحروب، خصوصا أن هناك مكنونات تاريخية تثبت وجود علاقة بين الرأي العام والتدخل العسكري من عدمه (المثال السابق عن الانسحاب الأمريكي والسوفييتي من فيتنام وأفغانستان على التوالي)، وهذا في ظل توافر معطيات وخصائص جديدة تتعلق بالرأي العام نفسه، النظام السياسي، شخصية الرئيس وَ الأزمات الدولية.[245]

يندرج توافق ألموند .ليبمان في إطار ما يسميه بيارز روبنسون بـ "نموذج الصفوة" The elite model الذي يحصر السياسة الخارجية ضمن فئات ضيقة تشمل رسميي الشؤون الخارجية ومراكز البحوث والتفكير Tanks Think وَ ممثلي المصالح التجارية الكبرى، وتبدو افتراضات هذا النموذج غير متوافقة مع القناعات الفكرية لـ "النموذج التعددي" The pluralist model الذي يؤمن بأن القوة موزعة بما فيه الكفاية على كافة شرائح و ممثلي المجتمع، بحيث لا تستطيع أي مجموعة أن تستأثر بالمصالح والنقاشات العامة دون غيرها، وبين النموذجين تبرز أطروحة "صناعة الموافقة" Manufacturing consent لكل من الألسني نوعام تشومسكيNoam Chomsky وَالاقتصادي إدوارد هرمان Edward Herman والتي تركز على "الدعاية النظامية"Systematic propaganda[246] أين تتاح للرسائل الحكومية والمصالح الخاصة المسيطِرة فرصة تنقية المعلومات بما يسع لها أن تمسّ الجمهور وتهمّش الشقاق والخروج من الصف[247].

---

[244] - Helene Dieck: «**The influence of public opinion on post – cold war US military interventions**». UK: Palgrave Macmillan, 1st published, 2015, p, p 20,22, 23.

[245] - Ibid, p, p24, 25.

[246] - Piers Robinson: «**Media and US foreign policy**». Op. Cit, p, p 162, 168, 172.

[247] . ماثياس ريمون: " **مديرو تسيير الرأي العام: من يسيطر على وسائل الإعلام؟**". في: برتراند بادي وَ دومينيك فيدال (مشرفين): " من يحكم العالم؟: أوضاع العالم 2017". مرجع سابق، ص 239.

يعتقد تشومسكي أن قادة الولايات المتحدة قد التزموا السيطرة على العقل العام، مدفوعين في ذلك بنجاحات لجنة كريل* Creel Committee أو إنجازات التخويف من الشيوعية (الذعر الأحمر The Red Scare)، فمن المهم بمكان تحفيز الرأي العام لتأييد "مغامرات" السياسة الخارجية"، ومن الضروري تزييف التاريخ وأحيانا القيام بالتمثيل وكأنه حقيقة[248]؛ ذلك ما يسميه جون ميرشايمر بـ " الكذب في السياسة الدولية" Lying in International Politics فالاستماتة لكسب الحرب وإنقاذ مواطني طرف معين في حرب استفزاز طويلة ومكلفة للأرواح تتسبب في أن يَستهدف المحاربون مواطنين في دول عدوة لهم، ما جعل من الدول الديمقراطية أكثر استهدافا للمدنيين في الحروب من الدول غير الديمقراطية؛ يكفي فقط الاستشهاد بأن الولايات المتحدة قتلت 900000 من المدنيين اليابانيين عن سابق تصميم، رغم ذلك لا يتوان القادة في القبول بالمعايير الأخلاقية التي تعطي أوصافا مقبولة لسلوك الدولة؛ عادة ما ترتبط هذه المعايير بشكل وثيق بنظرية الحرب العادلة[249]؛ يشرح الفيلسوف البريطاني رالف ميليباند Ralph Miliband أن "الطبقة القيادية" في المجتمع الرأسمالي هي التي تملك وتتحكم بوسائل الإنتاج، وهي القادرة بفضل سلطتها الاقتصادية، التي تحوزها تبعا لهذا التملّك، أن تستخدم الدولة كأداة سيطرة على المجتمع، فمن ركام مقبرة تيميشوارا Timisoara (رومانيا) إلى إبادة أهل كوسوفو، مرورا بحرب الخليج الأولى أو التدخل الغربي الأخير في ليبيا، كانت وسائل الإعلام الكبرى تردد بشكل أبدي صدى الدعاية الحكومية[250]، لذلك ليس غريبا أن تتحرك الآلة الدعائية الأمريكية لتبرير التدخلات الإنسانية رغم الانتقائية الواضحة في هذه التدخلات؛ فقد روّج مايكل ماندلباوم Michael Mandelbaum إلى أن التدخلات الأمريكية في حقبة ما بعد الحرب الباردة لم تكن بدافع الذهب، المجد أو الحسابات الإستراتيجية، بل كانت نتيجة تعاطف مع صور مُذاعة لجوعى في شمال العراق، الصومال وَ البوسنة، فالرغبة في إطعام هؤلاء كانت هي من دفعت بالجيش الأمريكي إلى ثلاث مناطق نائية بالعالم.[251]

---

* . لجنة الإعلام الأمني أو لجنة كريل: نسبة إلى جورج كريل George Creel، وهي لجنة دعاية حكومية أنشئت أثناء إدارة وودرو ويلسون بهدف تحويل المزاج الأمريكي المسالم إلى معادي لألمانيا ومتعطش لخوض الحرب ضدها وإنقاذ العالم. انظر:

Robert L. Heath and W. Timothy Coombs : **« Today's public relations : An introduction »**. U.S.A : Sage publications, 2006, p 56.

[248] . نوعام تشومسكي: " **السيطرة على الإعلام: الإنجازات الهائلة للبروباغندا**". ترجمة: أميمة عبد اللطيف، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2003، ص، ص 13، 17، 19.

[249] . جون ميرشايمر: " **لماذا يكذب القادة والزعماء: حقيقة الكذب في السياسة الدولية**". ترجمة: عبد الفتاح عمورة، دمشق: دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2016، ص، ص 131، 132.

[250] - ماثياس ريمون: " **مديرو تسيير الرأي العام: من يسيطر على وسائل الإعلام؟**". مرجع سابق، ص 239.

[251] - Piers Robinson: **«Media and US foreign policy»**. Op. Cit, p166 .

المبحث الثاني: تحولات السيادة وحقوق الإنسان: وعود "ما بعد الكولونيالية"

شهدت الجزائر في الفترة الممتدة بين 1871 و1918 أعنف عملية تدمير لمجتمع أصلي؛ اقتضى الأمر وقوع نوع من " الهولوكوست" لإخماد الثورات؛ كتب جون رويدي John Ruedy في ذلك أن ردود فعل المستعمِر على "التمرد" كان بطقوس عربيدة من الانتقام؛ في هذا السياق بالذات جرى تطوير نظريات "العقل الجزائري"، ومع ازدياد الإخضاع تزايدت معه عملية "التصنيف العرقي"، أين صُنّف الجزائري (والإفريقي عموما) كـ "الآخر" للأوروبي الكامل، هذا الجزائري جبْري (مؤمن بالقضاء والقدر)، كما وصفه أنطوان بورو Antoine Porot، يُذكّر بكتلة من الناس البدائية والساذجة؛ لم يلبث أن جاء الرد من فرانتز فانون Frantz Fanon الذي اعتقد أنه حين ينظر إلى أوروبا وطُرزها وتقنياتها، فإنه لا يشاهد إلا تعاقب أجيال من الرجال وسلسلة متتالية من جرائم القتل، وبرجوازية تعلن المساواة بين الناس في حين لا تتوان عن ارتكاب الجرائم في كل مكان[252]، البداية إذن كانت من الجزائر، منبت القوة الدافعة للنظرية بعد الاستعمارية، التي تطمح إلى خلق أنماط متميزة وأشكال محددة من المعرفة تعزز العدالة، السلام والتعددية السياسية، وبتركيزها على "حقائق" الهوية، الثقافة، القوة فإن الدراسات ما بعد الكولونيالية برزت بشكل لافت في سجالات "السيادة" و " حقوق الإنسان"، متبنيّة نهجا طموحا ومغايرا في التدخل الإنساني عن ذلك الذي امتازت به " النظريات العقلانية".

المطلب الأول . جنيالوجيا السيادة

قد يحلو للميتافيزيقيا أن تعتقد أن الأشياء في بداياتها كانت كاملة، خرجت من يد مبدعها مشعة وضاءة، غير أن الجنيالوجيا ترى أن وراء الأشياء شيئا آخر لدرجة أنها قد تبدو بدون حقيقة، لذلك تقف الجنيالوجيا عند الأصول، التي أضفى عليها التاريخ صفة الغاية والهدف، لتفضحها وتثبت أنها مجرد فروع؛ رغم ذلك يواجه البحث الجنيالوجي عن السيادة بمفارقات عويصة، فقد يكون مستساغا، بعض الشيء، أن تكون ثمة دول غير آمنة على الأجانب، غير أنه من غير المفهوم أن تكون هناك دول أخرى تشكّل خطرا على سكانها بالذات؛ عَوْدًا إلى تفسيرات ما بعد الاستعمارية ستتكشف أجوبةُ عن ذلك.

---

[252] . نايجل سي. غبسون: " **فانون: المخيلة بعد الكولونيالية**". ترجمة: خالد عايد أبو هديب، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2013، ص، ص 149، 150، 300.

الفرع الأول . نشأة فكرة السيادة

السيادة كتلة بناء مركزية للعلاقات الدولية المعاصرة، وحدها الدول التي تتمتع بالسيادة؛ تلك الدول التي لها حقوق وأدوار ولها عضوية في منظمة الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية، وتسيطر على التجمعات الدولية؛ نظريًا تتأهل الدولة لأن تكون ذات سيادة إذا استوفت أربعة معايير:[253]

أ . أن تكون صاحبة سلطة سياسية أعلى وأن تحتكر استعمال القوة بصورة شرعية ضمن حدودها.

ب . أن تكون قادرة للإشراف على حدودها، وعلى تنظيم ما يجري داخل أراضيها وما يخرج منها.

ج . لها حرية تبني السياسات الداخلية والخارجية التي تريدها.

د . معترف بها بصفتها دولة ذات سيادة من طرف نظيراتها.

إن هذه النظرة المتداولة للسيادة كسلطة حاكمة منفردة وسائدة على جميع السلطات داخل الإدارات الإقليمية، مستقلة عن السلطات الأجنبية وتتمتع بالاعتراف، تجعل منها، بصفتها واحدة من الأفكار المكوّنة لعالم ما بعد العصور الوسطى The post . medieval world، نقلة مميزة ونوعية في الممارسات السياسية والقانونية في العصر الحديث، إلا أن هذا لا يعني أنها لم تكن فكرة صادمة A shoking idea في بداياتها، فالوحدة المسيحية Christian unity الظاهرة لم تكن حقيقة تاريخية ثابتة في ظل انقسام العالم المسيحي إلى كيانين متباينين: المسيحية اللاتينية Latin Christendom في الغرب وتتمركز في روما، والإمبراطورية البيزنطية الناطقة باليونانية Greek Byzantine empire المتمركزة في كونستانتينوبل Constantinople (إسطنبول)، وفي وقت كرست فيه الأولى جهودها لترويج الخطاب الخلاصي للمسيحيين متمحورا حول سلطة البابا Pope، رفض بطريرك إسطنبول الاعتراف بسلطة هذا الأخير كمرجعية عليا، وقد أدى الغزو العثماني للإمبراطورية البيزنطية في منتصف القرن الخامس عشر إلى تأخر ظهور نظام الدول ذات السيادة في هذه المناطق، عكس إمبراطورية مسيحيي الغرب التي عرفت هذا النظام مبكرا.[254]

جاء إيجاد السلطات ذوات السيادة ليحدث تصدعا كبيرا، ففي العصور الوسطى لم يفكر أحد بجواز أن تكون كذلك، فتأكيد سيادة أي حاكم خطيئة وانتهاك بل واحتقار للمرجعيات المسيحية، غير أن ما عُدّ جريمة

---

[253] - ريتشارد ن. هاس: " **الفرصة: لحظة أمريكا لتغيير مجرى التاريخ**". ترجمة: أسعد كامل إلياس، الرياض: العبيكان، ط1، 2007، ص 61.

[254] - Robert Jackson: **«sovereignty: Evolution of an idea»**. U.k : Polity press, First published, 2007, p, p 1, 24, 25.

واعتداء أضحى منبعا للقانون والحقوق، فقد جاءت سيادة الدولة لتحل محل الحَبْر وسلسلة خدمه الدنيوية، وباتت أوروبا تُعرف على أنها مجموعة ممالك Regna قائمة على التعددية بعد أن كانت تسير وفق شكل تضامني[255]، كثير من هذه الممالك أُوجدت بطريقة عشوائية قبل أو بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية، وتزامن ذلك مع استقرار عديد من الشعوب المهاجرة في المنطقة، وهي الشعوب التي اصطلح عليها "القبائل البربرية" (الفيسيغوثVisigoths، الهنسHuns، الأستروغوثOstrogoths، السويفيين Sueves، الوندال Vandals، اللومبارديين Lombards، الفرانكس Franks، الساكسون Saxons)؛ تولى زعماء هذه القبائل زمام السيطرة ما حال دون وقوع أراضيهم في الغزو والاحتلال، أكثر من ذلك منعوا أي محاولات لـ رَوْمنة Romanized أو تمسيح Christianized شعوبهم المستقرة في هذه الأراضي تحت غطاء وحماية فترة السلام الروماني The pax Romana، ورغم الاتفاق المبدئي بين الأساقفة وزعماء القبائل على تحولهم وأحفادهم إلى المسيحية، إلى أنه في نهاية المطاف كانت الكلمة العليا لما حددته الأرض والشعب، حيث تعالت أصوات الجنسية أكثر من غيرها: Regnum Anglicana (مملكة إنجلترا) وَ Regnum Gallicum (مملكة فرنسا)، وغيرها.[256]

يرجع الفضل لإيطاليي النهضة في تبني منظومة سياسية منفصلة ومتحررة عن هيمنة الكنيسة المسيحية، ففي منتصف القرن الثاني عشر أشار المؤرخ الألماني أوتو فريزينغ Otto Freising إلى نشوء تنظيم سياسي واجتماعي جديد وملفت في شمال إيطاليا، ميزته أن المجتمع الإيطالي قاطع نظام الإقطاع وتوجّه لنظام المدن أو الجمهوريات المستقلة التي تُسيّر بإرادة قناصل لا حكام، قناصل يتغيرون كل عام تقريبا بغية التأمين على أن شهوة السلطة لديهم قد تم ضبطها، وأن حرية الشعب مصانة، لقد ذكر أوتو أن المدن بدأت تهزأ بسلطة الإمبراطور وتستقبل بطريقة عدوانية من يفرض عليها قبوله كأمير محترم[257]، وخلال الأحقاب الأخيرة من العصر الوسيط دأبت مدن إيطاليا الشمالية والوسطى على التأسيس لـ " نظام دول" في ما بينها، يعتمد بصورة أساسية على آلية "الحوار الدبلوماسي"، لذلك لا غرابة في أن توسم الدبلوماسية الحديثة، دبلوماسية السفير المقيمResident ambassador بأنها أحد ابتكارات عصر النهضة الإيطالية.*

---

[255] . روبرت جاكسون: " **ميثاق العولمة: سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول**". مرجع سابق، ص، ص 288، 289.

[256] - Robert Jackson: **«sovereignty: Evolution of an idea»**. Op. Cit, p, p 25, 26.

[257] . كوينتن سكنر: " **أسس الفكر السياسي الحديث: عصر النهضة**". مرجع سابق، ص، ص 39، 42.

* . لمعرفة المزيد عن إسهامات عصر النهضة في تطوير العمل الدبلوماسي، راجع:

Catherine Fletcher : **« Diplomacy in Renaissance Rome : The rise of resident ambassador »**. U.k : Cambridge university press, First published, 2015.

بدأ النظام الكهنوتي / السياسي القروسطي يتمزق ويتهاوى تحت ضربات مزدوجة من النهضة الإيطالية (أفكار مكيافيلي بالخصوص)، والإصلاح الديني الألماني (حركة مارتن لوثر Martin Luther)، وحدثت عمليات فك ارتباط مع السلطة البابوية، أشهرها " قانون السيادة " سنة 1534 في إنجلترا الذي رفع الملك إلى منصب الرئيس الأعلى للكنيسة، من جهتها عرفت فرنسا سنة 1576 صدور" كتب الجمهورية الستة " Les six livres de la république حيث اعتبرت نصائح مؤلِّفه "جون بودان" Jean Bodin رفضا صريحا للعصور الوسطى، بل و بات البابا منذ تلك اللحظة غريبا في فرنسا وسائر بلدان أوروبا التي تبنت مذهب بودان القائم على الحكم المستقل.[258]

يطرح بعض الجنيالوجيين قراءة شكوكية لافتة في نوايا مؤسسي فكرة السيادة الأوائل، فـ " برتراند بادي" Bertrand Badie يعتقد أن بودان لم يُعد طرح إلا ما هو قديم في ثوب مموه، ذلك أن بودان عاصر الحروب الدينية المدمرة في فرنسا بين آل جيز Guise المدعومين من إسبانيا و الهوغونوت Huguenots الذين تعضدهم إنجلترا، حينها أعلن بودان انتسابه لطرف ثالث[259]، فقد كان أحد تابعي " دوق ألونسون" Duke of Alençon الذي شكل حزبا سياسيا شدّد على تطبيق الحكم الملكي المطلق باعتباره شكل الحكم الأكثر عقلانية للتعامل بسماحة مع عصر الصراعات الدينية.[260]

مع صدور مؤلف "حول قانون الحرب والسلام" عام 1625 ابتعدت السيادة تدريجيا عن مسلّمة السلطة المؤلهة، لكن برتراند بادي يُرشد إلى أن المحامي الهولندي البرجوازي والبروتستانتي "هيغو غروسيوس" قد فتح بكتابه الشهير صندوقا شبيها بذلك الذي فتحته باندورا* Pandora، صندوق انطلقت منه الشرور والرزايا، لقد أصدر غروسيوس كتابه في وقت كان يشغل فيه منصب مستشار شركة الهند الشرقية، يتّجه بنظره نحو المحيط ويبدي اهتماما بمولد التجارة الدولية وليس الدول فحسب، صحيح أن غروسيوس، الذي كان شاهدا على حرب الثلاثين سنة، تمتّع ببصيرة عما سيؤدي إليه نظام وستفالي يتكون من دول صاحبة

---

[258] . روبرت جاكسون: " **ميثاق العولمة: سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول**". مرجع سابق، ص، ص 295، 296، 297.

[259] . برتراند بادي: " **عالم بلا سيادة: الدول بين المراوغة والمسؤولية**". ترجمة: لطيف فرج، القاهرة: مكتبة الشروق، ط1، 2001، ص 27.

[260] - Junius P. Rodriguez: «**The historical encyclopedia of world slavery».** U.S.A : ABC - CLIO, 1997, p 93.

* . باندورا Pandora: إلهة الأرض والخصب في الميثولوجيا الإغريقية، حذّرها الإله الأكبر "زيوس" Zeus من رفع غطاء صندوق، لكنها فعلت، فكان ذلك إيذانا بانتشار الشرور والآلام والأمراض في أنحاء العالم. عرفت باندورا في كثير من أدبيات المؤرخين الإغريق بـ " الشر المحبب" The beautiful evil . انظر: جان بيار فرنان: " **الأسطورة والفكر عند اليونان: دراسة في علم النفس التاريخي**". ترجمة: جورج رزق، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2012، ص 89.

سيادة مطلقة، وقامت فرضيته على أن قليلا من السيادة يتيح بناء الدول في مجابهة الحرب الأهلية، وكثير منها يقود نحو التقاتل، قليل من الدين يحد من تعسف العاهل، وكثير منه يؤدي إلى دكتاتورية الحبر الأعظم، وحدها الأخلاق الإنسانية المبشّرة بقيام قانون دولي قادرة على مجابهة مكائد البابا والعاهل[261]، إذًا لم تعد الدولة مطلقة السيادة بعد غروسيوس، لقد مثل ذلك انقلابا على الصيغة التي أرادها بودان وحتى التي دافع عنها بحماسة توماس هوبز.

قام هوبز، الذي يخشى منذ ثورة 1640 حربا أهلية قبل كل شيء، بترسيخ الصورة المجازية المكانية للسيادة بالنسبة إلى مجمل الفكر السياسي الحديث في " ليفياتان" Leviathan الذي يعلو فوق المجتمع والجمهور ويخضعهما لهيمنته، يبقى العاهل بالمنظور الهوبزي السلطة الفائضة القادرة على حل أزمة الحداثة أو إرجائها، إضافة إلى أن السيادة بهذا المفهوم تؤدي عملها عبر إيجاد الحدود الثابتة بين الأقاليم والكتل السكانية والوظائف الاجتماعية، وبالتالي فإنها عنصر تشفير أساسي، بل أحيانا تكون مبالِغةً في تشفير وتدوين جملة الوظائف والتدفقات الاجتماعية، بعبارة أخرى أن السيادة تعمل عن طريق تثليم الحقل الاجتماعي.[262]

أصبح التحليل الدولي أسيرا لاختيار معقد بين بديلين: إما يستسلم لتعميق الفرضية التعاقدية التي تتوطد بصحبة هوبز، وحينئذ يعيد تقييم خطاب السيادة، وإما يراهن على احتمالات المعايير العقلانية / الأخلاقية والقانون الطبيعي لـ غروسيوس، وحينذاك يتوصل إلى ممارسة نوع من الوصاية على السيادة واستشعار شيء يتشابه مع المجتمع الدولي، إنها معركة غير معلنة بين غروسيوس/ هوبز، بين مجتمع من الدول صاحبة السيادة/ قانون دولي يفصل في نزاعات الدول وينقص من السيادات.

تثبت التطورات اللاحقة كيف تم بناء المثل الأعلى للديمقراطية على مسلمة هوبز، وقتها امتلك العاهل الشرعية الديمقراطية بلا منازع[263]، بمعنى تسامي صاحب السيادة على الساحة الاجتماعية[264]، وبناء عليه عُد كل تدخل خارجي سلوكا جنائيا، وصُنّف " الدولي" بالقوة (غير الشرعية وغير المحببة) في مواجهة " الداخلي" الذي يُعبّر عن القانون والإرادة الشعبية، وأصبح المجتمع الدولي الذي استشفّه غروسيوس متهما بالفوضى، التآمر وإنجاز علاقات القوى، بفعل ذلك ترسخت الريبة تجاه " التجمعات الإقليمية" ونما الشك

---

261 . برتراند بادي: " **عالم بلا سيادة: الدول بين المراوغة والمسؤولية**". مرجع سابق، ص، ص 29، 30.

262 . مايكل هاردت وَ أنطونيو نيغري: " **الإمبراطورية: إمبراطورية العولمة الجديدة**". ترجمة: فاضل جتكر، الرياض: ط1، 2002، ص، ص 472، 473.

263 . برتراند بادي: " **عالم بلا سيادة: الدول بين المراوغة والمسؤولية**". مرجع سابق، ص، ص 31، 32.

264 . مايكل هاردت وَ أنطونيو نيغري: " **الإمبراطورية: إمبراطورية العولمة الجديدة**". مرجع سابق، ص 472.

حول ما يثيره " الحكم العالمي" مثلما تثيره ممارسات " التدخل" المتواترة، لقد نجح هوبز، ربما دون قصد، في تخويف البشر من " الدولي" باسم " السيادة"، إلا أن انتصار هوبز على غروسيوس لم يكن مطلقا، فبحوث جون لوك " الحكومة المدنية" Civil Government [265]ومن بعده كانط خلقت نوعا من التوازن في المعركة.

الفرع الثاني: داء بودان Mal de Bodin

شرع بعض الباحثين الذين ضاقوا ذرعا بفكرة السيادة في إطلاق اسم " داء بودان" Mal de Bodin عليها[266]، فبحسب رؤية ألكسندر دوغين Alexander Dugin السيادة مقياس للقوة، وبدون شرط القوة ينتفي وجود السيادة، وعالم اليوم يقر بوجود قوة عظمى وحيدة وقليل من القوى الصغرى، أما الباقي فهي مكونات خامدة تحقق مصالحا ضيقة لسياسات الآخرين، يدعونها توهما وصوريا بـ " دول ذات سيادة" فقط على أساس أنها أعضاء في الأمم المتحدة.[267]

يصف ستيفن كراسنر Stephen Krasner السيادة كشكل من أشكال النفاق المنظم Organized hypocrisy* ذلك أن الدول لم تخرق فقط سيادة الدول الأخرى، بل هي وافقت طواعية على فقدانها لسيادتها الخاصة حين كان ذلك يتناسب وأهدافها، ومثال ذلك الإصلاحات المؤسسية والسياسية التي تلتزم بها الدول النامية مقابل قروض صندوق النقد والبنك الدوليين[268]، كما يستشهد عادة في هذا الجانب بالدول صغيرة الحجم التي تعاني حالة من الانكشاف الإستراتيجي Strategic exposure بفعل صغر مساحتها الجغرافية ومحدودية عدد السكان وهو ما يطرح تأثيرات جانبية تتعلق بالوعاء الدفاعي Defensive vessel المرتبط بعدد الأفراد القابلين للتجنيد، خصوصا إذا كانت هذه الدول تتموقع في بيئة جيوسياسية شديدة التعقد (مثل ممالك الخليج الصغيرة) حيث يتقلص مفهوم الأمن تدريجيا لدى هذه الدول ليتركز على فكرة البقاء Survival وليس الأمن بمفهوم آخر، وبالتالي يصبح أي حديث عن استقلالية أو سيادة الدولة في مثل هذه الحالات

---

[265] . برتراند بادي: " **عالم بلا سيادة: الدول بين المراوغة والمسؤولية**". مرجع سابق، ص، 32.

[266] - Hent Kalmo: «**Sovereignty: A painful state**». History today. Volume 63, Issue 1, January 2013, p3.

[267] - Aleksander Dugin: **«Enantiodromia in Russian politics».** In: *katehon.com/1340-enantiodromia-in-russian-politics*

* . انظر:

Stephen Krasner : **« sovereignty : Organized hypocrisy ».** Princeton : Princeton university press. 1999.

[268] . فرانسيس فوكوياما: " **أمريكا على مفترق الطرق: ما بعد المحافظين الجدد**". ترجمة: محمد محمود التوبة، الرياض: العبيكان، ط1، 2007، ص 231.

نوعا من الترف الإستراتيجي Strategic luxury، وتشير بعض التحليلات إلى " عقدة الأحجام القزمية" التي يبدو للدولة وفقها أن كل شيء أكبر من حجمه الطبيعي[269]؛ قد يوفر هذا التحليل مدخلا مناسبا لتفسير طلب ملك البحرين من "قوات درع الجزيرة" التدخل لمواجهة موجة الاحتجاجات المتزايدة في البلد منذ 2011، وهي الحركة الاحتجاجية التي تصفها آلاء الشهابي بأنها تتجاوز كل ما له علاقة بالهوية الوطنية والسرد التاريخي والخطاب الشعبي، وتمتد بالمقابل لتقويض كل ما تفرضه السلطة الحاكمة، فالمعارضة ولفترة طويلة، دعت للاحتفال بيوم 14 أوت (اليوم الذي انسحبت فيه بريطانيا رسميا من البحرين) كيوم وطني رسمي، غير أن العائلة الحاكمة جعلت اليوم الوطني الرسمي هو ذلك اليوم الذي جلس فيه الملك على العرش (17 ديسمبر) وبالتالي ليس من المستغرب أن تنزع دولة ذات موارد محدودة مثل البحرين إلى دعوة قوات أجنبية للتدخل، لذلك يجب فهم هذه الحركة المطلبية على أنها محاولة لاسترداد السيادة الكاملة في مواجهة أطروحة "النفاق المنظم" لـ كراسنر، (والتي أثبتت الحالة البحرينية أنها أطروحة جد واقعية): " المفارقة أنه على الرغم من أن هناك تفاهم غير رسمي على أن الدول ذات سيادة، فإنها يمكن أنها لا تزال عرضة لتدخل مستمر"[270].

يعتقد برتراند بادي Bertrand Badie أن السيادة لم تكن فكرة واضحة إلا لأولئك الذين يعتبرونها دافعا لبذل تضحياتهم بقدر ما يحصلون منها على مغانم، لكن القضية في جوهرها ظلت دائما غامضة، فبدءا من جون بودان Jean Bodin الذي ألهم الملكيات المستبدة وصولا إلى هانس مورغانتو الذي ثقَّف وكوّن هنري كيسنجر Henry Kissinger كان تعريف السيادة مفرطا بشدة في تقديمها على أنها "سلطة مطلقة ودائمة للجمهورية"،" سلطة مركزية تمارس سلطانها على الأرض"، وكأن الأساس المفهومي للسيادة جيء به للتذكير بأن كل دولة تمتلك سلطة بمعزل عن الآخرين، تسن قوانينها الخاصة وتُنشئ نظامها دون أدنى اهتمام بإنسان آخر من خارجها، وهذا ما أفضى إلى "اللا مسؤولية تجاه الآخر" والآخر هو ذلك الذي في الخارج والذي لا يرجع بدوره إلا لسيادته الخاصة؛ كم هو حجم المعضلة، ومقدار الغموض الذي تطرحه هذه الصياغة؟[271]، فما يصوغ ويؤسس هيكلية الإنسان ليس ذلك السؤال الاعتباطي " أكون أو لا أكون" To be or not to be إنما هي المسؤولية تجاه الإنسان الآخر، تلك المسؤولية التي تعطي وقارا وعظمة

---

[269] . محمد عبد السلام: " **مشكلات الدفاع عن الدول الصغيرة في الخليج العربي**". السياسة الدولية، العدد 168، أفريل 2007، مجلد 42، ص 91.

[270] - Ala'a Shehabi: **«Bahrain's sovereign hypocrisy»**. Foreign policy. 14 Aout 2013, In : *foreignpolicy.com/.../**bahrains-sovereign-hypocrisy/***

[271] . برتراند بادي: " **عالم بلا سيادة: الدول بين المراوغة والمسؤولية**". ترجمة: لطيف فرج، القاهرة: مكتبة الشروق، ط1، 2001، ص، ص 13، 14.

للوجود البشري، وهكذا فإن فيلسوفا أخلاقيا مثل إيمانويل ليفيناس Emanuel Levinas لا ينفك أن يدافع عن ضرورة إحداث انقلاب يستبدل "الأنا" التي يتحدث عنها علم الأنطولوجيا (الوجود) بـ " الآخر" التي يتحدث عنها علم الأخلاق، فالقتل ممكن، لكنه يكون كذلك حين لا ننظر إلى الآخر وجها لوجه، فالعلاقة بالوجه حسب ليفيناس علاقة تتصل بالأخلاق، بوصفه نوعا من عبء الآخر الأخلاقي " فهو يطلب مني بألا أتركه يموت وحيدا، بما يوحي أن تركي له يجعلني شريكا في قتله".[272]

يدفع الواقعيون الجدد إلى أن السيادة إذا لم تتوصل إلى فرض آليات تعاليها وسموها، فالسياسة الدولية ستتحول حينها حتما إلى غابة حقيقية يحكمها الأكثر قوة، فكل دولة هي كيان سياسي سيادي مع الإقرار بوجود اختلافات بين الكبيرة منها والصغيرة، فـ كوستاريكا ليست هي الاتحاد السوفييتي وغامبيا ليست هي الولايات المتحدة، فالدول متساوية بقدر ما هي متباينة أيضا، وتموضُع طرفين أو أكثر في نفس الفئة يؤهلهم لأن يكونوا متساوين، ليس في كل النواحي ولكن في بعض منها، يعبّر كينيث والتز Kenneth Waltz عن ذلك بالقول " لا يمكنك إضافة التفاح للبرتقال" You can't add apples to oranges هذا قول شعبي مأثور يتداوله الباعة الذين لا يريدون منك أن تقارن بضاعتهم مع الآخرين، لكننا ندرك جميعا أن هذا القول في جوانب كثيرة منه هو مخادعة، فإضافة أشياء متباينة يمكن أن يعبر في النهاية عن نتيجة معينة في الفئة محل المقارنة، فثلاثة تفاحات زائد أربع برتقالات تساوي سبع قطع فاكهة، والسؤال الوحيد المثير للاهتمام هنا: هو ما إذا كانت هذه الفئة التي تصنّف تلك الأشياء إلى سمات مشتركة بينها ذات فائدة؟؛ في الحقيقة يمكن للمرء أن يضيف أشياء متنوعة على نطاق واسع، يمكن أن يضيف إن شئت ثمانية ملايين من الأشياء، ولكن نادرا ما يحتاج لواحد منها" [273]، فالتحديات الداخلية والخارجية وتطورات العولمة تختبر قدرة الدول على التكيف، بعضها ينجح في ذلك على قدم وساق، والبعض الآخر يتجاوز ذلك بثقلٍ وصعوبة؛ قد تتنوع التحديات لكن الدول تتحمل، وتفلح في نهاية المطاف في الحفاظ على النظام الدولي قائما في صيغته كنظام دول[274]، إلا أن برتراند بادي لا يرى في هذه الفرضية إلا توكيدا على أن هذا الإيعاز بالتسامي ،الذي أُريد للسيادة أن تتزيّن به، إقرار ضمني بفشلها في أن تنسحب إلى السماء، كونها ظلت على الدوام أداة النزاعات الأكثر تواضعا وساترا للدسائس الأكثر صفاقة، وأحيانا وجهةً مختارة لإظهار الحقوق الأكثر تباينا؛ إنها وهمُ تولد عن وهم آخر مُحدث وليس مبتكر، فظروف تكوّن هذا المبدأ تثبت أنه لم يكن لأغراض تنظيمية بل بمقاصد دعائية، وقبل أن يكون خطابا حول الوضع في العالم فرض

---

[272] . فيليب كوركوف: " **كبار المفكرين في السياسة: مسارات نقدية في فلسفة السياسة**". ترجمة: علي نجيب إبراهيم، بيروت: دار الكتاب العربي، 2014، ص 93.

[273] - Kenneth Waltz: «**Theory of international politics**». U.S.A : Addison - Wesley Publishing Company, 1979, p96.

[274] - Kenneth Waltz: «**Globalization and governance**». PS: Political sciences and politics. Vol 32, No 4, December 1999, p 697.

نفسه كبيان عما يجب أن يكون، فالأسر الحاكمة قبل أن تصبح صاحبة السيادة شغفت بالمعارك لتمتلكها*؛ إنها تنميقٌ متواصل للتوفيق بين ما هو غير متوافق، وذلك ما تكشف عنه عملية تصفية الاستعمار والإحباطات التي أعقبتها، لقد كانت مطالبات نهرو Jawaharlal Nehru، سكارنو Ahmed Soekarno، بن بلة، مزهوة وعادلة، ولكنها سرعان ما تكشّفت عن كونها شكلا شائعا للسلطة، هكذا أصبحت السيادة مجازفة أكثر منها نظاما، ومطلبا أكثر منها خاصية، وقواعد نزاع بدل من أن تكون طابعا لنظام دولي.[275]

بعد الإقرار بأن نظام الدول ذات السيادة لا يزال هو النمط المسيطر على العلاقات الدولية، يتدارك جوزيف ناي Joseph Nye بالإشارة إلى بروز نمط من المجتمعات المتداخلة ونوع من الإدارة يحملان أوصافا شبيهة بالوضع الذي كان سائدا قبل معاهدة سلام وستفاليا 1648، فالاتصالات العابرة للقومية كانت نماذج مألوفة في عهد الإقطاع، لكنها صارت مقيدة على نحو متزايد بنشوء الدولة/ الأمة المركزية، ومن شأن الكلفة المنخفضة للأنترنت أن تفتح باب الاتصالات العابرة للقومية أمام ملايين كثيرة من البشر[276]، ف الفايسبوك Facebook يساهم اليوم في إنشاء مجموعة تفاعلية عابرة للحدود تتجاوز قدرة الحكومة على التوجيه والرقابة[277]، ويشير البعض إلى أن الأنترنت لا تقتصر على تجاوز الصلاحيات القانونية والسيادات الإقليمية، بل تساهم فعليا في نزع صفة "الوسيط" Mediator عن الحكومة أين يكون المجتمع العالمي للمتواصلين فوق المجتمعات الجغرافية المحلية[278]، بالإضافة إلى أن تراكمية السياسات الإيكولوجية والاتفاقيات البيئية المشتركة تركت أثرا ملموسا على طبيعة وممارسة السيادة في العالم المعاصر[279]، حيث تشارك معظم بلدان العالم في اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ UNFCCC وهناك إجماع شبه عالمي على حماية طبقة الأزون وحظر الملوثات العضوية الثابتة POPs، كما وافقت جميع الدول الكبرى، عدا الولايات المتحدة، على تنفيذ بروتوكول كيوتو.[280]

---

* . يستدل برتراند بادي بأمثلة تاريخية لإثبات ذلك: الصراع بين البابا جريجوار السابع والإمبراطور الجرماني هنري الرابع، العلاقات بين أسرة كوريو المالكة (في كوريا) وبين المنغوليين، غزو صلاح الدين لمصر وما انجر عنه من تجزئة السيادة بين الخليفة الفاطمي والسلطان الزنكي في حلب.

[275] - برتراند بادي: " **عالم بلا سيادة: الدول بين المراوغة والمسؤولية**". مرجع سابق، ص، ص 45، 87، 88.

[276] . جوزيف س. ناي: " **مفارقة القوة الأمريكية**". ترجمة: محمد توفيق البجيرمي، الرياض: العبيكان، ط1، 2003، ص113.

[277] . عادل زقاغ: " **العصر الوسيط الجديد وتداعياته على النظرية والممارسة في العلاقات الدولية**". مجلة المفكر، العدد السابع، نوفمبر 2011، ص 161.

[278] - جوزيف س. ناي: " **مفارقة القوة الأمريكية**". مرجع سابق، ص 112.

[279] - Karen T. Iitfin: **«Sovereignty in world ecopolitics»**. Mershon international studies review. Volume 41, Issue 2, November 1997, p 167.

[280] . ريتشارد ن. هاس: " **الفرصة: لحظة أمريكا لتغيير مجرى التاريخ**". مرجع سابق، ص 59.

يرى هارلان كليفلاند Harlan Cleveland أن الحكومات غير مؤهلة تنظيميا للتعامل مع أجندة الأحداث في عالم اليوم، والتي تشير في معظمها إلى مشكلات " التأديب المشترك"، ومشاكل ما بين الإدارات وما بين المهن، لذلك جزء كبير من المأزق يكمن في أن المؤسسات التقليدية للسيادة الوطنية قد صُممت بطريقة سيئة لا تتلاءم ونوعية التحديات المعاصرة، إذْ أنّ وضع سياساتها غالبا ما يميل إلى التقيد بالحدود الاصطناعية الموروثة عن تاريخ التفكير العقلاني (الفيزياء، الأحياء، الاقتصاد، الأنتروبولوجيا)، ومن تاريخ نشاط الحكومات في الأزمنة الأكثر بساطة (التعدين، التجارة البحرية، تنظيم التجارة) ومن المهن التاريخية (القانون، الطب، الهندسة)، ولكن يوجد من الأحداث المستجدّة ما يتعدى النظم والتخصصات البيروقراطية، حيث لا يكون في مقدور الوزارات وتوصياتها الرأسية أن تجد لها حلولا، لذلك فالمفاوضات الجانبية هي الطريقة المثلى للتعامل مع هكذا قرارات معقدة، تلك المفاوضات التي يسميها الأمريكيون بـ "عمل اللجان" Political action committees، ويسميها اليابانيون بـ " الإجماع" Consensus، وتعوّدت الأدبيات الشيوعية على تسميتها بـ "القيادة الجماعية" Collective leadership[281]؛ وبالمثل فإن السيادة أحادية الجانب تبدو مستحيلة في بعض القضايا العالمية، وفي الحالات التي يُستعصى فيها على القدرة الأحادية إنتاج المحصلات المرجوة فإن السيطرة السيادية قد تتوسع بقبول العضوية في مواقف جيدة تُشكّل في مجملها مادة ديناميكية للحياة الدولية[282]، فأمن الأشخاص ودورات التضخم والكساد وتهديد النظم البيئية وتدفق المعلومات (الذي يعتبر قوة دافعة لكل هذه العوامل) أضحت حتمية دولية وبدرجة متزايدة، فالقوى التي تدفع نحو التغيير وتهدد السلام مرتبطة بدرجة كبيرة بالقوى الموجودة في دواوين وعواصم الدول، بما فيها تلك التي توسم بأنها الأعظم، وعليه فإن وضع الحكومات القومية يتزحزح من القمة في الترتيبات الدولية، وهذا من شأنه أن يقلل من قدرة الحكومة القومية على الإشراف والتمييز والرقابة، إذ أنها لا تستطيع التصرف دون استشارة شركائها وأحيانا أعدائها، وبشكل ملح لا يعبّر هذا عن فقدان السيادة بشكل كامل بقدر ما ينصف فرضية أن السيادة لم تكن أبدا ادعاء مطلقا بما أنها ترتبط بادعاءات أخرى، حيث أن تنسيق وائتلاف السيادات هو الطريق الوحيد لكل شريك لممارسة سيادته.[283]

قد يبدو شرط تناغم السيادات معضلة، خصوصا إذا اقترن بمعياري عدم التدخل (عدم تدخل الدولة في المجتمع المدني وعدم تدخل المجتمع الدولي وسائر الدول في الدول السائرة على طريق الديمقراطية)،

---

[281] . هارلان كليفلاند: " **ميلاد عالم جديد: فرصة متاحة لقيادة عالمية**". ترجمة: جمال علي زهران، القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ط1، 2000، ص 75.

[282] . جوزيف س. ناي: " **مفارقة القوة الأمريكية**". مرجع سابق، ص 289.

[283] . هارلان كليفلاند: " **ميلاد عالم جديد: فرصة متاحة لقيادة عالمية**". مرجع سابق، ص، ص 76، 81.

وبصيغة استفسارية: هل مجال الاستقلال الموفّر للمدنيين في المجتمع المدني عبر تفعيل مبدأ عدم التدخل (مُطعَّما بالحقوق الأساسية) يتناغم مع مجال الاستقلال الذي يكفله مبدأ عدم التدخل في المجتمع الدولي؟، هل يحق لـ "حسين" أن تكون حقوقه الأساسية مكفولة غير أنه يُجبر كمواطن أن يقبل أي قرار تتخذه حكومته المنتخبة ديمقراطيا؟؛ بالنسبة لـ " كارن سميث" و "مارغوت لايت" فإن المجتمع المدني ومجتمع الدول الديمقراطية ليسا متنافسين بل هما ممارستان متكاملتان، فالمواطنون في الديمقراطيات يستخدمون جهاز الدولة عادة لحماية حقوقهم المدنية، إما عبر تفعيل القانون العام أو تثبيت شرعةِ حقوق صريحة في الدستور.[284]

في العلاقات الدولية يصطفّ " توازن القوة" بصورة طاغية إلى جانب الدول والحكومات، بيد أن هذا التوازن طرأت عليه العديد من التحولات، وما يفسر هذه التغييرات أكثر من شيء آخر هو طبيعة العولمة، فالدول لا تستطيع تنظيم الكثير مما يتدفق عبر حدودها بحجمٍ وسرعة دائمة التزايد، إضافة إلى ذلك، حدث نمو كبير في عدد الكيانات الناشطة في كل دولة، وكما هو الحال مع الشركات متعددة الجنسيات توجد ملايين المنظمات غير الحكومية في سائر أنحاء العالم، إنه "انتقال القوة" *Power Shift في العالم، وهو تبدّل جعل دولا وحكومات تتقاسم المسرح على نحو متزايد مع كيانات أخرى غير ذات سيادة وتمتلك استقلالا حقيقيا وقوة ونفوذا؛ كل واحد من هذه الكيانات سلب جزءا قليلا من السلطة السياسية للدولة، وفي هذا الصدّد يُتوقع مستقبلٌ تلتزم فيه سيادة الدولة بأن تصبح أضعف، على الأقل في مجالات مختارة، لحماية مصالح البشر وباقي دول العالم.[285]

بعد تجارب كوسوفو وتيمور الشرقية كانت الأفكار حول حقوق الإنسان والتدخل الإنساني في مواجهة سيادة الدولة الكلاسيكية السمة المركزية لخطاب الأمين العام للأمم المتحدة أمام الجمعية العامة (سبتمبر 1999)، إذ ناقش كوفي عنان Kofi Annan أنه في عصر العالمية تكون " المصلحة الجماعية هي المصلحة القومية"، وأجاب رئيس منظمة الوحدة الإفريقية حينها (الجزائري عبد العزيز بوتفليقة) من أنه لا ينكر حق الرأي العام بالشمال أن يدين مخالفات حقوق الإنسان، لكن السيادة هي "دفاعنا الأخير ضد قوانين عالم غير متكافئ"، و " أننا نحن الأفارقة لا نشارك في عملية صنع القرار"، وقبل ذلك أقرّ رئيس جنوب إفريقيا تابو مبيكي Thabo Mbeki أن "عملية العولمة تعيد تعريف مفهوم السيادة القومية وممارستها"،

---

[284] - Karen E. Smith and Margot Light: **«Ethics and foreign policy».** Op. Cit, p, p 83, 84,85.

* - للاطلاع على هذا المفهوم، انظر:

Jessica T. Mathews: **« Power shift: The rise of global civil society »**. Foreign affairs, January, February 1997, Issue.

[285] . ريتشارد ن. هاس: " **الفرصة: لحظة أمريكا لتغيير مجرى التاريخ**". مرجع سابق، ص 62.

ويكشف انتقاد كوفي عنان، في خطابه، للسيادة، وهو المفهوم الذي يعتمد عليه ميثاق المنظمة بشكل قوي، يكشف عن تغيّر مباشر ومذهل في هذا المبدأ.[286]

لقد تجاوزت شبكات التجارة العالمية سيادة الدولة، فالمستثمرون العالميون الخواص يبحثون عن قواعد للعبة يمكن التنبؤ بها وفرضها، ولأنها مصادر قوية ومستقلة للتأثير في الأمم وعلاقاتها البينية تساعد هذه الشبكات في صياغة الشروط التي تشترك بموجبها الدول في توافقات عالمية، فبسبب عولمة شبكة الأموال أضحت الدول أكثر عرضة للتأثر بالأزمة الاقتصادية المنتشرة من إقليم إلى آخر، وبينما تصبح الأزمات العسكرية الإقليمية محدودة تصبح الأزمات الاقتصادية الإقليمية عالمية، كالتي حدثت في المكسيك وجنوب شرق آسيا وروسيا منتصف وأواخر التسعينات، فنظرية الدومينو Domino theory التي كانت تخص عالم السياسة أصبحت تخص اليوم عالم المال.[287]

يعتقد جوزيف ناي أن الفكرة الشائعة بأن العولمة تعادل الأمركة Globalization is just Americanization تبسيطية أكثر من اللازم، فالولايات المتحدة نفسها هي نتاج عولمة القرنين السابع عشر والثامن عشر (اكتشاف أمريكا والطريق إلى جزر الهند الشرقية عبر رأس الرجاء الصالح)، ولكن الأكيد أن الولايات المتحدة سَمكَة كبيرة تسبح بليونة ومهارة فائقة في مياه العولمة وتحكمها بتفوق لا ينازع مثلما عبّر عن ذلك وزير الخارجية الفرنسي هوبير فيدرين Hubert Védrine، لذلك قد يكون من المفهوم أن تُستخدم القومية لمقاومة كل ما يرمز للثقافة الشعبية الأمريكية، ففي أربعينات القرن العشرين سعى المسؤولون الفرنسيون إلى منع مشروب كوكا كولا Coca Cola ولم تتم الموافقة على بيعها في فرنسا حتى سنة 1953، وفي قضيةٍ أخذت شهرة إعلامية واسعة قام المزارع الفرنسي والنائب الأوروبي الفرنسي عن حزب الخضر جوزيه بوفيه José Bové بحماية "السيادة المطبخية" Food Sovereignty عبر تدميره مطاعم ماكدونالد McDonald . [288]

إن مسعى منظر العولمة الأشهر توماس فريدمان Thomas Friedman لإيجاد توازن بين سيارة ليكسيس Lexus وشجرة الزيتون* يبدو بعيد المنال، إن لم يكن مستحيلا، على الأقل إذا تم وضعه في

---

[286] -روبرت و. كيوهن وَجوزيف س. ناي الابن: " **تمهيد: الحكم في عالم يتجه نحو العولمة** " . مرجع سابق، ص، ص 24، 50.

[287] . غراهام أليسون: " **أثر العولمة في الأمن القومي والعالمي**". في: جوزيف س ناي وَ جون د. دوناهيو(محررين). نفس المرجع، ص 125.

[288] - جوزيف س. ناي: " **مفارقة القوة الأمريكية**". مرجع سابق، ص، ص 151، 152.

* . فاز كتاب " الليكيس وشجرة الزيتون: فهم العولمة" لـ " توماس فريدمان" بجائزة بوليتزر Pulitzer، حيث ترمز سيارة ليكسيس اليابانية الفاخرة لقوى عملية العولمة، في حين يرمز الصراع حول شجرة الزيتون في بعض المناطق إلى قوى الأصالة المدافعة عن السيادة. انظر:

سياق البيئة الفرنسية المغايرة للبيئتين اليابانية / الشرق أوسطية التي استدل بها فريدمان، فـ "السيادة المنشطرة المقيّدة"[289] كاستجابة للعولمة والتي حاول فريدمان و ألريش بيك تمهيد الطريق لها، لم تلق إجماعا، ليس فقط في ممارسات الدول المستقلة حديثا، كما بينته المقولة السابقة للرئيس الجزائري، بل حتى في نَزعات غير رسمية داخل الدول ذات الباع الكولونيالي، كما عبرت عنه تظاهرات منظمات مناهضة العولمة في أوروبا والولايات المتحدة وآسيا؛ يستدعي الأمر، إذًا، الإمساك بتصاميم هندسية تعددية جديدة للمجتمع الدولي، تُراعى فيها برفق مؤسسة الدولة باعتبارها المؤسسة العملية الوحيدة التي يمكن التعويل عليها للدفاع عن مصالح البشر وخدمتهم، وهذا قد يشكّل احتمالا موشكا لدخول العالم في " لحظة غروسيوسية*" Grotian moment أخرى.

الفرع 3 . اللحظة الغروسيوسية الجديدة

فقدت الدولة في عملية العولمة بعض سمات السيادة، وتم مزج حزمة الحقوق السيادية مع قواعد الإقليمية والعالمية، وبات على الدول الالتزام بواجب التشاور مع سائر المنظمات قبل أن تقرّر استخدام القوة ضد دولة أخرى، أو قبل أن تحدد ما إذا كانت أقلية ما تستحق تقرير المصير من عدمه، وحتى قبل أن تُشرّع قائمة التعريفات الجمركية المطبقة على الصادرات والواردات؛ هذا التحول ذو الأبعاد المؤثرة في تنظيم نمط عمل الحياة الدولية، والذي يشبه الثورة التي حصلت قبل قرون واستوعبتها تشريعات هيغو غروسيوس، سماها ريتشارد فالك Richard Falk سنة 1985 بـ " اللحظة الغروسيوسية"[290] ، واُستخدمت بعد فالك على نطاق واسع في كتابات الباحثين وحتى في أبحاث الأمين العام للأمم المتحدة بطرس غالي.*

يستخدم مايكل شارف Michael Scharf مصطلح "اللحظة الغروسيوسية" للدلالة على تنميةٍ تحويلية تفرز قواعدًا وتعاليمًا عُرفية جديدة في القانون الدولي بوتيرة متسارعة وغير عادية، وخلافا لمصطلح " اللحظة الدستورية" Constituional moment الذي استخدمه بروس أكرمان Bruce Ackerman و جيني مارتيناز Jenny Martinez و ليلى السادات وآن ماري سلوتر Anne Slaughter لوصف، على

Thomas Friedman: **« The Lexus and the Olive tree: Understanding globalization ».** U.S.A : Anchor books, 1999.

289 . ألريش بك: " **ماهي العولمة**". ترجمة: أبو العيد دودو، بيروت: منشورات الجمل، ط 2، 2012، ص 73.

* . نسبة إلى هيغو غروسيوس.

290 - Milena Sterio: **«A Grotian moment: Changes in the legal theory of statehood»**. Denver journal of international law and policy. Vol 39 : 2, 2011, p, p 209,211.

* - انظر:

Boutros Boutros Ghali : **« The role of international law in the Twenty - First century : A Grotian moment ».** Fordham international law journal. Vol 18, 1995.

التوالي، القانون الدستوري الأمريكي، صياغة ميثاق الأمم المتحدة، محاكم نورمبرغ، وهجمات الحادي عشر من سبتمبر، خلافا لذلك، فإن شارف يؤكد أن " اللحظة الغروسيوسية" هو المصطلح الأكثر دقة ومنطقية عند مناقشة أي تطورات لها تأثير على القانون الدولي بأسره.[291]

يعتقد ريتشارد فالك أن التوتر بين الإدارة الداخلية وحقوق الإنسان قديم قدم عمليات اضطهاد وملاحقة الهوغونوت Huguenots أو البيوريتاريين Puritans ومعاصر معاصرة اضطهاد اليهود السوفييت، ومسألة ما إذا كان احترام سيادة الدولة يَحول دون الجهود التي ينبغي أن تبذل في عملية إنقاذ ضحايا المظالم الحكومية تبقى ملتبسة وإشكالية عويصة في جميع الأطر، بناء على ذلك تَعرف الحياة الدولية عملية إعادة تنظيم "انقلابية" سوف تتمخض عن تغييرات عنيفة لنسق النظام العالمي الذي بقي سائدا منذ سلام وستفاليا، وإن كانت اللحظة الغروسيوسية الأولى سمحت بالانتقال من "التوجيه المركزي غير الإقليمي" [القائم على بابوية القرون الوسطى والولاءات الإقطاعية] إلى "إشاعة المركزية الإقليمية" [القائمة على نظام ذوات السيادة] فإن اللحظة الغروسيوسية الثانية تنطوي على الانتقال من مجتمع فوضوي إلى مجتمع نظام عالمي جديد قائم على أدوار متنامية لأطراف فاعلة غير إقليمية، فمن المؤكد لدى فالك أن الحكومات قد تسيء استعمال سيادتها مما يعرّض أعدادا كبيرة من الناس لصنوف شتى من المعاناة؛ غير أن روبرت جاكسون يرى في أطروحة فالك تفسيرا خاطئا للحظة الغروسيوسية في السياسة العالمية، فلم يكن غروسيوس منظّرا لنزعة تضامنية تنتصر لتقدم الإنسان على حساب العقبة الدولتية، بل كان منظرا لعالم قائم على " مركزية الدولة" من جهة و" محورية الإنسان" من جهة ثانية[292] .

يصِف جاكسون توْق بعض المحامين التقدميين الدوليين (مثل فالك) إلى التضامن السياسي والأيديولوجي بالانعطاف الذي ينطوي على المفارقة الساخرة، فمثل هذه الفكرة الجامعة صاغها رهبان سياسيون/ دينيون قروسطيون وذَاد عنها جنود مسيحيون، في حين أن العالم الحديث المؤلّف من دول ذات سيادة أُسس وأُبتكر أصلا بهدف الخلاص من هذه التراتبية السياسية، وبالتالي يقتضي مسار التطور التاريخي للمجتمع الدولي وضع اللحظة الغروسيوسية في سياقها الطبيعي عبر الاستنتاج أن سيادة الدول والنزعة التضامنية تنتميان إلى عائلة واحدة، ومثل هذه الصيغة الكلاسيكية التعددية تُفضي إلى ضرورة أن يضطلع الساسة وقادة الدول بتحمل أربعة مسؤوليات تُشكّل في مجملها الفهم الأكثر موضوعية للحظة الغروسيوسية الجديدة: (أ):

---

[291] - Michael Scharf: **«Seizing the "Grotian moment" accelerated formation of customary international law in times of fundamental change».** Cornell international law journal. Vol 43, 2010, p, p 444,445.

[292] . روبرت جاكسون: " **ميثاق العولمة: سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول**". مرجع سابق، ص، ص 680، 681. 688، 689.

المسؤولية القومية، (ب): المسؤولية الدولية، (ج): المسؤولية الإنسانية (د): المسؤولية عن الخيرات المشتركة على المستوى العالمي.[293]

أ . المسؤولية القومية: يُتوقع في هذا الصنف أن يلتزم القادة في السياسات الخارجية بمعيار المصلحة الأنانية Self . interest والأمن القومي، حيث تجد فكرة المسؤولية القومية جذورا عميقة لها في تربة الواقعية الكلاسيكية، فقد اعتبر جورج كينان أن الدولة وكيل، التزامها الأساسي مصالح المجتمع الوطني الذي تمثله، ويمكن الدفاع عن النزعات التدخلية فقط إذا ما كانت الممارسات الموجهة ضد(نا) مضرة على محمل الجد لمصالح(نا)، وليس فقط مشاعر لدي(نا).[294]

يساهم هذا المقياس المعياري لتقويم السياسات الخارجية في ظهور جملة من المنطلقات المكيافيلية (ضع دولتك وأبناءها في مقام أول، تحاش أشكال التورط الأجنبي التي لا لزوم لها، تجنب تعريض جنودك للخطر ما لم يكن ذلك ضروريا بصورة مطلقة)، وتبعا لهذه النظرة يدافع جاكسون عن المسؤولية القومية بصفتها ركيزة أخلاقية أساسية، تنطوي على فكرة أخلاقية أخرى هي المصلحة القومية، هذه الأخيرة تبقى أحد أهم مبررات ومسوّغات السياسة التعددية العالمية، إن لم تكن الأهم على الإطلاق[295]، وحتى في تيبولوجيته التي وضعها لدراسة ثلاثة حالات من التدخل (العراق/ الكويت، الصومال، البوسنة وكوسوفو)، دافع جاكسون على أن المسؤولية القومية National responsibility كانت بمثابة الخط الأخير أو المحصّلة النهائية Bottom line؛ لقد تجلى ذلك في عزوف القوى المتدخلة عن المخاطرة بأرواح جنودها حين رفضت اجتياح العراق، كما أوقفت الولايات المتحدة عملياتها الإنسانية في الصومال بعد تغير الظروف وتزايد المخاطر العسكرية، من جانب آخر أملت سلامة قوات الناتو في كوسوفو انتهاج حملة جوية تُجبر الحكومة اليوغسلافية على الإذعان دون اللجوء للقوات البرية، وهو ما أفضى إلى قرار ملتبس أخلاقيا يتعمّد تعريض المدنيين على الأرض للخطر في سبيل اختزال الخطر الذي يتعرض له طيارو الجو.[296]

ب . المسؤولية الدولية: تبعا لهذه الرؤية فإن السياسة العالمية ساحة دستورية وليست مجرد بؤرة مصالح قومية متضاربة، وانتماء الدول إلى مجتمع دولي يجلب معه مسؤوليات إجرائية، بما يشي أن قادة الدول ليسوا مسؤولين أمام مواطنيهم فقط بل أمام بعضهم البعض في عملية تسيير سياساتهم وتوطيد أسس القانون

---

[293] . نفس المرجع، ص، ص 311، 313.

[294] - Brent J. Steele: **«Ontological security in international relations: Self - identity and the IR state».** London and New York: Routledge Taylor and Francis group, first published, 2008, p 41.

[295] . روبرت جاكسون: " **ميثاق العولمة: سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول**". مرجع سابق، ص، ص 314، 315.

[296] - Brent J. Steele: **«Ontological security in international relations: Self - identity and the IR state».** Op. Cit, p 42.

الدولي[297]؛ تشكل لجنة القانون الدولي ILC الإطار العملي الحديث لتدوين وتطبيق المبادئ العامة المرتبطة بمفهوم "مسؤولية الدولة"، وهي لجنة أُسّست سنة 1947 من طرف الجمعية العامة للأمم المتحدة بهدف إجراء دراسات ووضع توصيات لغرض تشجيع التطور التدريجي للقانون الدولي، وقد نصت مادتها الثالثة على أن الدولة لا يحق لها الاعتماد على القانون الداخلي لتبرير عدم امتثالها للقانون الدولي[298]، وإنْ كان القانون الدولي لا يزال صامتا حول عديد القضايا ذات العلاقة بالتصرف بمشروعية في أوضاع دولية معينة، إلا أن جملة الوصايا الغروسيوسية يمكن أن تشكّل معيارا مبدئيا ثابتا تتجاوب معه سلوكيات القادة في ميادين الاجتهاد والتمييز القانونيين (إعترف بأن للدول الأخرى مصالحا وحقوقا مشروعة حتى وإن تضاربت مع مصالح دولتك، التزم بالقانون الدولي، التزم بمبدأ التعامل بالمثل، مارس العمل الدبلوماسي وفق أصوله الراسخة).

يحمّل جاكسون القوى الكبرى مسؤولية دولية خاصة أكثر من نظيراتها، خصوصا إذا تعلق الأمر بالقضايا الأكثر صعوبة التي تتصل بحماية قيم حاسمة كالسلم والأمن الدوليين، وقد أتاح الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة لأعضاء مجلس الأمن الدائمين (الولايات المتحدة، بريطانيا، فرنسا، الصين، روسيا) جملة المسؤوليات الإجرائية الدولية، إلا أنها عادة ما أخفقت في ذلك بسبب خلافاتها البينية[299] .

يقترح جاكسون وصفة "الأخلاق الظرفية" Situational ethics القائمة على سمات التعقّل والحصافة Prudence لكل من يتمتع بسلطة جبارة مثل دول مجلس الأمن، فالنشاط السياسي، مثله مثل كل نشاط اجتماعي، يبقى متأثرا بالظرف أو الوضع المتشكل من فواعل أخرى تتعايش جنبا إلى جنب مع وقائع مادية، وأخلاق فن الحكم مثلما عرفها أرنولد وولفرز Arnold Wolfers وستانلي هوفمان هي أفضل الخيارات التي تسمح بها الظروف، أو بالأحرى "أخلاق استحالة الكمال"[300]، وترمي مناقشات جاكسون إلى القول بأنها تلك القرارات "التي نشعر بأننا مضطرون لاتخاذها، ولو على مضض وبمرارة شديدة، بعد مسح جملة الآراء المطروحة، آخذين في عين الاعتبار، بأفضل الأشكال الممكنة، عواقبها المنتظرة، منطلقين من مسؤولياتنا الإجرائية والتعقلية كما نفهمها، ومتحلّين بالصدق والأمانة مع أنفسنا، وبالاستقامة والوفاء مع الآخرين".[301]

---

[297] . روبرت جاكسون: " **ميثاق العولمة: سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول**". مرجع سابق، ص 316.

[298] - James Crawford: **«State responsibility: The general part»**. Cambridge : Cambridge university press, First published, 2013, p 45.

[299] . روبرت جاكسون: " **ميثاق العولمة: سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول**". مرجع سابق، ص، ص 317، 318، 319.

[300] - Sasson Soffer: **«Guardians of the practitioner's virtue: Diplomats at the warrior's den».** In : William Bain (Ed) : « The empire of security and the safety of the people »**.** London and New York: Routledge Taylor and Francis group, first published, 2006, p, p 65, 67.

[301] . روبرت جاكسون: " **ميثاق العولمة: سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول**". مرجع سابق، ص 272.

ج . المسؤولية الإنسانية: تُستمد هذه المقاربة من أخلاق النزعة الكونية أو العَدمية القومية (الكوسموبوليتانية) وحسب نيكولاس ويلر Nicholas J. Wheeler هناك سبب وجيه يفسر مطالبة التضامنيين بأن تكون حقوق الإنسان في صلب السياسات الخارجية للدول، ذلك أنها ستسهم إسهاما هاما في حماية المصالح الوطنية وتعزيز دعائم النظام الدولي على حد سواء[302]، ومن شأن هذا المعيار أن يفضي إلى تبني سلسلة من الأوامر والوصايا الكانطية (احترم حقوق الإنسان، كن مضيافا وخيّرا، عند خوض الحرب لا تعتد على غير المقاتلين)، وإذا ما تم إيصال هذه المقاربة الإنسانية إلى خاتمتها، التي حتى كانط نفسه اعتبرها حالة سياسية يوتوبية، فستفقد الدول مكانتها، ويجري اختزالها إلى أدوات نفعية مجردة لتأمين الرخاء البشري، لذلك هذه اللحظة مازالت شديدة البعد عن الواقع السياسي الدولي، رغم أن حقوق الإنسان باتت اليوم شاملة ومكرَّسة في متن القانون الدولي، فالمساعدات الإنسانية باتت ممارسات راسخة في السياسة العالمية المعاصرة، ولم يعد القلق بشأن معاناة الإنسان من الفقر والمرض محصورا داخل الحدود القومية للدول؛ يحدث هذا في ظل بقاء الدول السيادية كيانات بالغة الأهمية.[303]

د . المسؤولية عن الخيرات المشتركة: تتجلى هذه المسؤولية بأوضح صورها في مسألة البيئة العالمية، فكثير من الدراسات أظهرت وجود علاقة وطيدة بين تزايد ندرة الأمطار، نقص الغابات، تضاءل الثروة السمكية وَ اختلال وظائف الحكومة وما يستتبعه من انتشار للعنف المدني، فعندما استقلت سيراليون، مثلا، عام 1961 كان 60 % من البلد بصورة أساسية غابة مطرية، واليوم بقي 6 % فقط من تلك الغابة؛ وفي جلّ أنحاء إفريقيا قُطعت الأشجار ولم تُنتهج سياسات فعالة لتعويضها، فأدى هذا إلى زيادة آثار الفيضانات وجلب البعوض، ما جعل معظم بلدان القارة تتعامل مع داء الملاريا القاتل، كما انحدرت هذه الدول إلى أشكال مختلفة من الفوضى والحرب والعنف الاجتماعي (حلقة تغذية مرتدة يصعب الإفلات منها)[304]، وقد اعتبر جارد دياموند Jared Diamond الإبادة الجماعية في رواندا انعكاسا للمعادلة المالثوسية (نسبة إلى عالم الاقتصاد والسكان توماس مالثوس Thomas Malthus) حيث تزايد عدد سكان رواندا على نحو لوغاريتمي (أسّي) في حين كان معدل الطعام يتزايد على نحو حسابي، وقد أدى الجفاف الذي ضرب البلاد منذ 1989 إلى موجات احتقان واسعة انفجرت معها الأحداث سنة 1994، ومن المعيب في تحليل تراجيديا رواندا، حسب دياموند، أن يقتصر تفسير الإبادة على أنها أحقاد عرقية قديمة بين التوتسي و الهوتو، فحتى عرق الأقزام Twa المسالم والذي لا تتعدى نسبته 1 % لم يسلم من عمليات الإبادة، والأدهى من ذلك أن

---

[302] - Brent J. Steele: **«Ontological security in international relations: Self - identity and the IR state». Op.** Cit, p 42.

[303] . روبرت جاكسون: " **ميثاق العولمة: سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول**". مرجع سابق، ص، ص 322،321.

[304] . جيمس مارتن: " **معنى القرن الحادي والعشرين**". مرجع سابق، ص، ص 130، 131.

مقاطعة كانما Kanama شهدت عمليات تطهير واسعة رغم أن كل قاطنيها من الهوتو؛ لقد كان الانفلات السياسي والأمني بمثابة فرصة سانحة للاستحواذ على الأبقار والأراضي والخروج من المأزق الأسري والاقتصادي المتأزم الذي خلّفته سنين الجفاف.[305]

يتعاطى جاكسون مع هذه المسؤولية من منطلق "الوصاية العالمية"؛ الأمر يتطلب وفقه إعادة اكتشاف شيء يشبه " سفينة نوح" Noah's ark، فلا يعدّ الاهتمام بالبيئة أمرا مستحدثا وجديدا؛ لقد سبق لـ كانط أن نظر إلى الكرة الأرضية بمنظار الحقوق الطبيعية، كان ذلك إنذارا مبكرا للمسؤولية عن نِعم العالم وخيراته، ووفقا لهذه المنظومة الأخلاقية فالساسة هم الأوصياء الأمناء على كوكب الأرض نظرا لما يتمتعون به من سلطة ونفوذ يمكّنانهم من معالجة المشكلات، إنها مسؤولية تجاه المأوى العالمي وجميع من يتشاركونه جنبا إلى جنب مع البشر.[306]

المطلب الثاني . التدخل من أجل حقوق الإنسان وموازنات ما بعد الاستعمار

سبق لـ "روبرت كيوهان" أن أنكر "المقاربات التأملية" Reflective approaches كبرنامج بحثي داخل الحقل، بحجّة افتقارها إلى برنامج مماثل للعقلانيين، وإن لم يسعوا لتدارك ذلك فسيبقون، حسب كيوهان، على هامش الحقل؛ المفارقة في هذا الطرح تكمن في أنّ كيوهان استند إلى المنطلق الإبستمولوجي للعقلانيين (ضرورة تطوير نظريات قابلة للاختبار)، رغم أنه كان يدرك مسبقا شكوكية التأمليين تجاهها[307]، وبالتالي سيكون من غير المُنصف الاحتكام إلى المعايير الغربية لوصف "النظريات غير الغربية" بأنها لا ترقى إلى مصاف النظرية؛ إذْ أنَّه و بمجرّد ارتقائها إلى مستوى الممارسة الأكاديمية نتيجة تصلّب "مخيلة فانون ما بعد الاستعمارية" Fanon: The Postcolonial Imagination تشعّبت الدراسات ما بعد الكولونيالية إلى الاعتقاد بأن الغرب كانت له المسؤولية الحصرية في رسم مسارات البشرية الحاسمة، بما فيها تطبيقات إنقاذ حقوق الإنسان، لذلك كان لزاما ظهور شروحات جنيالوجية مختلفة تحفر في مصادر هذه المنظومة وتقترح في بعض الأحيان مقتربات في علاقة الدولة بالأقليات.

الفرع 1 . معضلة المصدر القانوني لتبرير فكرة حقوق الإنسان

---

[305] . جارد دياموند: " **الانهيار: كيف تحقق المجتمعات الإخفاق أو النجاح؟**". مرجع سابق، الفصل العاشر.

[306] . روبرت جاكسون: " **ميثاق العولمة: سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول**". مرجع سابق، ص، ص 323، 324، 325.

[307] . محمد حمشي: " **نظريات العلاقات الدولية بين التعددية والهيمنة**". مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، باتنة: قسم العلوم السياسية، 2011، ص 78.

تحظى فكرة حقوق الإنسان بصدى واسع في مختلف الأيديولوجيات والتقاليد الثقافية، ومكْمنُ المعادلة أن حقوق الإنسان تتطلب تصورات معينة وخاصة عن مفاهيم الفرد وممثليه، عن الاستقلالية، عن الطبيعة البشرية والعقلانية.[308]

تُعرف حقوق الإنسان بأنها جملة المستلزمات المعنوية الأساسية الضرورية لحياة وكرامة الإنسان؛ بهذا المعنى تنتهي حقوق الإنسان إلى بعدٍ اجتماعي أكبر، والنظام القانوني هنا يوصف على أنه آلية تعترف وتُقرُّ في زمن معين بقيمة هذه الحقوق الأساسية في المجتمع؛ كان لهذه الفكرة حضور دائم في النظرية، وإن شهدت من الناحية العملية منحى متقطّعًا، فثورتا القرن الثامن عشر الفرنسية والأمريكية سعتا إلى خلق سياسة وطنية قائمة على حقوق إنسان مشتركة، ورغم هذا الخطاب العالمي ظلّت حقوق الإنسان في جوهرها مسألة وطنية من زاوية أن تكون مقبولة أو لا To be accepted or not، و لغاية اليوم لا تزال فكرة "حقوق الإنسان" تحتفظ بكامل القدرة في أن تكشف عن هويتها بأنها شُيّدت من قبل البشر ودُوّنت في النظام القانوني منذ فترات التجاذب حول جوهرها السابق إلى غاية الإقرار بعالمية القانون الدولي سنة 1945[309]، من هنا قد ترجع المواعيد الحديثة للممارسات العالمية في مجال حقوق الإنسان إلى تسويات الحرب العالمية الثانية واعتماد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (UDHR) سنة 1948، ومع ذلك تحضر مركزية الفكرة بشكل لافت في ما قبل التاريخ الطويل للنظام الدولي سواء في أوروبا أو المحيط الأطلسي، فنفس الفكرة تقريبا وردت في سلام وستفاليا 1648 عبر سلسلة الأحكام التي تحدُّ من سيادة المقاطعات الألمانية عبر الضمان الجماعي للتسامح الديني، ونفس الطرح وُجد تقريبا في حركة مقاومة الرق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وفي سنة 1878 اعتمد مؤتمر برلين مبدأ الحرية الدينية كشرط مسبق للاعتراف بدول جديدة، أما في عهد عصبة الأمم فلم تكن هناك إشارة واضحة لحقوق الإنسان، وقد فشل في ذلك المشروع الياباني لضمان عدم التمييز على أساس العرق والدين رغم موافقة أغلبية لجنة الصياغة عليه، غير أن ميثاق منظمة العمل الدولية ILO، التي أنشئت بموجب مؤتمر باريس للسلام، اعتمد مجموعة معايير دولية للقضاء على العمل القسري وحماية حرية التعبير وتكوين الجمعيات، كما وُجدت أفكار حقوق الإنسان في فترة ما بعد الحرب ضمن "معاهدات الأقليات " Minorities treaties التي وفّرت ضمانات دولية من مختلف الحقوق السياسية والمدنية والاجتماعية للأقليات القومية في أوروبا الوسطى والشرقية والبلقان.[310]

---

308 - Julie A. Mertus: **«Bait and Switch: Human rights and U.S foreign policy»**. New York and London : Routledge Taylor and Francis group, 2005, p3.

309 - David P. Forsythe: **«Human rights in international relations»**. Cambridge : Cambridge university press, 2nd edition, 2006, p3.

310 - Charles R. Beitz: **«The idea of human rights».** Oxford: Oxford university press, 1st published, 2009, p, p 14, 15.

يؤكد بعض المدافعين عن العدالة الاجتماعية أن صياغة مطالب المظلومين في لغة حقوق الإنسان لا تخلو من الدافع البراغماتي؛ في هذا السياق يشير أمي غوتمان Amy Gutmann، مثلا، إلى أنّ المادة الأولى من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لا تُحيل إلى أساسٍ مفهوميٍ وأيديولوجي واحد ولكن إلى الكثير، أُسسٌ تبقى كلها مفتوحة لتفسيرات متنوعة، فالاعتراف بتعدد الحجج الدينية والعلمانية لحقوق الإنسان ضروري في عالم تعددي، ومنبع القلق الدائم هو المشكلات السياسية الخطيرة التي قد تطرحها وهمية أو وثنية Idolatry بعض الأفكار المجردة، وكما لاحظ جون فنسنت أن مفهوم الحقوق يشير في المجمل إلى خمسة عناصر أساسية: موضوع الحق (The subject of a right) أين يقوم صاحب الحق ومالكه بادعاء موضوع أو مادة يستهدفها (The object of a right)، قد يطلب الاستفادة منها و التمتع بها أو قد يلجأ لفرضها وتنفيذها (Exercising a right)، ضد فرد أو جماعة حاملة لواجب متلازم (The bearer of the correlative duty)، قد تؤيد بدورها فحوى الدعوى مثلما قد تفتح نقاشا خاصا بشأنها (The justification of right).[311]

لاحظ "تيم دين" وَ "نيكولاس ويلر" أن الخلاف بشأن حقوق الإنسان ظلّ مُركّزا على العامل الأخير، أي حول الأسباب التي تجعل من الحقوق مبرّرة، على هذا الأساس دافع البعض عن المفاهيم الأخلاقية المشتركة كقاعدة لجعل حقوق الإنسان فكرة مقبولة، في حين دافع آخرون عن الطبيعة البشرية Human nature وحاجج آخرون بالكرامة الإنسانية Human dignity والحقائق الاجتماعية الشاملة Universal social facts، وهناك من روّج للخلق المتساوي Equal creation أو الأخوية المتساوية Equal brotherhood، بعض المحامين بحث عن دلائل إلهية تؤكد وجود أصل طبيعي لحقوق الإنسان، أما البعض الآخر فاهتم بالأدلة الأكثر علمانية عبر دراسة الممارسات التاريخية واكتشاف أوجه التشابه والاختلاف بين التقاليد والثقافات، أما الأشدّ واقعية و براغماتية فأكّدوا على أن إنفاذ حقوق الإنسان لا يحتاج للتوصل إلى استنتاج بشأن مصدرها.[312]

رغم ما توفره هذه الفسيفساء الفكرية والأخلاقية من منابع متشرّبة لأفكار حقوق الإنسان، إلا أن بعض الباحثين يشدد على أن القانون الدولي الحديث يقدّم صورة مشوهة تجعله في تناقض دائم مع الوضعية القانونية Legal positivism من جهة ومع نظرية القانون الطبيعي Natural law theory من جهة مقابلة، حيث ترى سامانتا بيسون Samantha Besson أن هذه المعارضة المانوية Manichean (المزدوجة) تجد تفسيراتها في التبجيل المفرط لمصادر المادة الثامنة والثلاثين من النظام الأساسي لمحكمة

311 - Julie A. Mertus: **«Bait and Switch: Human rights and U.S foreign policy»**. Op. Cit, p, p 3 ,4.
312 - Ibid. P3.

العدل الدولية، أين لم يعد من المجدي الارتكاز إلى ثالوث: قانون المعاهدات Treaty law،القانون العرفي Customary law، المبادئ العامة General principles كأساس للنظام القانوني الدولي بالنظر لما تطرحه من تناقض صارخ في الممارسات العملية، فصناع القانون الدولي، أولا وقبل كل شيء، يحملون بصمات عمل الجماعة (الدول والمنظمات الدولية، وفي مرات نادرة الأفراد)، أما صناع القانون الوطني فلا يمكن أن يكونوا سوى الأفراد أنفسهم، وإن لم يكونوا بصفتهم الشخصية، ووفق ما تطرحه فلسفة القانون قد تتعمق المعارضة بشكل أكبر إذا تعلق الأمر بسمة رئيسية من سمات العصر الحديث وهي " السيادة المتساوية للدول" The equal sovereignty of states؛ هذا المبدأ تترتّب أثاره بشكل مباشر عن ما يدين به لسلطة القانون الدولي، أو ما اصطلح عليه بـ "العقد شريعة المتعاقدين" Pacta sunt servanda؛ وفق ذلك التزام الدول يكون فقط من خلال القوانين التي وافقت عليها بالتراضي؛ يمكن أن يحيل هذا إلى معضلات عديدة كون أن القانون الدولي بهذا الشكل يصبح شخصيا ونسبيا وعلى درجة واحدة، يقتصر فقط على الدول التي وافقت عليه.[313]

في الطرف المقابل يميل بعض المنظرين الأخلاقيين إلى اعتبار أن القانون الدولي المعاصر يطغى عليه تقليد "الوضعية القانونية" مما يشي بعدم وجود علاقة ضرورية بين القانون والأخلاق، وهو ما يحتّم الاستفادة من تقَنيات التنظير للقانون الطبيعي التي تسمح للاعتبارات الأخلاقية بأن تكون جزءا لا يتجزأ من صياغة المقترحات القانونية، وهنا يذهب المنظر القانوني فرناندو تيسون Fernando Teson إلى أن المعايير القانونية أطنبت في الحديث عن المبادئ الأخلاقية الأساسية، عن الإدانات والمؤسسات، ولكنها من الناحية الفنية ظلت بعيدة عن المفاهيم المحايدة أخلاقيا، بهذا المعنى يجب أن يُفهم القانون الدولي على أنه نشاط هادف يحافظ بالضرورة على مغزى الأخلاق وما يتّصل بها من حتميات مراعاة الواجب الأخلاقي Moral duty وكذا المسؤولية الأخلاقية Moral responsibility؛ تتمّة لذلك يرى منظر القانون الطبيعي لون فولر Lon Fuller أن جسم القانون لا يمكن أن يقتصر فقط على محتوياته الفنية، بل على جوانب إجرائية معينة لا تتضاءل قيمتها إن تم استيعابها على أنها تقع على النقيض مع البعد الموضوعي للقواعد القانونية، في ذلك يُرشد فولر إلى أن الحد الأدنى المطلوب لكفاية القواعد القانونية الخاصة بالتدخل الإنساني يتطلب:[314]

---

313 - Samantha Besson: **«Theorizing the sources of international law»**. In: Samantha Besson and John Tasioulas (Ed): « The philosophy of international law ». Oxford: Oxford university press, 1st published, 2010, p, p 164,165, 166.

314 - Eric A. Heinze: **«Waging humanitarian war: The ethics, law, and politics of humanitarian intervention».** U.S.A : SUNNY press, 2009, p, p 59, 60.

(أ) . وجودا فعليا لمجموعة من القواعد غير المتناقضة. (ب) . لا تُقرَّر كل حالة تدخل بناء على أساس مخصص ومعين. (ج) . أن تكون مباشرة مسار العمل التدخلي مستندة إلى حقائق واضحة ومتّفق عليها تدل على المعاناة الإنسانية (القضاء على التعذيب، التجويع والقتل الجماعي).

ينطوي النقاش الأخلاقي حول التدخل الإنساني على مفارقة حقيقية "استخدام أداة العنف كوسيلة لتفادي العنف" The paradox of using an instrument of violence as a means to avert violence، فميثاق الأمم المتحدة طبَّق حظرا عاما على استخدام القوة في العلاقات الدولية من منظور أن الحرب بطبيعتها الشريرة تشوه وتدمر حياة البشرية، إلا أن استثنائيات الأخلاقيين التي جعلت من الحرب شرا لا بد منه، ستقود حتما في نهاية المطاف إلى رفاهية البشرية قياسا على مصطلحات الأمن الإنساني، ذلك ما اصطلح عليه بنظرية " العواقبية الفاضلة" Virtuous consequentialism.[315]

خلافا للنظريات الأخلاقية المتضاربة، يرى دافيد فيشر أن " العواقبية الفاضلة" تُعطي وزنا متساويا لكل المكونات والمواد المتخالف بشأنها (النوايا، النتائج، القواعد، الفضائل)، فهي توفّر أساسا لتقييم السلوك الأخلاقي الخاص مثلما تُقيّم السلوك الأخلاقي للآخرين، إنها لا تكتفي فقط بتفسير الشكل العادي حول الأخلاقيات ولكنها نموذج إرشادي عملي (حتى في مجال صعب كالحرب) في سبيل التوصل إلى نتائج سليمة تتجنب كل المفارقات والتناقضات، فالعواقبية الفاضلة تذهب إلى أن التفكير الأخلاقي سيكون أفضل إذا جرى تصميمه كتوازن بين الحالات العقلية والنتائج، بهدف تحديد ما إذا كان القيام بعمل ما من عدمه سيساعد في رفاهية أولئك الذين سيتأثرون به، ومن أمثلة ذلك أن النظرية المطلقة في الأخلاق، و بحجة قدسية الالتزام بالقواعد بغض النظر عن النتائج، قد ترفض فرضية الموت الرحيم لمريض لا يمكن شفاء علته، وهذا الموقف، بحسب فيشر يبدو مناقضا لـ "ضميرنا الأخلاقي"، حيث قد تتوافر مجموعة من المواقف تكون فيها القواعد الأخلاقية في صراع مع بعضها البعض، وسيكون من المسموح به، ولو بصفة استثنائية، خرق قاعدة أخلاقية إذا ما كان ذلك يُمثل الطريقة الوحيدة لمنع وقوع ضرر أكبر.[316]

بما أن ميثاق الأمم المتحدة لم يبُت بشكل كاف في كيفية التعامل مع انتهاكات حقوق الإنسان، فإن أنصار العواقبية الفاضلة يدعون إلى التفريق بين "تحدي القانون" وَ " تحدي حكم القانون" ذلك أن خرق القانون بشكل علني لإحقاق العدالة أقل خطرا من الإذعان له، تماما مثلما فعل الناتو بتدخله في كوسوفو

---

315 - Eric A. Heinze: **«Waging humanitarian war: The ethics, law, and politics of humanitarian intervention».** Op.cit. p, p 60,61.

316 . ديفيد فيشر:" **الأخلاقيات والحرب: هل يمكن أن تكون الحرب عادلة في القرن الحادي والعشرين؟**". مرجع سابق، ص، ص 203، 205، 207.

دون الالتزام بالمرجعية الأممية، حينها بدا له أن كل نقاش محتمل حول فرص إصلاح النظام القانوني سيكون مآله الفشل في ظل استمرار مثل هذه الخروقات[317]، إلا أن مثال كوسوفو الذي غالبا ما يطرح في هذا السياق ليس مُقنعًا كثيرا، على الأقل حسب ما يراه تزفيتان تودوروف Tzvetan Todorov، فالتدخل كان يهدف إلى منع التطهير العرقي وبناء الديمقراطية (رغم أن الإبادة المعلنة لم تكن خطرا واقعيا بقدر ما كانت وسيلة دعاية) غير أنه بدلا من ذلك ساهم في ترسيخ الاستبداد وتصميم إقليمٍ تديره شبكات مختلفة للمافيا، يُمثّل مكانا لانطلاق والتقاء تجارة البغاء والمخدرات في أوروبا، ففي غياب نظام عمومي وفي غياب الشرطة والمحاكم أصبحت كوسوفو أرضا خصبة لانتشار الجريمة من شتى الأنواع، تبلغ نسبة البطالة فيها 90 % ويعيش سكانها على الإعانات المالية لا سيما الأوروبية منها؛ بالنسبة لـ تودوروف لا يمكن للتدخل في كوسوفو أن يشكل نموذجا للتسوية بين توترات الأعراق، إلا إذا كان التدخل يستهدف أمرا مغايرا تماما عن ما أُعلن عنه بدايةً، أمرٌ يشابه ما أعلن عنه القائد السابق لمنظمة حلف شمال الأطلسي ويسلي كلارك Wesley Clark " لم يوجد هدف خاص ولا مجموعة أهداف في مثل تماسك منظمة حلف شمال الأطلسي"، ولكن هل الحفاظ على مؤسسة ما، حتى وإن كانت بحجم الناتو، يبرر التضحية بالأرواح البشرية؟ يتساءل تودوروف.[318]

هل القانون الدولي فعلا قانون؟ Is international law really law، ظل هذا السؤال يطارد المحامين الدوليين والنظرية القانونية الدولية على حد سواء، وفي جوهره يشير هذا السؤال إلى تعبير شعوري على أن القانون الدولي يفتقر إلى القوة السيادية، فالتخمينات الوجودية تمحورت حول كيفية توجيه القانون الدولي إلى القوة والسلطة، أو في أفضل السبل إلى كيفية تعامله مع السلطة في المجال الدولي، نتيجة لذلك تركّز عمل المحامين الدوليين على تبيان الطرق التي يمكن أن تساعد على تقييد، تعطيل أو التفاوض مع أولئك الذين يفترض أنهم يمسكون بزمام السلطة، غير أن الباحثة النسوية آن أورفورد Anne Orford ترى أن تحولا بارزا طرأ على فهم عملية السلطة منذ أن طرح ميشال فوكو Michel Foucault نصّه الشهير " تاريخ النشاط الجنسي" The History of sexuality، وحسب فوكو فإن نماذج قوة العدالة القهرية والسلطة السيادية لم تعد مهيمنة داخل منظومة الدول الليبرالية، وقد تم استبدالها بأسلوب أكثر مركزية لتنفيذ القوة أسماه بـ "السلطة الانضباطية" Disciplinary power، وهي آلية جديدة للقوة ترجع جذورها إلى القرنين

---

317 . عادل زقاغ: " **إدارة النزاعات الإثنية لفترة ما بعد الحرب الباردة: دور الطرف الثالث**". مرجع سابق، ص 72.

318 . تزفيتان تودوروف: " **اللا نظام العالمي الجديد: تأملات مواطن أوروبي**". ترجمة: محمد ميلاد، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، ط 1، 2006، ص، ص 60، 61.

السابع عشر والثامن عشر في أوروبا، أين توظّف السلطة وتمارس في العلاقات بين البشر، بدلا من أن تكون بضاعة يحتكرها كيان واحد.[319]

تتكشّف نزعة "الإمبريالية النسوية" The Imperial Feminist عند آن أورفورد عندما تدافع عن أحقية فرض النظام القانوني القائم على السلطة السيادية لميكانيزمات انضباطية وتأديبية بغية كتمان إجراءاته الفعلية، فتعايش السلطتين السيادية والانضباطية معا سيعود بنتائج مثمرة للغاية، ومثلما تم تأمين الإمبريالية الإقليمية في القرنين السابع عشر والثامن عشر على الأرض ومنتجاتها، فإن منظمة الأمم المتحدة وحلف شمال الأطلسي يملكان نفس التأثير، وربما بحجم أكبر، على المنتجات الثقافية، ولهما كل المقومات، وحتى الصلاحيات، لإضفاء الشرعية على الهيمنة؛ إن موجة الاحترام الجديد للتدخل العسكري The new respectability of military intervention تنطلق من الإيمان المطلق بنفس الفكرة التي سادت عن الإمبريالية والاستعمار في القرن التاسع عشر " هناك أراض وشعوب تتطلّب مثلما تلتمس بنفسها الهيمنة".[320]

الفرع 2 . تدويل علاقة الدولة بالأقليات

"حيثما اقترنت حالة الفقر بتصدع ديني أو عرقي حاد، فالحل واضح وإن صعب تنفيذه: دعم حقوق الإنسان، وحماية حقوق الأقليات والتأسيس لنظم سياسية تكون فيها كل الجماعات مُمثّلة"، تشرح فقرة الأمم المتحدة الفرضية التي قام عليها النشاط الدولي منذ سنة 1900 في مجال الأقليات، فرضيةٌ قد تبدو بسيطة لكنها تحمل في جعبتها الكثير من عناصر الإثارة، حيث تصبح أوضاع الأقليات "موضع اهتمام دولي، لا شأنا داخليا حصريا باهتمامات الدولة".[321]

ظهرت ملامح الحركة الأولى لحماية الأقليات تزامنا مع تفكك ثلاثة إمبراطوريات متعددة الجنسيات (النمساوية / المجرية، البروسية، العثمانية)، ورغم توفير عصبة الأمم ضمانات قانونية للأقليات إلا أنها لم تحُزْ على آليات تُخوّل المجموعات الهوياتية المعنية من الشروع في إجراءات أمام المجلس أو المثول بغرض الاستماع أمام هيئات مختصة، كما أن إعلان "بطاقة الأقلية" Minority card من قبل ألمانيا

---

319 - Anne Orford: **«Reading humanitarian intervention: Human rights and the use of force in international law».** Cambridge : Cambridge university press, 1st published, 2003, p, p 72, 73, 74, 75.

320 - Ibid. p76.

321 . ويل كيمليكا: " **أوديسا التعددية الثقافية: سبر السياسات الدولية الجديدة في التنوع**". الجزء الأول، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2011، ص 45.

النازية في إطار مراجعات معاهدة فرساي 1919 مهّد الطريق لعداء محكم ضد الأقليات من ناحية، وتبرير غزو الدول الأضعف بداعي حماية السلالات الألمانية من ناحية ثانية.[322]

بعد الحرب العالمية الثانية، اختفت فكرة " حقوق الأقليات" من قاموس المفردات الدولية، ولم يتضمن ميثاق الأمم المتحدة ولا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان إشارات لها، نفس الأمر ينطبق على المواثيق الإقليمية لحقوق الإنسان (الإعلان الأمريكي لحقوق الإنسان وواجباته 1948، الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان 1950، الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان 1969، الميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب 1981).

أظهرت تجربة عصبة الأمم أن احتياجات الأقليات لا بد أنْ تخضع للمصلحة الكبرى متمثلة في تحقيق الأمن للدولة الوطنية وضمان استقرار مؤسساتها وفرض الانسجام على جميع السكان، حتى ولو كان ذلك على حساب طمس ثقافات الأقلية؛ عَكس هذا رغبة واضحة لدى رجال الدولة، بعد الحرب العالمية الثانية، في السيطرة على الأقليات وإضعافها محليا ودوليا، ويبدو أن المنظور الأشمل الذي ارتأى الجميع تبنيه آنذاك هو " حقوق الإنسان" كبديل يغطي ويستوعب كل نقاش يثار حول " حقوق الأقليات".[323]

لم يصمد منطق معارضة المعايير الدولية للأقليات أمام ما شهده القانون الدولي من تطورات لاحقة، بدءا مما أقرته الاتفاقية رقم 107 لمنظمة العمل الدولية من "حماية ودمج السكان الأصليين والقبَليين"، وصولا إلى ما صرّحت به المادة 27 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية "لا يجوز، في الدول التي توجد فيها أقليات إثنية أو دينية أو لغوية، أن يحرم الأشخاص المنتسبون إلى الأقليات المذكورة من حق التمتع بثقافتهم الخاصة أو المجاهرة بدينهم أو إقامة شعائره أو استخدام لغتهم، بالاشتراك مع الأعضاء الآخرين في جماعتهم"، والأقلية هنا هي كل مجموعة صغيرة عدديا مقارنة بعدد السكان دون أي تحديد لعتبةٍ رقمية معينة، فقد أشارت لجنة حقوق الإنسان أن عرق "سامي" في السويد Sami of Sweden يعتبر من الأقليات رغم أن عدده يشكل 0,2 بالمائة فقط من إجمالي السكان. [324]

بحلول سنة 1989 أصبحت اللغة الأبوية التي جاءت بها الاتفاقية رقم 107 لمنظمة العمل الدولية غير مستساغة، بل أنها كثيرا ما بدت محرجة، ما أسفر عن صدور قرار لإعادة صياغتها، فتم تبني الاتفاقية رقم 169 والتي صرحت فيها المنظمة أنه آن الأوان للتخلي عن خطاب الاستيعاب Absorption السابق،

---

322 - Gaetano Pentassuglia: **«Minority groups and judicial discours in international law: A comparative perspective».** Leiden. Boston : Martinus Nijhoff Publishers, 2009, p 2.

323 . ويل كيمليكا: " **أوديسا التعددية الثقافية: سبر السياسات الدولية الجديدة في التنوع**". مرجع سابق، ص، ص 48، 49، 50.

324- Steven Wheatley: **«Democracy , minorities and international law »**. Cambridge : Cambridge university press, 1st published, 2005, p, p 14, 15,19.

وضرورة تبني معايير جديدة تلبي تطلعات الأقلية لممارسة التحكم في مؤسساتهم، وقد نُظر إلى الاتفاقية الجديدة على أنها تشمل ألوانا من الحقوق خاصة بالسكان الأصليين كقضايا الأرض وحقوق اللغة.[325]

أذنت هذه التشريعات بصعود متجدد لحقوق الإنسان The rise of human rights، فبفعل ما أفرزه تفكك نظام ثنائي القطبية ونهاية الحرب الباردة ظهرت دول ضعيفة أو فاشلة تمتد من شمال إفريقيا مرورا بالبلقان إلى الشرق الأوسط وجنوب آسيا، هذه الدول الضعيفة Weak والفاشلة Failed، والتي استقل بعضها حديثا عن موسكو، وبشكل مفاجئ لم تكن ذات أهمية إستراتيجية قصوى، تميزت بالصراع الداخلي والتهجير الجماعي وانتهاكات حقوق الإنسان، ظواهرٌ وسمتها ماري كالدور Mary Kaldor بـ " الحروب الجديدة" New wars التي تنطوي على تنظيمٍ للجريمة وانتهاكٍ ممنهج لحقوق الإنسان، هذا الانفجار في انتهاكات حقوق الإنسان طرح مخاطر واضحة ليس على مواطني الدول المتضررة فحسب، بل وبمنحى متزايد شكل تهديدا للسلام الدولي نظرا لاحتمال انتشار الصراعات، كما أن مكاسب العولمة كزيادة الترابط الاقتصادي ونمو الاستثمار الأجنبي الغربي أضحت مهدَّدةً بفعل هذه الأزمات، وهو الأمر الذي أكدته لجنة الأمم المتحدة للحوكمة العالمية سنة 1994 "بينما لا توجد مؤشرات على انقراض الحرب بين الدول، فإن السنوات المقبلة للعالم من المرجح أن تكون مضطربة بفعل ثورات العنف الداخلي في المقام الأول".[326]

اعتبر ويل كيمليكا Will Kymlicka المراجعة السابقة نقطة هامة للتوجه نحو منهج "تقبّل الاختلاف"، إذ لم يَعد الأمر مقتصرا على السكان الأصليين بل تطور ليركّز على الأقليات والجماعات العرقية الثقافية، الأمر الذي انعكس حتى على الجانب المؤسساتي الأعلى مثل إنشاء "جماعة عمل للأقليات" تابعة للأمم المتحدة عام 1995، وتعيين خبير مستقل من الأمم المتحدة لموضوع الأقليات في عام 2005[327] ، ولا غرابة في أن تُشهر منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة UNESCO سيف الدفاع عن التنوع الثقافي Cultural diversity بإبداء التزامها حماية الحقوق الثقافية للأقليات العرقية، لا سيما تلك التي تواجه أنواعا شتى من التهديد.[328]

تأوي 40 % من دول العالم خمسة مجموعات إثنية على الأقل، وتشير الأرقام إلى وجود 862 مجموعة إثنية (أي أكثر من أربع أضعاف عدد دول العالم)، لذا يمكن نسج صورة عن المآلات الخطيرة للأوضاع

---

[325] . ويل كيمليكا: " **أوديسا التعددية الثقافية: سبر السياسات الدولية الجديدة في التنوع**". مرجع سابق، ص 52.

[326] - Aidan Hehir: **«Humanitarian intervention after Kosovo: Irak, Darfur and the record of global civil society».** U.K : Palgrave Macmillan, 1st published, 2008, p, p 34,35.

[327] . ويل كيمليكا: " **أوديسا التعددية الثقافية: سبر السياسات الدولية الجديدة في التنوع**". مرجع سابق، ص، ص 54، 55.

[328] - Steven Wheatley: **«Democracy , minorities and international law »**. Op. Cit, p 1.

إذا حدث وأن طالبت بعض هذه المجموعات فقط بحقها في التدوّل[329]، فالمعضلة التي كثيرا ما تؤرّق المجتمع الدولي هي حدوث الإبادة الجماعية Genocide خاصة إذا ما سيقت من الدول المتّهمة على أنها كانت نتيجة لموقف قراري معقّد اصطدم بتوجهات الأقليات التي تهدد وحدة السلامة الترابية.

شددت المادة الثانية من اتفاقية "منع ومعاقبة جريمة الإبادة الجماعية " في ديسمبر 1948 والتي دخلت حيز التنفيذ في جانفي 1951، شددت على " دور النية" The role of intent، أي ضرورة التأكد من نوايا الجاني قبل أي توصيف لعملية الإبادة، الشيء الذي دفع غانتر لوفيGuenter Lewy إلى التساؤل باستغراب" هل يمكن أن تحدث إبادة جماعية دون وجود نية في اقترافها؟"؛ حاجج نوربرت فينتشه Norbert Finzsch أن هذا المنطق ضار بالحقائق التاريخية لأنه يقود إلى إنكار الإبادة الجماعية في المجتمعات المستعمَرة، وليس ببعيد عن ذلك رافع دافيد ستانارد David Stannard إلى أن التشديد على النية كان نتاجا لما أفرزته سياسات القوى الدولية، إنها أداة سياسية، أو بالأحرى صناعة بشرية تستخدم في مواجهة أي ملابسات تنجم عن حيثيات ما بعد الموافقة على قرار معين، وبالعودة إلى غانتر لوفي فقد كان أكثر تشاؤما برسمه صورة أشد قتامة عن تقاعس المجتمع الدولي في منع جريمة الإبادة الجماعية سواء كان ذلك بالتراخي الزمني*، أوْ لا فعالية الممارسات الميدانية**، أو عدم الامتثال الفعال لمتطلبات المادة 8 من الاتفاقية*، مستنتجا أن "مسؤولية الحماية" كانت التفاتة فارغة، خصوصا عندما يتكشّف نمط التقاعس الدولي إزاء الجرائم الخطيرة المرتكبة، مستعيرا وصف الصحفي البريطاني آدم لوبور Adam LeBor لذلك بـ " التواطؤ مع الشر" Complicity with evil[330] .

أبان كثير من القادة على تطبّعه بخصلة النكروفيليا Necrophilia، بمعنى الانجذاب العاطفي إلى كل ما هو ميت، متفسخ، متعفن وسقيم، إنها الشغف بتحويل ما هو حي إلى شيء غير حي، وبالتدمير من أجل التدمير والاهتمام الحصري بما هو ميكانيكي خالص، والمبالغة في تفكيك كل البنى الحية؛ تشابه في

---

329 . عادل زقاغ: " **إدارة النزاعات الإثنية لفترة ما بعد الحرب الباردة: دور الطرف الثالث**". مرجع سابق، ص 76.

* . في خطاب ألقاه بجامعة بوردو في أفريل 1991 دعا الأمين العام للأمم المتحدة " خافيير بيريز دو كويلار" Javier Pérez De Cuéllar إلى مفهوم جديد: " الزواج بين القانون والأخلاق" ما من شأنه أن يسمح في بعض الحالات بالدفاع عن المظلومين عبر التدخل المسلح بغض النظر عن مبدأ السيادة، لكن استغرق الأمر أربعة عشر عاما لتتخذ خطوة بسيطة في اتجاه تنفيذ هذه الدعوة.

** . يشير غانتر لوفي إلى فشل عمليات التدخل وتقاعس مسؤولية الحماية، أو ما يرمز لها بـ R2P، في كل من: رواندا، دارفور، زمبابوي، كوسوفو، ميانمار، الصومال، ليبيا.

* - . تسمح المادة الثامنة لكل طرف متعاقد في الاتفاقية أن يدعو الأجهزة المختصة في الأمم المتحدة لاتخاذ القرارات المناسبة لمنع ومعاقبة مرتكبي جرائم الإبادة الجماعية، وهي الأحكام التي ظل جزءها الأكبر دون تنفيذ حسب رؤية غانتر لوفي.

330 - Guenter Lewy: **«Essays on genocide and humanitarian intervention»**. U.S.A : The university of Utah press, Utah Series in Middle East Studies, 2012, p, p 5, 6, 7, 8,9.

ذلك، بدرجات متفاوتة، هتلر وَ بوكاسا Bokassa، ميلوسفيتش وَ عيدي أمين، كلهم شاركوا في ترديد شعار الجنرال الإسباني ميلان أستراي Millan Astray سنة 1936 بجامعة سلامنكا "يحيا الموت" Viva la muerte، ولكن قليل فقط من انتهج سبيل رئيس الجامعة آنذاك ميغيل دو أنامونو Miguel de Unamuno الذي عقَّب بـ "أنه سمع للتو هتافا نيكروفيليا لا معنى له، "يحيا الموت !""[331]؛ لقد سبق لـ إدموند بورك Edmund Burke أن قال "الشيء الوحيد الذي يجعل الشر ينتصر، هو أن يظل الخير ساكنا لا يفعل شيئا"، من الأفضل حسب الأمين العام السابق للأمم المتحدة كوفي عنان تقبّل احتمال الخطأ والفشل على البقاء في الهامش، فسواد ثقافة الإفلات من العقاب قد تتطعّم بشيء أكبر إذا استمر التقاعس، ما ستنجر عنه تكاليف باهظة ماديا ومعنويا[332]، إلا أن جانبا كبيرا من الدراسات الحديثة خصوصا ما عُرف منها بـ "ما بعد الكولونيالية" Post . colonial studies تحذّر بشدة من مغبّة الإسراف في تبني مثل هذا الخطاب التضامني الخلاصي؛ كان رائد هذا التوجه محمد أيوب Mohammed Ayoob .

تبنى محمد أيوب منهجا نظريا يضع مشاكل دول العالم الثالث في طليعة التحليل الفكري، وقد عرّف نظريته بـ " الواقعية الخاضعة" Subaltern Realism في تحدٍّ لنظريات العلاقات الدولية التي لم تُول اهتماما لظروف ومصالح العالم النامي[333]؛ يجادل أيوب أن التنظير في العلاقات الدولية يطغى عليه عنصر "عدم المساواة" Inequality فالنماذج السائدة فشلت في تقديم شرح كاف لقضيتين محوريتين في النظام الدولي: أصل معظم الصراعات وَ سلوك غالبية الدول؛ فشلت هذه النماذج لأنها صاغت التعميمات اعتمادا على بيانات محدودة في كون جدّ مقيد، إضافة لافتقارها العمق التاريخي، لذلك يحتاج إنتاج المعرفة في نظرية العلاقات الدولية إلى منظور تكميلي، إن لم يكن هو البديل؛ لتصحيح هذا الوضع، ولسد تلك الثغرة يقترح أيوب أن صياغة هذا المنظور الجديد تعتمد على أسس ثلاث: **(أ)** . الفكر الواقعي الكلاسيكي، وبالأساس أفكار توماس هوبز، **(ب)** . علم الاجتماع التاريخي لتكوين الدولة، وعلى وجه التحديد الأدبيات التي تروي تطور الدولة الأوروبية من مراحل مماثلة لتلك التي تقبع فيها دول العالم الثالث اليوم، **(ج)** . الفطنة المعيارية للمدرسة الإنجليزية خصوصا تحاليل هيدلي بول عن المجتمع الدولي؛ إنّ الجمع بين

---

[331] . إريك فروم: " **تشريح التدميرية البشرية**". الجزء الثاني، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 2006، ص، ص 94، 95، 96.

[332] - Kofi A. Annan: **«Peacekeeping, military intervention, and national sovereignty in internal armed conflict».** In : Jonathan Moore (Ed) : « Hard choices : Moral dilemmas in humanitarian intervention ». U.S.A : Rowman and Littlefield publishers, 1998, p69.

[333] - Shaun Narine: **«Humanitarian intervention and the question of sovereignty: The case of ASEAN».** In: Richard B. Day and Joseph Masciulli (Ed): « Globalization and political ethics ». Leiden. Boston: BRILL, Martinus Nijhoff Publishers and VSP, 2007, p 218.

وجهات النظر الثلاث وتطبيقها على تحليل أنماط الصراع للعالم الثالث والسلوك الخارجي والداخلي لوحداته كفيل بأن يقدم تفسيرات مُرضية عن أصول غالبية الصراعات المعاصرة، كما يمكن أن يساعد أيضا في الحد من تأثير عدم المساواة في الميدان.[334]

وفقا لـ محمد أيوب تكمن المشكلة الأساسية التي تواجه العملية التنموية الدولية في السياسات الداخلية لمعظم الدول النامية؛ حيث تكافح هذه الدول من أجل تقديم نفسها كوحدات قابلة للحياة تكتسب صفة الكيانات الشرعية السياسية، وتسعى جاهدة للقيام بذلك في بيئة تتّسم بانقسامات وتناقضات بين عناصر مختلفة داخل مجتمع الدولة نفسها، انقساماتٌ تقوم على العرق والدين واللغة، يتلازم هذا القلق مع المراحل الحرجة لبناء الدولة، ويتماوج بين مقتربات وضغوطات سياسية تواجهها الدولة على مستويات محلية ودولية.

يركّز أيوب على واقعية هوبز ومكيافيلي من باب أن قادة العالم النامي قد يحتاجون إلى الانخراط في سلوكيات "أقل مثالية" من أجل الحفاظ على الدولة، فمعظم دول العالم النامي تنشغل بهاجس انعدام الأمن الخاص بها، لذلك وتمشّيا مع منطق " اللفياتان" لا يَرتجي البشر من الدولة إلا أن تقوم بمتابعة شروط الحياة المتحضرة، على أن يتمتعوا هم قدر الإمكان بالفوائد المرتبطة بها.

في تخمينات أيوب يمكن لمعدّل التنمية الذي عرفته أوروبا في القرنين الرابع عشر والخامس عشر أن يطرح تضمينات وشروحات عميقة تُبرز وظيفة التغلب على عقبات دول العالم النامي، وتُظهر الإجراءات الفعالة التي يناط به انتهاجها.[335]

معظم الصراعات، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، كانت بفعل الاقتتال الداخلي، وجلّها شهد نقاشا حادا حول طبيعة وسلطة الدول، خاضت خلاله مجموعات عديدة مسارا نضاليا معينا من أجل الاستقلال أو لاعتبار ومصلحة معينة، وفي خلال ذلك أدت الخلافات حول طبيعة النظم إلى انفجار العنف.

تمت عملية بناء الدولة، في العالم الغربي، على قرون من الحروب المتكررة والصراعات الأهلية وسحق الانشقاقات، وغالبا ما ترتب عنها إبادات جماعية وإخضاع للسكان الأصليين، أما محصّلة ذلك فكانت دولا قوية مستقرة سياسيا ومزدهرة اقتصاديا، دول صناعية تتمتع بدعم الغالبية العظمى لسكانها، ورغم بروز قضايا جديدة تدفع بالدول الصناعية إلى إعادة تعريف نفسها وعلاقاتها التي تربطها بالمواطنين، إلا أن التفاوض على هذه القضايا لا يكون إلا داخل هياكل سلطة الدولة بصفتها المحتكر الوحيد للشرعية، غير

---

334 -Mohammed Ayoob: **«Inequality and theorizing in international relations: The case of Subaltern Realism».** International studies review. 4 (3), 2002, p39.

335 - Shaun Narine: **«Humanitarian intervention and the question of sovereignty: The case of ASEAN».** Op. Cit, p, p 218 ,219.

أن تعقيد العالم المعاصر بفعل ترابطه يجبر أيوب على الاعتراف بالحظ العثر لدول العالم النامي في استنساخ التجربة الغربية.[336]

الفرع 3 . فحص أطروحة النظام العالمي لحقوق الإنسان

تتحدث آن ماري سلوتر عن فقه قضائي عالمي جديد نشأ بفعل "التلاقح عبر الدستوري " Constitutional cross – fertilization يعكس رغبة بسيطة في البحث في أنحاء العالم عن أفكار جيدة تجسّد روح التداول الحقيقي العابر للقضاة داخل مجتمع متجاوز ومتعدٍّ للقوميات يعي ذاته الحداثية، يكون هذا بديلا للنمط القديم القائم على أن بعض القضاة " مُقدّمين" للقانون، بينما الآخرين " مُتلقين" له، وبما أن جيوبا من فقه القانون العالمي آخذة في التطور فمن الأرجح أن يشمل ذلك قضايا حقوق الإنسان الأساسية.

تستدل سلوتر بنجاح لافت لـ" محكمة حقوق الإنسان الأوروبية" في فتح حوار رأسي بين قضاتها والقضاة القوميين انتهى باعتراف من رئيس المحكمة العليا النرويجية ،على سبيل المثال، أن الحقوق المحمية في الاتفاقية أوضحُ من تلك التي يعتمدها الدستور النرويجي، بل أكثر من ذلك أصبحت ذات المحكمة مصدرا للبيانات الرسمية بشأن حقوق الإنسان في المحاكم القومية التي لا تخضع لسلطتها بشكل مباشر، فقد استشهدت المحكمة العليا الجنوب إفريقية بقرارات محكمة حقوق الإنسان الأوروبية في قرارها الذي يجد أن حكم الإعدام غير دستوري، وبالمثل استشهدت نظيرتها بـ زمبابوي في تأييد تصميمها على أن العقوبة البدنية لشخص بالغ تمثل إجراء قاسيا وغير عادي، كما اعتمد مجلس شورى الملك البريطاني على قرار محكمة حقوق الإنسان الأوروبية لتحويل عقوبة إعدام مواطنة جامايكية إلى السجن المؤبد؛ مثلُ هذه القضايا وغيرها تدفع إلى القول بأن محكمة حقوق الإنسان الأوروبية نوع من "محكمة حقوق الإنسان العالمية" تقتبس محاكمٌ أخرى أحكامها وتتقبلها بشكل كبير، رغم أنها لا تتمتع بأي سلطة رسمية على المحاكم ووظيفتها إقناعية فحسب.[337]

رغم قوة استدلالات سلوتر السابقة، إلا أن هذا لا يعني نجاحها بالكامل في طي صفحة القضايا الأكثر تعقيدا التي لازمت حقوق الإنسان منذ سنة 1948، وفي طليعة هذه الإشكاليات التوتر الدائم بين "النسبية" و"العالمية"، فنسبية الثقافة حقيقة لا يمكن دحضها، ذلك ما تطرحه، على الأقل، القواعد الأخلاقية والمؤسسات

---

[336] - Ibid, p 219.

[337] . آن ماري سلوتر: " **نظام عالمي جديد**". ترجمة: أحمد محمود، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2011، ص، ص 118، 120، 121، 122، 123.

الاجتماعية التي تقدم الدليل الواضح على التنوع الثقافي والتاريخي، وتتمسك نظرية النسبية الثقافية Cultural relativism بأن جانبا من هذا التنوع لا يحتمل النقد من الدخلاء، ولكن إنْ كانت حقوق الإنسان حقوق كل البشر فإنها تبدو قطعا عالمية، إذن، كيف يمكن التوفيق بين دعاة النسبية الثقافية وأندادهم من المدافعين عن عالمية حقوق الإنسان؟.[338]

بعد الحرب العالمية الثانية تناقشت، على أسس فلسفية، وفود الدول الغربية والشيوعية ودول العالم الثالث، كلٌّ من وجهة نظره، حول فحوى الإعلان المستقبلي لحقوق الإنسان؛ الممثّلون الصينيون مُصرّون على إدماج الفلسفة الكونفوشيوسية في الإعلان، والكاثوليكيون متحمسون بشدة لتعاليم توما الإكويني، وبينما يدافع الليبراليون عن أفكار جون لوك وَ توماس جيفرسونThomas Jefferson، يستذكر الشيوعيون آراء كارل ماركس؛ ظلّت الخلافات والفجوة الشاسعة ميزةً تفرّق الأطراف أكثر مما تجمعهم رغم جهود لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان برئاسة إليانور روزفلت Eleanor Roosevelt.[339]

برزت في النقاشات المعاصرة الحجة القائلة بأن حقوق الإنسان ليست باكتشاف غربي، فكل من أدامانتيا بوليس Adamantia Polis وَ بيتر شواب Peter Schwab ناقشوا أن كل المجتمعات تُظهر تاريخيا، وعبر تعدد ثقافي، مفاهيم متعددة عن حقوق الإنسان، وفيما أرجع البعض التزاما لكل الفلسفات المعاصرة بحقوق الإنسان، يَمضي دونستان واي Dunstan Wai إلى الاعتقاد بأنه عادة لا يتم تذكر إسهامات المجتمعات الإفريقية التقليدية في إثراء هذه المنظومة[340]، ورغم تمايز الأحكام الأخلاقية حول ما يتصل بالنزاع بين حقوق الفرد والجماعة، إلا أن نظرةً أقرب تكشف أن معظم الأديان الكبرى والثقافات المختلفة تتفق على قناعة مشتركة يسميها روبرت مكنامارا Robert Strange McNamara بـ " القاعدة الذهبية" Golden rule، فالبوذية تنص مثلا على " لا تؤذ الآخرين بطرق تراها أنت نفسك ضارة"، وتقول المسيحية "كل الأشياء التي تريد من الآخرين أن يفعلوها لك يجب أن تفعلها أنت أيضا لهم"، وفي الكونفوشيوسية " لا تفعل مع الآخرين ما لا تحب أن يفعلوه معك"، أما الهندوسية فمن تعاليمها "هذا واجب عليك: لا تفعل مع الآخرين ما قد يسبّب لك ألما إذا فعلوه معك"، وفي الديانة الإسلامية " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"، أما في اليهودية " ما تكرهه لنفسك لا تفعله مع أخيك الإنسان، هذا هو القانون، وكل ما

---

338 - Jack Donnelly: **«Universal human rights in theory and practice»**. Op. Cit, p 137.

339 . لورا نادر : " **الثقافة والكرامة: حوار بين الشرق الأوسط والغرب**". ترجمة: آيات عفيفي، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2015، ص 208.

340 - Jack Donnelly: **«Universal human rights in theory and practice»**. Op. Cit, p, p 67,70.

عدا ذلك شرح وتفسير"[341]، ورغم ما لهذه المحاولات من مسعى واضح لإضفاء طابع عالمي على نشأة الفكرة، إلا أن قضية حقوق الإنسان لا يزال يغلب عليها الاهتمام المتزايد بوصفها جزءا من حركة هيمنة غربية (أحيانا أمريكية بالأساس)، فلجنة صياغة حقوق الإنسان غربية بالدرجة الأولى كما أن وزارة الخارجية الأمريكية هي من تولى تنظيم المسودات الأولى، ناهيك عن نكهة الحقوق الفردية الطاغية على الإعلان في مقابل حقوق جماعية ضئيلة، رغم ما عناه ذلك من خطر محدق بالشعوب الأصلية.[342]

تحدث ريتشارد فالك عن ظاهرة "التعتيم على المعايير" Blindness standard وهو نوع من التّعامي أو فقدان البصيرة يكون مصاحبا للرؤى الحداثية التي تنظر إلى الثقافات، التي تواجدت في فترة ما قبل الحداثة، على أنها شكل من أشكال التخلف والرجعية ينبغي القضاء عليها من منطلق الدمج المنظّم والعادل داخل فضاء الأخلاقيات الحداثية الأكثر خيرية، هكذا، وتحت شعار التنمية، تعرضت الشعوب الأصلية، ومازالت تتعرض، للتدمير والتشريد في كثير من دول العالم الثالث، والمفارقة التاريخية الثابتة أنه في وقت كانت فيه جهود الصياغة على وشك التكليل، كان الفلسطينيون في نفس السنة (1948) يتعرضون للطرد من بيوتهم.[343]

لقد سبق لـ محمد بجاوي أن رافع في اليونسكو ضد الغلبة المسيحية الواضحة على القانون الدولي، وتاريخيا، يقر أبرز علماء العلاقات الدولية الأنجلو . أمريكيين بهذه الحقيقة، فلفترة طويلة ظل اسم جيوزيبي مازيني Giuseppe Mazzini نسخة أصلية لـ " النزعة التدخلية الصليبية" The archetype of the crusading liberal interventionist؛ في الواقع كان مازيني أول من دعا جيوش الدول الليبرالية للتدخل بالقوة خارج البلاد لنشر الحرية والديمقراطية، ووفقا لمنظري المدرسة الإنجليزية مارتن وايت وَ جون فنسنت كان مازيني المدافع الأول في القرن التاسع عشر لـ " التدخل الدولي ضد الحكومات الاستبدادية"، وقد أورد كينيث والتز أن مزاعم "النزعة التدخلية المسيحانية" Messianic interventionism لـ مازيني[344] برزت في أعقاب فشل الليبراليين من دعاة مبدأ عدم التدخل في التعامل مع إشكال عويص، كيف تتمكن الشعوب من أن تتغير داخليا للأحسن، بينما تبقى العلاقات الدولية في العالم قائمة على أساسها القديم؟، لاحظ

---

[341] . روبرت س. مكنامارا وَ جيمس ج. بلايت: " **شبح ويلسون: تقليص خطر النزاعات والقتل والكوارث في القرن الحادي والعشرين**". ترجمة: هشام الدجاني، الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 2003، ص، ص 61، 62.

[342] . لورا نادر : " **الثقافة والكرامة: حوار بين الشرق الأوسط والغرب**". مرجع سابق، ص 210.

[343] . لورا نادر : " **الثقافة والكرامة: حوار بين الشرق الأوسط والغرب**". مرجع سابق، ص، 211.

[344] - Stephano Recchia: **«The origins of liberal Wilsonianism: Giuseppe Mazzini on regime change and humanitarian intervention».** In: Stephano Recchia and Jennifer M. Welsh (Ed): « Just and unjust military intervention: European thinkers from Vitoria to Mill ». Cambridge : Cambridge university press, First published, 2013, p 237.

الإيطالي مازيني تلك المشكلة، ودرسها بحذاقة، حيث صرّح أمام العصبة الدولية لمجلس الشعب عام 1847 بأن "القوى الاستبدادية تقذف علينا تحدياتها ولسان حالها يقول: إننا جديرون بالحكم لأننا نمتلك جرأة الشيطان، نحن نعمل، أما أنتم فليس لديكم الشجاعة لمواجهتنا أبدا"، ويتساءل مازيني "هل يكفي أن نبشر بالسلام وعدم التدخل، ونترك القوة المسلحة لتكون الحاكم بأمرها ،دون اعتراض، منصبّة على ثلاثة أرباع أوروبا لتتدخل من أجل غاياتها الدنيئة متى شاءت، وحيثما أرادت وكيفما ارتأت؟"؛ إنه وبينما راهن الليبراليون المتفائلون مثل ريتشارد كوبدن Richard Cobden وَ جون برايت John Bright على تحرير التجارة وخفض التسلح كبدائل على التدخل المباشر، دافع الليبرالي المتشائم مازيني على خيار القوة العسكرية لجعل العالم كله ديمقراطيا[345]؛ الأمر الذي دفع ببعض الباحثين إلى الربط بين أممية مازيني والأيديولوجيا الحديثة لـ "المحافظين الجدد" Neoconservative وغيرها من القناعات التي تدعو إلى تغيير الأنظمة بالقوة، إذ آمن مازيني، الذي ساعد على تنظيم انتفاضات شعبية في إيطاليا، بأن الديمقراطية تنمو داخليا عبر صراع سياسي حقيقي وبمساعدة ضرورية من الجيوش الأجنبية.[346]

في مؤتمر فيينا العالمي لحقوق الإنسان سنة 1993 جادل بعض المتكلمين الآسيويين أن المفاهيم الغربية لحقوق الإنسان تتناقض مع قيم دول القارة[347]، حيث يقوم العالم الآسيوي على مجتمعات منفتحة تقودها حكومات منغلقة، أين تكون الديمقراطية وسيلة لبلوغ غاية وليست فضيلة كبرى، وعادة ما تتحدى عادات آسيا الكونفوشيوسية الفكرة الأمريكية لحقوق الإنسان، حيث تضع الأولوية للحقوق الاقتصادية والاجتماعية على الحقوق المدنية والسياسية، جاهرة بإنكار الحماية الدستورية لحرية الفرد وحرية التعبير[348]، وبالموازاة مع ذلك رأى المدافعون عن عالمية حقوق الإنسان أن حجة "القيم الآسيوية" ماهي إلا محاولة لتبرير الاستبداد والتغطية على تجاوزات الأنظمة القمعية، رغم أن جغرافية الاحتجاج قد اتسعت لتشمل مطالب السكان الأصليين والحركات النسوية المحتشدة في مؤتمر بكين حول المرأة والتنمية سنة 1995.[349]

---

[345] . كينيث ن. والتز: " **الإنسان والدولة والحرب: تحليل نظري**". ترجمة: عمر سليم التل، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة مشروع " كلمة"، ط1، 2013، ص، ص 217-215، 218.

[346] - Stephano Recchia: **«The origins of liberal Wilsonianism: Giuseppe Mazzini on regime change and humanitarian intervention».** Op. Cit, p 237.

[347] - Robert W. Cox and Michael G Schechter: **«The political economy of plural world: Critical reflections on power, morals ans civilization».** New York and London: Routledge Taylor and Francis group, 1st published, 2002, p62.

[348] . باراج خانا: " **العالم الثاني: السلطة والسطوة في النظام العالمي الجديد**". مرجع سابق، ص، ص 363-362.

[349] - Robert W. Cox and Michael G Schechter: **«The political economy of plural world: Critical reflections on power, morals ans civilization».** Op. Cit, p62 .

الفصل الثالث:

التدخل الإنساني في ليبيا وسوريا على ضوء سياسات القوة المهيمنة والقوى الناهضة

تلك الدول التي وصفها باراج خانا بـ "العالم الثاني" Second World لم يعد ينطبق عليها هذا الوصف، على الأقل مع بداية القرن الواحد والعشرين، فالطفرة الدراماتيكية للصين التي نمت جنبا إلى جنب مع روسيا، الهند، البرازيل والاتحاد الأوروبي صنعت إجماعا على وجود" تحولات كبيرة" Great transformations أسهمت في رسم تضاريس غير مألوفة لمعالم الحياة الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية على المستوى الدولي، بيْد أن الأمر مازال مثار جدل حول ما إذا كانت هذه التحولات تمثّل توزيعا مستحدثا وليّنا للوظائف والامتيازات في النظام العالمي القائم أم أنها تدل على وجود "انتقال أو إزاحة للنموذج" A paradigm shift تحدث فيه تغييرات هيكلية جادة تتحول فيه المؤسسات والنظم وتحتاج المعايير والقيم فيه ،هي الأخرى، إلى إعادة تعريف[350].

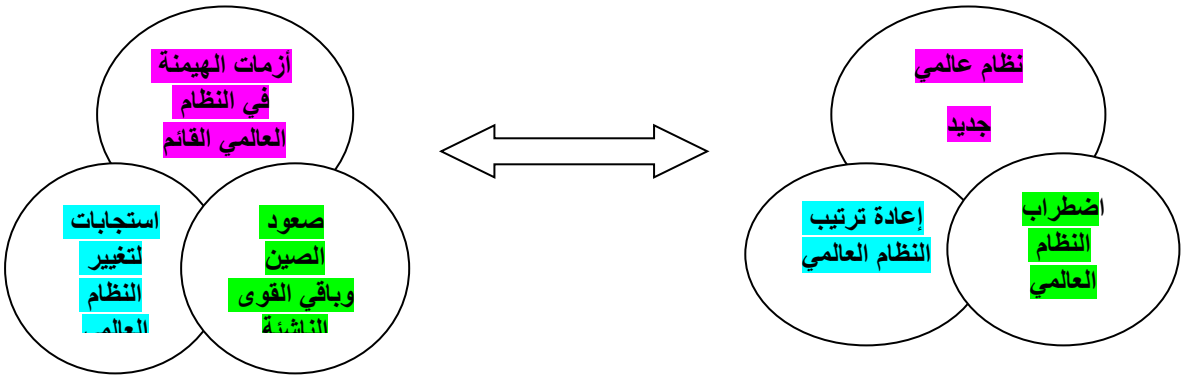

شكل رقم07: العلاقة بين سيناريوهات النظام الدولي ومسارات التطورات الجارية، المصدر:

Steen Fryba Christensen and Li Xing : **« The Emerging Powers and the Emerging World Order : Back to the Future ? ».** Op. Cit, p 5.

عبر دراسة حالتي "سوريا" وَ "ليبيا" يسائل هذا الفصل تداعيات الاختلاف حول "التدخل الإنساني" كمعيار على تنافس القوى في تشكيل النظام الدولي، فهل ملامح الاشتباك والمواجهة بين القوى القائمة والناشئة ستُفضي إلى اضطراب في النظام الدولي (World disorder)؟ أم أن التفاوض سيسهم في تشكيل قانون دولي جديد بمعايير وقيم جديدة (World new order)؟ أم أن المهيمن سيستوعب القوى الصاعدة الجديدة بمزيد من المرونة والاستجابة لما تفرضه البيئة الدولية من تغيرات (World re-order)؟

---

350 - Steen Fryba Christensen and Li Xing: **«The Emerging Powers and the Emerging World Order: Back to the Future?».** In : Steen Fryba Christensen and Li Xing (Ed) : « Emerging Powers, Emerging Markets, Emerging Societies : Global Responses ». U. K : Palgrave Macmillan, 1st published, 2016, p3.

المبحث الأول . التدخل الإنساني بين المنظور الأمريكي المهيمن والمقاربات الدولية الأخرى

{لا بد من الأخذ بيد المقهورين، ومقارعة المتسلطين}، لم يحدث وأن عرفت العلاقات الدولية هذا التقليد، ذلك أن قرونا من السياسة القائمة على القوة المهيمنة حالت دون أن يَنفُذ هذا القول المأثور إلى الوجدان، لكن الترتيبات، بحسب برتراند بادي، قد تغيرت، فالقهر الاجتماعي أصبح أكثر تأثيرا من حجة السلطة أو القوة، ونظام (لانظام) دولي كان في ما مضى يقوم على الهيمنة، هاهو يتشكل اليوم على وقع قدرة المحكومين التفاعلية؛ لم تعد هناك لغة دبلوماسية سائدة على غيرها، ظهرت دبلوماسيات " ناهضة"، منها " المنفتحة" كما هو شأن البرازيل، ومنها " الإيقاعية" Rhythmic diplomacy كما هو شأن تركيا، ومنها من له تقاليد في استثمار العولمة للتنمية الذاتية كما دأبت على ذلك الصين[351]؛ هذه الدبلوماسيات قدّمت نفسها بقوة أثناء الأزمات الإنسانية، أحيانا كانت تبدو إما متحفظّة على أو متوافقة مع المنظور الأمريكي (قبل و أثناء التدخل الإنساني في ليبيا) وأحيانا جاءت كمنافس أو بديل لمعالجة معضلات النظام الدولي التي أفرزتها رغبات المهيمن (بعد ليبيا وأثناء الأزمة في سوريا).

المطلب الأول . الولايات المتحدة الأمريكية والتدخل الإنساني

لعل أهم مسألة إستراتيجية تثار في الولايات المتحدة الأمريكية اليوم هي مدى قدرتها على البقاء كزعيم عالمي بارز؛ لا جدال في صحة القول بحدوث " انحسار بطيء" Slow decline، فالأمر تعدى ذلك لدرجة تحذير البعض من " انكشاف العصر الأمريكي" The unraveling of the American era[352]، انكشافٌ سبق للولايات المتحدة وأن عاشته عام 1957 بعد أن أطلق الاتحاد السوفييتي أول قمر صناعي، وكذلك في أواخر ستينات القرن العشرين بعد أن أعلن الرئيس نيكسون عصر التعددية القطبية، إضافة لحظر النفط سنة 1973، ويمكن أن تضاف الأزمة المالية والركود الكبير 2008 إلى مسبّبات التراجع الأمريكي[353]؛ في خضم هذا ظلت الولايات المتحدة مُصرة على أن تكون الاسم البارز في التدخلات الدولية الإنسانية، فاتحةً بذلك نوافذ نقاش فكرية واسعة، ليس فقط على مستوى الفلسفات التعددية والتضامنية، أو منظورات القوة المهيمنة والقوى المنافسة، بل حتى على مستوى العقيدة العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية

---

[351] . برتراند بادي: " **زمن المذلولين: باثولوجيا العلاقات الدولية**". ترجمة: جان ماجد جبور، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2015، ص، ص 9، 150، 151.

[352] - Norma C. Noonan: **«The global leadership of the USA and the emerging powers»**. In : Vidya Nadkarni and Norma C. Noonan (Ed) : « Emerging powers in a comparative perspective : The political and economic rise of the BRIC countries ». New York : BLOOMSBURY, 1 st published, 2013, p23.

[353] - جوزيف س. ناي: " **هل انتهى القرن الأمريكي؟**". ترجمة: محمد إبراهيم العبد الله، الرياض: العبيكان للنشر، ط1، 2016، ص، ص 23، 24.

ذاتها، بين من يرى أن "الحلم الأمريكي" The American dream لا يرسم حدودا على التواجد العسكري الإنساني في الخارج، وبين من يوجب وضع قيود على هذا الانتشار على أساس أن ذلك ضمان لاستمرار" الاستثنائية الأمريكية" American exceptionalism .

الفرع 1 . الفضائل المتجدّدة لـ " الولسونية"

كتب هيرمان ملفيل Herman Melville في روايته "السترة البيضاء" White jacket "نحن الأمريكان الشعب الاستثنائي المختار؛ إسرائيل عصرنا، نحمل وصايا الحريات إلى العالم". على مدار القرن العشرين لجأ الزعماء الأمريكان مرارا وتكرار إلى مثل هذه اللغة التوراتية لتعظيم، وربما تقديس، السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، وفي ذلك كان توسيع ونشر القيم الأمريكية، الاقتصادية والسياسية، في ما وراء الحدود مسألة تتصل بـ " الحق المقدّر".[354]

تسبّبت نزاعات القرن العشرين في سقوط أكثر من 160 مليون قتيل؛ هذا سبب وجيه، حسب روبرت مكنامارا، لجعل الالتزام الأخلاقي The moral obligation بتقليص المذابح هدفا أسمى لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية والدفاعية[355]؛ مثل هذا الالتزام يستدعي إنفاق أموال طائلة على شؤون خارجية، قد يظهر في عُرف البعض، أنها لا تشكل تهديدا حقيقيا على الأمن القومي الأمريكي، غير أن جوزيف ناي يعتقد أن العالم المعاصر متشابك ومترابط، لذا فإن أي خلل وعدم انضباط في النظام العالمي يمكن أن يمثل خطرا محدقا بالشعب الأمريكي[356]، فعقِب وقوع الإبادة الجماعية برواندا كتب روبرت كابلان Robert Kaplan أن أكبر تهديد لنظام القيم الأمريكية يأتي من إفريقيا، فلا يمكن الاستمرار في الاعتقاد بمبادئ كلية في وقت تنحدر فيه إفريقيا إلى مستويات من الجحيم، و مواقف الولايات المتحدة بشأن العرق والجنس ستتأذى حتما ما دامت القارة الإفريقية تتحول إلى "رمث ميدوسا"* The raft of the Medusa؛ إنها ببساطة " الفوضى القادمة" The coming anarchy [357].

---

354 . نيال فيرجسون: " **الصنم: صعود وسقوط الإمبراطورية الأمريكية**". مرجع سابق، ص، ص 101، 102.

355 . روبرت س. مكنامارا وَ جيمس ج. بلايت: " **شبح ويلسون: تقليص خطر النزاعات والقتل والكوارث في القرن الحادي والعشرين**". مرجع سابق، ص 51.

356 - Joseph S. Nye. Jr : **« What new world order ? ».** Foreign affairs. Essay, Spring 1992 issue, p 4.

* . رمث ميدوسا أو طوف ميدوسا: لوحة رسمها الفنان الفرنسي ثيودور جيريكو Théodore Géricault ترمز لتحطم سفينة في وقت مبكر من القرن التاسع عشر، مات الناجون منها جوعا؛ أمّا ميدوسا فهي رمز للعنة في عالم الأساطير الإغريقية.

357 - Robert D. Kaplan: **«The coming anarchy: Shattering the dreams of the post cold war»**. New York : Random House, 2000, chap 1.

قليل من الدول، أو الإمبراطوريات، حظي بميزات تفوّقٍ على الدول المعاصرة، كتلك التي تتمتع بها الولايات المتحدة، ونظرا لتجربة بريطانيا سابقا، تبدو سياسة "العزلة المجيدة"* Splendid isolation غير محمودة العواقب على دولة تتّصف بذات إمبراطورية[358]، خصوصا أن ما من بلد بمفرده، عبر التاريخ، امتلك قوة أعظم مما تملكه الولايات المتحدة اليوم، حيث تُنفق الولايات المتحدة ما يقرب 500 بليون دولار سنويا على الدفاع، أي أكثر مما تنفقه الصين، روسيا، الهند، اليابان وكل أوروبا مجتمعة، واللافت أن ما بين 10 إلى 15 بالمائة من الأموال تنفق على ما يوصف أنه دفاع ذاتي ضد التهديدات الخارجية، أما النصيب الأكبر فمتاح استعماله في أمكنة أخرى من العالم[359]، وفي هذا لا تعد الأمم المتحدة بديلا عن الولايات المتحدة، فإلى حد بعيد هي كيان من ابتكارها، وعلى وجه الدقة تعادل الميزانية السنوية للأمم المتحدة نسبة 7 % من الميزانية الفدرالية الأمريكية وَ 4 % من ميزانية الدفاع، و 17,6 % من ميزانية المعونات الإنسانية والتنموية التي تقدمها لدول العالم، وتبعا لوزير الخارجية السابقة مادلين ألبرايت Madeleine Albright (التي شغلت أيضا منصب المندوب الدائم في الأمم المتحدة 1993 . 1996) تعادل الميزانية الإجمالية للأمم المتحدة ما ينفقه البنتاغون كل اثنين وثلاثين ساعة تقريبا.[360]

هناك اعتقاد آخذ في الرسوخ ، لدى أصحاب النزعة التدخلية الأمريكية، مفاده أنه إذا تجنّبت الولايات المتحدة التدخل العسكري في أزمة تلو الأخرى فإن ذلك سيحفز، بلا شك، قوى عظمى أخرى للقيام بهذا الدور وملء هذا الفراغ، فسياسة عدم التدخل ستؤدي إلى زعزعة الاستقرار في العالم، إذ ستنتشر الأسلحة في كل أرجائه، وهو الأمر الذي يؤثر حتما على المصالح الأمريكية، وحتى إذا قررت الولايات المتحدة الانعزال فإن قوتها المعلوماتية تمنعها من ذلك[361]؛ ففي فيفري 1941 أعلن هنري لوس Henry Luce بشجاعة عما أسماه " القرن الأمريكي" The American Century، وثورة المعلومات العالمية الحالية على وشك أن تعطي الولايات المتحدة " قرنا ثانيا" second century بتعبير جوزيف ناي[362]؛ هناك

---

* . كانت بريطانيا، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تعيش عزلة وصفها المؤرخون بـ " المجيدة" حيث لم تشارك في حروب الوحدة الإيطالية والألمانية، ولم تستشعر في ذلك أي تهديد سواء لها أو لمستعمراتها، انظر: عبد العزيز نوار وَ عبد المجيد نعنعي: " **التاريخ المعاصر: أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية**". بيروت: دار النهضة العربية، 2014، ص 341.

358 . نيال فيرجسون: " **الصنم: صعود وسقوط الإمبراطورية الأمريكية**" . مرجع سابق، ص 202.

359 . ريتشارد ن. هاس: " **الفرصة: لحظة أمريكا لتغيير مجرى التاريخ**". مرجع سابق، ص، ص 24، 25.

360 . نيال فيرجسون: " **الصنم: صعود وسقوط الإمبراطورية الأمريكية**" . مرجع سابق، ص، ص 203، 204.

361 . أناتولي أوتكين: " **الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين**". ترجمة: أنور محمد إبراهيم وَ محمد الجبالي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ط1، 2003، ص 255.

362 . جوزيف س. ناي: " **مفارقة القوة الأمريكية**". مرجع سابق، ص، ص 28، 29.

تطوران ثوريان أسهما بصفة مباشرة في تحقيق الازدهار الذي عرفته الولايات المتحدة في ثمانينات وتسعينات القرن العشرين، الأول تكنولوجي (اكتشاف الرقاقة المجهرية) وَ الثاني مالي (إنشاء الرأسمالية المغامرة Venture capital التي تعتمد مبدأ المضاربات) وفيما أدى التطور الأول إلى ولادة عصر الكمبيوتر، ساهم الثاني في ظهور " وادي السيليكونSilicon Valley " الذي مهّد بدوره الطريق للإفادة من" تكنولوجيا المعلومات"؛ هذين التطورين كانا ثمرة الانفتاح الأمريكي على مواهب المهاجرين واستثمارها، وما كان للولايات المتحدة أن تنعم ببوادر " قرن جديد" لو أصرت على اختيار سياسة العزلة.[363]

في عام 1904 قال الرئيس الأمريكي تيودور روزفلت Theodore Roosevelt "هناك جرائم عَرضية تُرتكب على نطاق واسع وبقدر غير عادي من الترويع، حتى يصبح من واجبنا أن نتدخل بقوة السلاح"[364]، كان هذا إيذانا بالتحول عن تقاليدٍ راسخة في السياسة الخارجية الأمريكية، مِن بين مَن عبّر عنها الرئيس الأمريكي جون كوينسي آدامز Quincy Adams John (1825 . 1829) بـ " يجب أن لا نتوجّه إلى الخارج بحثا عن وحوش ندمّرها"[365]؛ هذا التحول، وخاصة مع نهاية الحرب الباردة، أصبح أكثر من مجرد خطب سياسية مستهلكة، فلقد طاف" شبح ويلسون" Wilson's ghost وعاد إلى العالم المعاصر من جديد، وبصلة أكثر وثاقة من ذي قبل، حتى أن الناقد الحاد للمثالية "جورج كينان" كتب سنة 1991 أن الأفكار الولسونية اكتسبت الكثير من الموثوقية وأضحت آسِرةً قبل نهاية القرن[366].

تدافع الحجة الأخلاقية/ الولسونية على توسيع آفاق الديمقراطية وحقوق الإنسان، ليس من باب أن ذلك حق وجب أن ينعم به كل البشر، بل أن ذلك سيخدم المصالح الأمريكية بخلق أنظمة ستكون حليفة لها، وقد جاء التعبير الأبرز عن هذه الحالة في خطاب جورج والكر بوش George Walker Bush " تقودنا الأحداث ويدفعنا الحدس السليم إلى استنتاج واحد: إن بقاء الحرية في بلادنا يعتمد بشكل متزايد على نجاح الحرية في البلدان الأخرى"؛ وطوال حقب التاريخ الأمريكي جرى السعي لنشر الديمقراطية باستخدام كل الوسائل المتوافرة في ترسانة السياسة الخارجية (القوة العسكرية، الضغوط الدبلوماسية، العقوبات الاقتصادية، الأنشطة السرية)، ومنذ ثمانينات القرن العشرين أضيفت أداة الدعم المالي المفتوح وتدريب الجماعات

---

[363] . إيمي شوا: " **عصر الإمبراطورية: كيف تتربع القوى المطلقة على عرش العالم وأسباب سقوطها**". ترجمة: منذر محمود صالح، الرياض: العبيكان، ط1، 2011، ص 366.

[364] - Alan Allport: **«American military policy».** Philadelphia : Chelsea house publishers, 2004, p29.

[365] - Ira Chernus: **«Monsters to destroy: The Neoconservative war on terror and sin».** London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2016, p 199.

[366] . روبرت س. مكنامارا وَ جيمس ج. بلايت: " **شبح ويلسون: تقليص خطر النزاعات والقتل والكوارث في القرن الحادي والعشرين**". مرجع سابق، ص 28.

المناصرة للديمقراطية في الخارج، والتي غالبا ما يشار لها بـ "المساعدات الديمقراطية" أو "مساعدات التنمية السياسية" ، ففي خطابه الشهير في البرلمان البريطاني (جوان 1982) أشاد رونالد ريغان Ronald Reagan بجهود الحزبين الرئيسيين بشأن تحديد كيفية أداء وإسهام الولايات المتحدة بشكل أفضل في الحملة العالمية من أجل الديمقراطية التي تستجمع قواها الآن، ومن إفرازات هذا الخطاب إنشاء منظمة "الوقف الوطني للديمقراطية" National Endowment for Democracy غير الحكومية التي يموّلها الكونغرس، وتحصلت على أولى هباتها سنة 1984.[367]

لا تتجدد دماء الشباب في الولسونية إلا بوجود عدو خارجي متربص على الدوام بالقيم الأخلاقية الأمريكية، وفي هذا تم تقديم "المنبوذين" the pariahs على أنهم أولئك الذين قاوموا منطق السوق الحرة، العولمة والحرية السياسية، أو كما اختار لهم أنتوني لايك Anthony Lake اسم "الدول المارقة" Rogues states، وضمن هذا الاتجاه استند" مذهب كلينتون" the Clinton Doctrine على" الالتزام والتوسيع"engagement and enlargement [368].

يعكس" توسيع الديمقراطية" أحكاما بشأن السلوك الحكومي الخارجي أكثر من الارتباط بعوامل داخلية، وقد تحولت هذه الإستراتيجية إلى ركيزة في إدارة الرئيس بيل كلينتون، ولم تكتف في ذلك بزيادة كبيرة في ميزانية منظمة الوقف الوطني للديمقراطية، بل عمدت إلى إعادة هيكلة "مكتب حقوق الإنسان والشؤون الإنسانية" (أُنشيء في عهد جيمي كارتر Jimmy Carter) إلى "مكتب الديمقراطية وَ حقوق الإنسان والعمل" في خطوة هدفها لمّ الشمل بعد الانقسام الحاد بين "مجتمع حقوق الإنسان" و"مجتمع الديمقراطية"[369]، أما "الالتزام" فهو وسيلة لتبرير التحرك الأمريكي المنفرد، عادة بعقوبات اقتصادية وأحيانا بعمل عسكري، ضد أنظمة قد تكرس نوعا من التهديد المستمر، ورغم أن " الالتزام" يفتقد لأي أساس في القانون الدولي فإن البعض يبرره على أساس ما يخلفه من آثار إيجابية، كما هو حال شيستر كروكر Chester Crocker (مكلّف بالشؤون الإفريقية في عهد ريجان) الذي يعتقد أن أكثر من ربع مليون صومالي تم إنقاذ حياتهم

---

[367] . مارك ف. بلاتنر: " **مقدمة: هل الديمقراطية قابلة للتصدير؟**". في: زولتان باراني وَ روبرت موزر (محررين): " هل الديمقراطية قابلة للتصدير؟". ترجمة: جمال عبد الرحيم، بيروت: جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ط1، 2012، ص، ص 33، 34، 35.

[368] - John Dumbrell: **«Clinton's foreign policy between the Bushes: 1992 – 2000»**. London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2009, p 43.

[369] . مارك ف. بلاتنر: " **مقدمة: هل الديمقراطية قابلة للتصدير؟**". مرجع سابق، ص، ص 36، 37.

بفعل التدخل الإنساني، فلا ينبغي المبالغة في تقتيم الأحكام عن التورط الأمريكي في هذا الركن من إفريقيا.[370]

كان إصرار ويلسون على السلطة متعددة الأطراف لاستخدام القوة العسكرية هو العامل الأكثر حسما لرفض مجلس الشيوخ الأمريكي فكرة "عصبة الأمم"، و كان رهان ويلسون على أنه ما لم تُعط سلطة شن الحرب لهيئة دولية مثل العصبة، فلن يكون هناك ضمان لسوء الإدراك وَ جنون العظمة والارتياب[371]، وإنه لمن المفارقات أن يحيا بيل كلينتون سيناريو مشابها، ولو اختلفت في ذلك كثير من المعطيات، فلقد جادل كثيرون بأن التدخل في الصومال رسمَ علاقة جديدة في تاريخ الولايات المتحدة بالأمم المتحدة، وقد علّق أحد المحافظين الجدد (جوشوا مورافشيك Joshua Muravchik) عن ذلك "يحاول بيل كلينتون أن يرفع من الأمم المتحدة لتخفيض أعباء أمريكا، لكنه يتناسى حقيقة أن الأمم المتحدة تعتمد على أمريكا"؛ بناء عليه شهدت فترة كلينتون الرئاسية الأولى تراجعا منتظما في "النزعة الإنسانية الحازمة" assertive humanitarianism وتجلّى ذلك في "القرار الرئاسي التوجيهي 25" Presidential Decision Directive 25 الذي يفرض شروطا قاسية على مشاركة، أو دعم الولايات المتحدة لعمليات السلام، فلا بد من توافر تفاصيل مقنعة عن أهداف واضحة، مخاطر مقبولة وَ إجماع محلي وَ دولي، وبما لا يدع مجالا للشك مثّل القرار 25 نصرا للقوات المتشككة في الأمم المتحدة، و أعاد مذهب واينبرغر Weinberger (سيأتي شرحه في الفرع الموالي) إلى الواجهة، وقد أعيد تقنين القرار 25 باسم القرار 56 ولمدة ثلاث سنوات إضافية، مع إجراءات تتضمن رؤى رسمية أكثر بيروقراطية للتحكم في التدخل الإنساني.[372]

بدت مادلين أولبرايت متعاطفة مع منظمة الأمم المتحدة "يُطلب دائما من الأمم المتحدة أن تفعل الكثير، لكن الطموح النبيل يجب أن يلجمه نوع من الإحساس بالممكن، وكذا الاعتراف بمحدودية أنشطة الأمم المتحدة"، ومع تولي ريتشارد هولبروك Richard Holbrooke منصب الممثل الدائم للولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة ظهرت بوادر انقلاب مهم في مقاربة الإدارة الأمريكية المتحفظة جدا تجاه عمليات الأمم المتحدة لحفظ السلام، فالقرار التوجيهي 25 يتناقض مع خطاب الحملة الانتخابية لـ بيل كلينتون القاضي بمزيد من الدعم الأمريكي لعمليات الأمم المتحدة، وعَكَس هذا القرار إحباطا، لدى مؤيدي التدخل، فالداعم

---

370 - John Dumbrell: **«Clinton's foreign policy between the Bushes: 1992 – 2000»**. Op. Cit, p, p 43, 67.

371 . روبرت س. مكنامارا وَ جيمس ج. بلايت: " **شبح ويلسون: تقليص خطر النزاعات والقتل والكوارث في القرن الحادي والعشرين**". مرجع سابق، ص، ص 24، 25.

372 - John Dumbrell: **«Clinton's foreign policy between the Bushes: 1992 – 2000»**. Op. Cit, p, p 67, 77.

الأكبر للمنظمة تجرد أو قلّص من أدواره في وقت بلغت فيه عمليات حفظ السلام ذروتها، لذلك عالج هولبروك الصراعات الإفريقية ، خاصة في سيراليون، بطريقة أكثر نجاعة، وساهم في ترتيب قمة للأعضاء الخمس الدائمين في مجلس الأمن (7 سبتمبر 2000)، والتي ركّزت كليا على تحسين عمليات السلام وحفظها.[373]

ليس هناك إجماع أمريكي بين معتنقي الفلسفات التدخلية على صون مكانة الأمم المتحدة، ومن دلالات ذلك تعيين جون بولتون John Bolton كسفير دائم لدى الأمم المتحدة، وهو الذي عُرف بنظرته المتشككة في المنظمة وكل ما يرمز للتعاون متعدد الجنسيات؛ وفي ذلك طرح بولتون ستة رسائل كانت عبارة عن مشروع تفاوضي يتضمن اقتراحات وتعديلات على جواز التدخل الإنساني، ومما تضمنته هذه الرسائل التأكيد على أن الولايات المتحدة على استعداد للتدخل في حالات محددة، أين تفشل الحكومات في وقف عمليات القتل الجماعي على أراضيها، وبلغة جد واضحة كشف بولتون على أن القوات الأمريكية لن يتم نشرها سواء بصفة محايدة أو عالمية لمنع انتهاكات حقوق الإنسان وفق إرشادات الميثاق الأممي، وبدلا من ذلك يجب تيسير" الانتشار الاستنسابي" Discretionary deployment، فليس من مصلحة قادة العالم أن يحُولوا دون استخدام القوة العسكرية الأمريكية حتى ولو كان هناك غياب لإذن مجلس الأمن.[374]

في تطور مماثل أعلنت إستراتيجية الأمن القومي 2006 التزام الولايات المتحدة بتعزيز الحرية، الديمقراطية وحقوق الإنسان "في دول ومناطق معينة" In specific countries and regions، وبقراءة أولية في الوثيقة يتضح أن هذا الخطاب الجديد لا يهدف إلى تعزيز عالمية أو نزاهة حقوق الإنسان بقدر ما يحاول إضفاء الشرعية على التدخل الأمريكي في دول ذات سيادة من خلال تبني نداءات تقديرية وانتقائية لحقوق الإنسان[375]، وفي ذلك قال دافيد شاندلر David Chandler " القوة المتدخلة تختار متى و أين تتدخل، تُعرّف الضحايا، تحدد أصول الحقوق والمبادئ الأخلاقية التي تختار التمسك بها"[376]، وبالتالي فإنه بصرف النظر عن صحة مبررات غزو العراق فإن حجة حقوق الإنسان تشكل أسبابا وجيهة للاعتقاد بأن المنافع الإنسانية فاقت تكاليف الحرب[377]؛ لا يعني هذا أن التدخل واسع النطاق في العراق، وقبله أفغانستان،

---

373 . روزماري فوت وَ آخرون: " **الهيمنة الأمريكية والمنظمات الدولية: الولايات المتحدة الأمريكية والمؤسسات متعددة الأطراف**". ترجمة: أحمد حالي وَ الطيب غوردو، لندن: E. Kutub. Ltd، 2016، ص، ص 162، 163.

374 - Jan Hancock: **«Human rights and US foreign policy»**. London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2007, p 83.

375 - Ibid, p83.

376 - David Chandler: **«Rhetoric without responsibility: the attraction of 'ethical' foreign policy»**. The British journal of politics and international relations (BJPIR). Volume 5, Issue 3, August 2003, p 307.

377 - Jan Hancock: **«Human rights and US foreign policy»**. Op. Cit, p 127.

كان إنسانيا في المقام الأول، غير أنه كان سببا في تآكل الدعم الشعبي للعمل العسكري؛ غير أن الوعي السياسي الأمريكي يستحضر دون شك قصة " قطة مارك توين" Mark Twain's cat فبعد جلوسها على موقد ساخن، من المؤكد أنها لن تجلس عليه مرة أخرى، إلا أن هذا لا يعني أنها ستجلس أيضا على موقد بارد؛ حتما ستستمر الآلة الولسونية في استنهاض أحلام التدخلات الإنسانية والمسؤولية عن الحماية معتمدةً في المقام الأول على ما جادت به تكنولوجيات الحرب الإلكترونية.[378]

الفرع 2 . مذهب باول . واينبرغر

بعد أن اضطرت القوات الأمريكية إلى الخروج من فيتنام في منتصف السبعينات، أجرى الضباط دراسات مكثّفة وجلسات نقاش لاستكشاف الأخطاء، ورغم أن دور" كولين باول" Colin Powell في هذه الجلسات لم يكن مستفيضا، إلا أنه كان عاملا حاسما في تشكيل فكر كاسبار واينبرغر Caspar Weinberger؛ ففي سنة 1984 اجتمع الاثنان في إدارة ريغان (واينبرغر كوزير للدفاع وَ باول كمساعد له)، جاء ذلك في ظل ظروف جد خاصة مرت بها القوات المسلحة الأمريكية في الشرق الأوسط، فبعد الغزو الإسرائيلي للبنان من جهة وتزايد نفوذ سوريا في ذات الدولة من جهة ثانية، قررت إدارة ريغان إرسال 1800 جندي للمساعدة في استقرار الوضع، غير أنه في أكتوبر 1983 قُتل 241 أمريكي في مخيمات الجيش، ما عُدّ الرقم الأضخم في عدد قتلى القوات الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية[379]؛ كانت هذه الأحداث مدعاة لبروز " مذهب واينبرغر"Weinberger doctrine، ولاحقا وبصفة أكثر شهرة " مذهب باول" Powell doctrine .

وضع واينبرغر ستة اختبارات رئيسية يجب التأكد أن السلطات المدنية قد تجاوزتها قبل القيام بأي خطوة تهدف لنشر الجنود في المعركة: (أ) يجب أن يكون هناك اعتقاد بأن الالتزام بالمشاركة العسكرية مرتبط فقط بـ "المصلحة الوطنية الحيوية" Vital national interest للولايات المتحدة وحلفائها. (ب) لا تلتزم الولايات المتحدة الأمريكية بالمشاركة إلا إذا كانت هناك " نية واضحة للفوز" clear intention of winning. (ج) قبل تعريض حياة الأمريكيين للخطر يجب تحديد الأهداف العسكرية والسياسية بوضوح. (د) حجم وغرض القوة المرسَلة يجب إعادة تقييمه وتعديله بصفة مستمرة، وهو ما لم يحدث عندما كانت

---

[378] . جوزيف س. ناي: " **معضلة التدخل**". ترجمة: مايسة كامل، موقع: Project Syndicate ، جوان 2012، متاح على الرابط: https://www.project-syndicate.org/commentary/the-intervention-dilemma?version=arabic، تاريخ التصفح:28 جانفي 2017.

[379] - Walter LaFeber: **«Colin Powell: The rise and fall of the Powell doctrine»**. In : Anna Kasten Nelson (Ed) : « The Policy Makers : Shaping American Foreign Policy from 1947 to the Present ». U.S.A : Rowman & Littlefield Publishers, Inc. 2009, p154.

الأوضاع تتغير بسرعة في فيتنام ولبنان. (هـ) يجب ضمان دعم الشعب الأمريكي والكونغرس قبل الذهاب للحرب. (و) مشاركة الولايات المتحدة ينبغي أن تكون الملاذ الأخير Last resort.[380]

إضافة لما خلّفه التدخل في لبنان من كارثة على القوة الأمريكية، كان واينبرغر متخوفا من احتمال تصاعد التدخل الأمريكي في سلفادور، وأبدى معارضة شديدة لوزير الخارجية جورج شولتز George Shultz الذي كان من أشد المدافعين عن "الدبلوماسية القسرية" coercive diplomacy لوقف توسع الساندينيستا the Sandinistas في أمريكا الوسطى؛ فمن المرجّح ،حسب واينبرغر، أن "صراعات المنطقة الرمادية" gray–area conflicts هي الأكثر تحديا للسلام، إلا أنها تحديدا أصعب التحديات التي في وسع الديمقراطيات أن تستجيب لها، وفي ذلك هاجم واينبرغر المنظّرين الذين اعتقدوا بأن القوة العسكرية يمكن أن تؤثر في أي أزمة، وأنه كل ما كانت هناك قوة أمريكية، بغض النظر عن حجمها، فمعناه أن هناك طريقة ما لحل الأزمة، فالقوة ليست أداة للدبلوماسية إلا عندما تفشل الدبلوماسية في حد ذاتها، وهو بذلك رفض القول الكلاوزوفيتسي المأثور The Clausewitzian dictum " الحرب ليست إلا استمرار للسياسات، لكن بوسائل أخرى".[381]

يستحضر مذهب واينبرغر . باول ما عُرف بـ "المشكلة 1915*" 1915 problem (إمكانية أن يتحول التدخل إلى احتلال طويل الأمد)، لذلك وبصرف النظر عن أي متطلبات أخرى لعملية التدخل ينبغي في المقام الأول الإحاطة بـ "إستراتيجية الخروج" exit strategy، وقد نجح السناتور جون غلين John Glenn في التعبير عن هذه النقطة بإيجاز " قد ننتصر عسكريا، لكن ماذا نفعل بعد ذلك؟ كيف يؤسس النظام؟ وما هو المخرج من كل هذا؟"[382]، ورغم أن واينبرغر لم يتحدث بشكل صريح عن إستراتيجية الخروج إلا أنه أثار ذلك ضمنيا "هل هذا الصراع في مصلحتنا الوطنية؟ هل تتطلب مصلحتنا الوطنية القتال باستخدام قوة السلاح؟ إذا كانت الإجابة نعم، إذن يجب أن ننتصر، وإذا كانت الإجابة لا، إذن يجب أن لا ننخرط في المعركة"، غير أن باول استدعى كامل خبرته كجندي محارب في فيتنام ليطرح مأزق "إستراتيجية الخروج" تزامنا مع احتدام النقاش في الساحة السياسية الأمريكية حول واجب التدخل في البوسنة؛ يذكّر باول مجددا أن سياسة الأمة الضبابية وغير الفعالة في خليج الخنازير، فيتنام وَ إنشاء تواجد بحري بلبنان، قد أدى إلى

---

380 - Ibid, p155.

381 - Jeffrey Record: **«Back to the Weinberger – Powell doctrine»**. Strategic Studies Quarterly. Fall 2007, p, p 80, 81,82.

* . نسبة إلى التدخل الأمريكي في هاييتي سنة 1915، وتحوله إلى احتلال طويل الأمد نسبيا، حيث لم تخرج القوات الأمريكية إلا سنة 1934.

382 - John Dumbrell: **«Clinton's foreign policy between the Bushes: 1992 – 2000»**. Op. Cit, p73.

نتائج كارثية، وهو أمر غير مستبعد تكراره في البوسنة، ف الولايات المتحدة الأمريكية بصدد التعامل مع عرقيات متشابكة تعود جذورها إلى آلاف السنين، كما أن التضاريس الجبلية النادرة ستكون أرضا مثالية لشن حرب العصابات، وهي الحرب التي قاسى منها الجنود الأمريكيون في فيتنام، خصوصا أن عموم اليوغسلاف اشتهروا على أنهم مَهَرة في هذا النوع من الحروب.[383]

على عكس البوسنة أبدى باول ثقة في أن "عملية إعادة الأمل" Operation Restore Hope في الصومال قادرة على تحقيق الأهداف؛ طبعًا تأييد باول للانتشار الأمريكي في الصومال لا زال يثير الحيرة (وإن كان كريستوفر أوسيليفان Christopher O'Sullivan يُرجع ذلك إلى التزام أخلاقي من رجل شبه أسود تجاه بني جلدته) نظرا لعدم توافقه التام مع "مذهب باول" المعلن عنه، فعلى سبيل المثال لم تكن هناك مناقشة وافية حول الأهداف الوطنية والسياسية من هذا التدخل، كما أن الكونغرس والشعب الأمريكي لم يتلقيا تفسيرا كافيا عن أسباب الانتشار، باستثناء بعض التصريحات الغامضة عن" احتياجات إنسانية"، وأمام التطور الدراماتيكي الذي جلبه الأثر CNN أبدى باول خشيته من أن ما حدث في الصومال سيضاف لسلسلة طويلة من انكسارات الجيش الأمريكي (فيتنام، لبنان، فشل مهمة الإنقاذ في صحراء إيران) الأمر الذي من شأنه أن يقوّض التأييد العام للعمليات العسكرية.[384]

في سنة 1995 أصدر رئيس هيئة الأركان الأمريكية جون شاليكاشفيلي John M. Shalikashvili وثيقة الإستراتيجية العسكرية الوطنية The National Military Strategy تحت مسمى "أهداف واضحة، قوة حاسمة" Clear Objectives, Decisive Force والتي عُدّت بمثابة عملية مأسسة ثانية لمذهب باول . واينبرغر[385]، وما شجّع على ذلك هو نموذج التدخل في حرب الخليج الثانية التي دخلتها الولايات المتحدة بأهداف قابلة للإنجاز، فازت بسرعة وَ بأقل جهد وثمن (148 قتيل أمريكي فقط)، وغادرت المكان بسرعة أيضا، ويبدو أن حرب العراق قد شفت الولايات المتحدة من " متلازمة فيتنام".[386]

يولي كولين باول أهمية قصوى لمفهوم القوة الحاسمة أو الساحقة Overwhelming force على أساس أنها الطريقة المثلى لضمان صراع قصير تكون نتائجه في صالح الولايات المتحدة وترتقي في ظلها تطلعات تحقيق الأهداف، غير أن توافر مثل هذه القوة مرهون بتأييد أغلبية أعضاء الكونغرس وغالبية الرأي العام،

---

383 ـــ Luke Middup: **«The Powell doctrine and US foreign policy»**. England : Ashgate Publishing Limited, 2015, p, p115, 125.

384 - Christopher D. O'Sullivan: **«Colin Powell: American power and intervention from Vietnam to Iraq».** U.S.A : Rowman & Littlefield Publishers, Inc. 2009, p, p 108, 109.

385 - Richard Lock-Pullan: **«US intervention policy and army innovation: From Vietnam to Iraq».** London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2006, p 156.

386 - Jeffrey Record: **«Back to the Weinberger – Powell doctrine»**. Op. Cit, p83.

فقائد عملية عاصفة الصحراء Operation Desert Storm نورمان شوارزكوف Norman Schwarzkopf تردّد بداية في دخول معركة أخرى لا تعني الشعب الأمريكي، غير أن ظهور مؤشرات على وجود تأييد ساحق للعملية صُنّف على أنه طمأنةٌ بزوال شبح فيتنام[387].

نظرا لخبراته المكتسبة طيلة مساره العسكري، يعتقد النقاد أن باول يميل إلى كسب الاحترام طوعا أكثر من أن يفرضه بقوة التحدي؛ قد يكون هذا سببا لتفسير رفضه منصب وزير الخارجية في عهد كلينتون، وقبوله بنفس المنصب بعد ستة سنوات من ذلك في ظروف مغايرة؛ إنّ مبعث الخلاف الأساسي مع إدارة كلينتون كان قضايا فلسفية من قبيل "إدماج الشواذ في الجيش الأمريكي وفي عمليات التدخل الإنساني" التي بشّر بها كلينتون أثناء حملته الانتخابية؛ باول وفي مؤتمر صحفي من داخل مبنى الكلية البحرية، كان واضحا في هذه المسألة "إذا كان هناك من يرى أن منع الشواذ جنسيا من دخول القوات المسلحة نوع من التمييز ضدهم، فأنا أقول أن دخولهم إهانة لجنود القوات المسلحة"، فمعظم منتسبي الجيش، حسب باول، لا يؤيّدون رفع الحظر عن الشواذ، وإن حدث ذلك، كما وعد كلينتون، فستكون مسألة صعبة وَ صدمة ثقافية Culture shock للقوات المسلحة، كما رفض باول أن يكون التمييز ضد الشواذ في الجيش استمرارا أو إحياء لسياسة الفصل العنصريRacial segregation في القوات المسلحة الأمريكية والتي لم يتم إنهاء العمل بها إلا سنة 1948.[388]

بفعل أحداث بيروت 1983 برز مذهب باول . واينبرغر، وتجربة ضابط صغير (باول) في حرب فيتنام أشاعت نظرة جد خاصة للتدخل الإنساني، ومع رئاسته لهيئة الأركان الأمريكية المشتركة الثانية عشر أُضفي الطابع المؤسسي على هذا المذهب[389]، الذي لا يمكن اعتباره امتدادا للثورة الانعزالية، ولا مثبّطا لطموح الإمبراطورية، إنه وسط بينهما بنظرة أكثر واقعية و براغماتية، فكيفية تعريف الأمريكيين لأنفسهم ستحدد دورهم في العالم، وبالمثل فإن زاوية رؤية العالم لهذا الدور ستشكّل أيضا الهوية الأمريكية؛ إنّ شريحة واسعة من النخبة الأمريكية تميل إلى أن تصبح الولايات المتحدة مجتمعا عالميا، وهناك نخب أخرى ترغب في أن تتولى الولايات المتحدة الأمركية دورا إمبراطوريا، في حين أن الجزء الأكبر من المجتمع الأمريكي

---

387 - Luke Middup: **«The Powell doctrine and US foreign policy»**. Op. Cit, p, p 56,57.

388 - Christopher D. O'Sullivan: **«Colin Powell: American power and intervention from Vietnam to Iraq».** Op. Cit, p, p 105, 114,171**.**

389 - Leonie G. Murray: **«Clinton, peacekeeping and humanitarian interventionism: Rise and fall of a policy».** London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2008, p 109.

ملتزم ببديل الحفاظ على القومية الأمريكية وتقويتها، وبين أن تكون الولايات المتحدة الأمريكية عالمية، إمبراطورية، قومية، سيظل اختيار الأمريكيين هو الذي يشكل مستقبلهم ومستقبل أجزاء واسعة من العالم.[390]

المطلب الثاني: القوى الناهضة ومقاربات التدخل الإنساني

يعتقد فريد زكريّا Fareed Zakaria أنّ ثلاث تحولات جوهرية في توزيع القوة ،خلال القرون الخمسة الماضية، أدّت إلى إعادة صياغة الحياة الدولية في مناحيها السياسية، الاقتصادية والثقافية؛ يتمثّل التحول الأول في بروز العالم الغربي بداية من القرن الخامس عشر إلى غاية أواخر القرن الثامن عشر، وما أنتجته هذه الفترة من حداثة، وتجارة و رأسمالية، إضافة لثورتين زراعية وصناعية، أما التحول الثاني الذي حدث في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر فيتجسّد في بروز الولايات المتحدة الأمريكية كدولة أقوى من أي تحالف محتمل بين باقي الدول، أما التحول الثالث فهو نتاج العصر الحديث، ويسمى بـ " نهوض البقيّة" The Rise of the Rest بسبب ارتفاع معدل النمو الاقتصادي بأكثر من 4 بالمائة في 124 بلدا خلال عامي 2006 وَ 2007[391]، وفي طليعة هذه البقية الناهضة تبرز الصين، روسيا وَ الاتحاد الأوروبي، لكل منهم مقارباته تجاه شكل العلاقات الدولية بما فيها قاعدة الحماية والتدخل الإنساني، وإنْ لم يكن هناك توافق تام بين رؤى هذه القوى الثلاث، فإن الأكيد هو اختلاف طروحاتها بشكل جذري عن توجهات القوة المهيمنة.

الفرع 1. الاتحاد الأوروبي وَ أمننة القيم الأخلاقية

ظل الاتحاد الأوروبي، مثله مثل الآخرين، مهتما بمصالحه الخاصة (حتى وإن كان من الصعب في غالب الأحيان التوصل إلى اتفاق على ماهية هذه المصالح)، لكن الأوروبيين صاروا أكثر وعيا من سواهم أن هذه المصالح تشمل فعليا إقامة عالم مزدهر ومسالم، ذلك كان هو الأمل الذي يحذو جان مونيه Jean Monnet (الأب المؤسس للمجموعة الأوروبية) [392]، وهو الطموح الثابت الذي أكّده إعلان لايكن Laeken declaration في ديسمبر 2001 حيث مهّد الطريق لفتح مناقشات واسعة بشأن مستقبل أوروبا وأدوارها المحتملة في النظام العالمي الجديد، أين ركّز التقرير على ضرورة التزام الاتحاد بمسؤوليته التاريخية في العالم Historic responsibility in the world بما أن القارة هي أرض القيم الإنسانية (الماجنا كارتا

---

390 . صامويل ب. هنتنغتون: " **من نحن؟ المناظرة الكبرى حول أمريكا**". ترجمة: أحمد مختار الجمال، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2009، ص، ص 471، 475.

391 . فريد زكريا: "**عالم ما بعد أمريكا**". ترجمة: بسام شيحا، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2009، ص، ص 18، 19.

392 . جون بيندر وَ سايمون أشروود: " **الاتحاد الأوروبي: مقدمة قصيرة جدا**". ترجمة: خالد غريب علي، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2015، ص 127.

The Magna Carta، شرعة الحقوق The bill of rights، الثورة الفرنسية وسقوط حائط برلين) ومنبتُ معاني الحرية والتضامن واحترام التنوع الثقافي واللغوي، فأوروبا لها من الإمكانيات ما يؤهلها لإدارة العولمة بثبات راسخ.[393]

يشترك الاتحاد الأوروبي مع الولايات المتحدة الأمريكية في الكثير من القيم، إلا أن فرضها باستخدام القوة قضية مقيدة بشدة في أروقة بروكسل، فالخطاب الأمني السائد أوروبيا يميل إلى استبعاد الإكراه كوسيلة فعالة إلا في حالات متطرفة لها تصورات تبررها، رغم ذلك يلاحَظ بأن دستور الاتحاد الأوروبي أكتوبر 2004 (رفضته فرنسا، إسبانيا، هولندا ولوكسمبورغ) قد وضع مهاما جديدة تتجاوز مهام بترسبورغ *Petersberg task's، وتوسع نطاق الالتزامات العسكرية ذات الطابع الإنساني[394].

في جوان 2003 عرض الممثل الأعلى للسياسة الخارجية بالاتحاد خافيير سولانا Javier Solana أول " إستراتيجية أمنية أوروبية" European security strategy (ESS) على الدول الأعضاء والتي حاولت إيضاح آليات قيام "القوة المدنية" Civilian power بدور نشط في بناء وصيانة الأمن العالمي، ورغم أن هذه الوثيقة تعتبر سبْقًا في تاريخ الاتحاد الأوروبي، إلا أنها توصف بـ "الهشّة" Light بفعل ارتدادات ثلاث نقاط ضعف هيكلي عليها:(أ) إمكانيات ومؤهلات محدودة، (ب): صعوبات مفاهيمية وسياسية حول التوفيق بين الدور التقليدي للاتحاد والمهام الجديدة للقوة المدنية في ظل تحديات النظام الدولي الجديد، (ج): القراءات المتباينة لدول الاتحاد (خاصة فرنسا وبريطانيا) لمضمون "سياسة الأمن والدفاع الأوروبي" EDSP ودور حلف الناتو فيها؛ رغم ذلك تصِف الوثيقة الاتحاد الأوروبي على أنه لاعب عالمي مؤثر يجب أن يكون مستعدا للمشاركة في تحمل المسؤوليات العالمية تجاه الفقر، الإيدز، الإرهاب،

---

393 - Sonia Lucarelli: **"Introduction: Values, principles, identity and European Union foreign policy".** In: Sonia Lucarelli and Ian Manners (Ed): "Values and principles in European Union foreign policy". London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2006, p3.

* . مهمات بترسبورغ: هي قائمة من المهمات العسكرية ذات صبغة إنسانية متعلقة بحفظ وصنع السلام، تم وضعها خلال لقاء مجلس الاتحاد الأوروبي في " فندق بترسبورغ" بألمانيا سنة 1992 وتهدف إلى دعم السياسة الأمنية والخارجية الأوروبية المشتركة. انظر: روزماري فوت وَ آخرون: " **الهيمنة الأمريكية والمنظمات الدولية: الولايات المتحدة الأمريكية والمؤسسات متعددة الأطراف**". مرجع سابق، ص 43.

394 - Sonia Lucarelli and Roberto Menotti: **«The use of force as coercive intervention: The conflicting values of the European Union's external action".** In: Sonia Lucarelli and Ian Manners (Ed): "Values and principles in European Union foreign policy". Op. Cit, p, p 147, 148.

الجريمة المنظمة والصراعات الإقليمية، وذلك بتبني إستراتيجية ثلاثية: (أ): تقييم التهديدات والمخاطر، (ب): بناء جوار آمن، (ج): تطوير نظام دولي يقوم على تعددية فعالة.[395]

مبدئيا، يبدو أن ESS تتداخل نسبيا مع " إستراتيجية الأمن الوطني" National security strategy NSS سنة 2002 الخاصة بالولايات المتحدة الأمريكية، لكن بإلقاء نظرة عن كثب ستتضح معالم الاختلاف في مفاهيم الأمن بين الوثيقتين، فـ ESS، ورغم اعترافها بتعقيد التحديات الأمنية، إلا أنها لا تصفها ، كما هي فيNSS، بـ "عيّنة جديدة من الحرب" New kind of war، بل بالعكس تؤكد ESS أن أوروبا لم تكن أبدا آمنة، من جانب ثان تبدو النغمات المسيحية Crusader's tones والقيم الشاملة، الموجودة بقوة فيNSS ، غائبة أو على الأقل ليست بنفس الحدة في ESS، وحتى على النطاق الجغرافي تتحدث NSS عن امتداد عالمي، في حين تُعرّف ESS مسؤوليات الاتحاد بصورة دقيقة فقط اتجاه أوروبا والشرق الأوسط، ومن الاختلافات الجوهرية بينهما كذلك أن ESS تعامل الإرهاب كـ " تهديد إستراتيجي" Strategic threat بدلا عن " العدو العالمي الجديد للحضارة" The new global enemy of civilisation كما عرّفته NSS، ويترتّب على ذلك أن تقسيم العالم إلى شعوب محبة للحرية و دول مارقة تدعم الإرهاب معادلة لا تجد دعما في ESS؛ في مقام آخر تخصص ESS مزيدا من الاهتمام لـ "الأسباب المعقدة" Complex causes للعنف، كالحديث عن ضغوطات التحديث والأزمات الثقافية، السياسية والاجتماعية، وتنفير الشباب، فالأعداء هم نتاج أساسي للفقر وانهيار حكم القانون، والآليات التي ينبغي استدعاءها للرد ينبغي أن تكون اقتصادية، اجتماعية ودبلوماسية أكثر منها عسكرية، علاوة على ذلك، في الحالات القصوى التي تتطلب استخدام القوة تشير ESS إلى وجوب الحصول على إذن من منظمة الأمم المتحدة، في حين تؤكد NSS على حق اللجوء إلى الإجراءات الوقائية Pre– emptive action؛ كذلك، تحاجج ESS على أن الأمن والازدهار يتوقف على قيام نظام فعّال متعدد الأطراف بتقوية أسس المجتمع الدولي ودعم المنظومة القانونية للأمم المتحدة وتوسيع العضوية في المنظمات الدولية وتحفيز عودة البلدان التي تخلت عن العمل بالقانون الدولي إلى رحاب المجتمع الدولي أو ما اصطلح عليه بمقاربة "الإقبال البناء" Constructive engagement، على عكس ذلك، لا تتضمن NSS أي إشارة إلى التعددية أو تحديد دورٍ دولي محدد للأمم المتحدة، بل أنها تنتقد المحكمة الجنائية الدولية، وأخيرا تُقرّ وثيقة الإستراتيجية الأمنية الأوروبية بأهمية العمل مع الشركاء، ليس مع الولايات المتحدة فقط، بل روسيا ودول الجوار وغيرها.[396]

---

[395] - Sonia Lucarelli and Roberto Menotti: **«The use of force as coercive intervention: The conflicting values of the European Union's external action".** Op. Cit, p154.

[396] - Sonia Lucarelli and Roberto Menotti: **«The use of force as coercive intervention: The conflicting values of the European Union's external action".** Op. Cit, p, p 154, 155.

أكّدت معاهدة لشبونة 2007 (المادتان 1 وَ 10) أن الاتحاد الأوروبي يستلهم من المبادئ المعيارية Normative principles لبناء علاقاته مع باقي دول العالم، ومن هذه المبادئ الالتزام بـ"التضامن" Solidarity والمعونة المادية إزاء الدول النامية، وهو ما جرى تأكيده في إعلان كوبنهاغن Copenhagen declaration 1993، إعلان وزراء الخارجية Foreign ministers declaration 1986، تقرير المجلس Council resolution 1991، وَ ميثاق الحقوق الأساسية للاتحاد Charter of the fundamental rights of the union 2000، وتوصف مساهمات المساعدة الإنمائية، التي تقدمها الدول الأعضاء عبر منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD، على أنها جزء من مقاربة الاتحاد الأوروبي لمعالجة الأسباب الجذرية للصراع، أو ما أُصطلح عليه بـ "السلام المستدام" Sustainable peace، وهو مفهوم يجد جذوره في العبارة الافتتاحية لرئيس البرلمان الأوروبي روبرت شومان Robert Schuman في 9 ماي 1950 "لا يمكن تحقيق السلام العالمي دون تحقيق الجهود الإبداعية التي تتناسب مع الأخطار التي تهدده"، إلا أن الأسئلة تثار بقوة حول سبل إيجاد توازن بين معالجة أسباب النزاعات بطرق سلمية وبين القدرة على استخدام القوة لمنع الإبادة وحفظ السلام، بعبارة أخرى معضلة التوفيق بين درء الصراع Conflict prevention وَ إدارة الصراع Conflict management، في ذلك يثق بعض الباحثين في أهمية استخدام الاتحاد الأوروبي لـ " قوته المعيارية" تجاه دول جنوب شرق أوروبا، مستدلّين بعملية موازية حدثت سابقا تمثلت في تيسير إدماج البوسنة في التيار الأوروبي العام؛ تعلو هذه الأصوات رغم وجود علاقة غير متناسقة Asymmetrical relationship بين الاتحاد الأوروبي صانع المعيار Norm –maker وبين مقدونيا (كمثال) آخذ المعيار Norm –taker .[397]

ذاعت التجربة البوسنية، على نطاق واسع، كفشل أوروبي ذريع، فأداء الاتحاد الأوروبي كان أقل بكثير من التوقعات التي استبشرت بمقولة جاك بوس Jacques Poos (وزير خارجية لوكسمبورغ) الشهيرة " إنها ساعة أوروبا" This is the hour of Europe، ومثل ما أفرزت هذه الخبرة اعتقادا بعدم ملاءمة منظومة الدفاع الأوروبي للاحتياجات المتغيرة، فإنها أسهمت بالمقابل في تطوير مقاربة الاتحاد تجاه مفهوم " التدخل الإنساني"، فتجربة البوسنة كانت دافعا للدول الأعضاء لتحسين أوجه القصور في "السياسة الخارجية وَ الأمنية المشتركة" CFSP، وبعد معاهدة أمستردام Amsterdam treaty المعدّلة لـ " معاهدة ماستريخت" Maastricht treaty، كان لقاء فرنسا وَ بريطانيا في قمة سانت مالو St Malo (ديسمبر 1998) أين تبنّا الطرفان إعلانا يدعو إلى تعريفِ عنصريْ الأمن والدفاع بما يتجاوز، أو يوحي، بنهاية

---

[397] - Ian Manners: **«The normative power of the European Union in a globalised power».** In: Zaki Laid (Ed): « EU foreign policy in a globalized world ». London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2008, p, p 23, 24, 32.

المهمة التاريخية لاتحاد غرب أوروبا[398]؛ لقد كان هذا نقلة نوعية في مجال التفكير الأمني للاتحاد الأوروبي يحمل دلالات القدرة على العمل المستقل الذي تجلى بوضوح في اجتماع مجلس هلسنكي The Helsinki council meeting (ديسمبر 1999) أين تم إقرار تشكيل قوة أوروبية للرد السريع European rapid reaction force خصيصا لـ "مهام بترسبورغ الإنسانية" تتشكل من 60000 عنصر قابلة للانتشار في غضون ستون يوما، إضافة إلى استحداث اللجنتين السياسية والعسكرية للتعامل مع قضايا السياسة الأمنية والدفاعية الأوروبية؛ كل هذه التغييرات المؤسسية ستُدرج في نهاية المطاف ضمن معاهدة نيس Nice treaty 2001.[399]

من تداعيات أزمة البوسنة اقتناع الأوروبيين أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تعد متوفرة "عند الطلب" On request لإدارة أزمات أوروبا الأمنية، وهو ما غذّى الشعور بأهمية فتح باب المفاوضات حول إمكانية استخدام الأصول العسكرية لـ الناتو في عمليات لا تنطوي على الحليف الأمريكي؛ ذلك ما اصطلح عليه باتفاقية " برلين زائد" Berlin plus في مارس 2003، والذي سبقته استنتاجات توصل لها المجلس الأوروبي في كولونيا Cologne (جوان 1999) "أنه يجب أن تكون للاتحاد قدرة على ذاتية الحكم، تدعمه قوات عسكرية تحظى بالمصداقية، من أجل الاستجابة للأزمات الدولية دون المساس بإجراءات الناتو"؛ في خضم هذا التحول قامت علاقة الطرفين (الاتحاد الأوروبي والناتو) على تشجيع التكيف التدريجي مع المهام، فـ الناتو سيكون مسؤولا عن "الدفاع الجماعي" Collective defence، والاتحاد معني بـ " إدارة الأزمات" Crisis management على أساس التصدي لكل حالة على حدى.[400]

مثَّل التوصل إلى " اتفاقية إطار أوهريد" The Ohrid framework agreement (أوت 2001)، لمنع نشوب الحرب في مقدونيا، أحد الأمثلة البارزة على التعاون الناجح بين الاتحاد الأوروبي وَ الناتو في القضايا الأمنية، وتبع ذلك إطلاق حلف الناتو لعمليتي "الحصاد الأساسي" Essential harvest وَ "أمبر فوكس" Amber Fox، لنزع سلاح المجموعات الألبانية في الأولى و حماية المراقبين الدوليين الذين يشرفون على تطبيق اتفاقية السلام في الثانية، فيما أطلق الاتحاد الأوروبي أول مهمة حفظ سلام خالصة له في مارس2003(بمقدونيا كذلك)عُرفت باسم "كونكورديا" EUFOR Concordia، وَ لاحقا بـ "بروكسيما"

---

[398]-Johannes Varwick and Joachim Koops: **«The European union and NATO: 'Shrewd interorganizationalism 'in the making ?».** In : Knud Erik Jorgensen(Ed) : « The European union and international organizations ». London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2009, p102.

[399] - Sonia Lucarelli and Roberto Menotti: **«The use of force as coercive intervention: The conflicting values of the European Union's external action".** Op. Cit, p 151.

[400] -Johannes Varwick and Joachim Koops: **«The European union and NATO: 'Shrewd interorganizationalism 'in the making ?».** Op. Cit, p, p 101,102.

EUPOL Proxima، وفي ديسمبر 2004 أنهى حلف الناتو عملية القوة التنفيذية IFOR وَ قوة تحقيق الاستقرار SFOR التي استمرت تسعة سنوات في البوسنة والهرسك، وسُلّمت تلك المهام للاتحاد الأوروبي الذي بدأ عملية" ألثيا"EUFOR Althea بقوة بلغ تعدادها 6000 جندي، وفي جويلية 2003 شرع الاتحاد في عملية "أرتيميس"Opération Artémis في جمهورية الكونغو الديمقراطية لدعم جهود الأمم المتحدة، وكان الهدف بموجب القرار الأممي رقم 1484 منع حدوث أزمة إنسانية واسعة النطاق في منطقة إيتوري Ituri (شمال شرق الكونغو الديمقراطية)، كما قام الاتحاد بتدشين أول عمليات "سيادة القانون" Rule of law في جورجيا، أو ما عُرف باسم " ثيميس" EUJUST Themis .[401]

تشترك هذه العمليات في مجموعة من السمات: (أ) كلها منخفضة الشدة، بمعنى أن استخدام القوة متوقع فقط للدفاع عن النفس، حماية المدنيين والعاملين الدوليين، (ب) تجري في سياق بناء السلام أو جهود منع نشوب الصراع، (ج) كثيرا ما تنطوي على مشاركة دول غير أعضاء في الاتحاد الأوروبي، (د) تكمن في الإطار القانوني لمنظمة الأمم المتحدة؛ كما أنها تعاني أيضا من مجموعة قيود: (أ) محدودة النطاق، (ب) تعتمد على قيادة والتزام الدول الأعضاء الرئيسية التي قد تفضّل وضع مواردها و أصولها خارج الاتحاد، هذا ما يفسّر عدم وجود عمليات أوروبية في كوت ديفوار وَ سيراليون، كما أن انعدام التدخل في السودان ومنطقة البحيرات العظمى وضع مصداقية الاتحاد على الخطر.[402]

تترتب عن بعض التهديدات التي تستدعي استخدام القوة العسكرية تحويلا في طبيعة القيم إلى إجراءات فعالة؛ ذلك ما يمكن فهمه على أنه "مسار الأمننة" Process of securitisation والذي عرفه باري بوزان بـ " التحرك الذي يأخذ السياسات نحو إنشاء قواعد وأطرٍ للعبة، تنتج عنه عينة معينة من السياسات"[403]، ويُستخلص من هذا أن الأمن " أسلوب خاص من السياسات الذاتوية البينية" A particular type of intersubjective politics.[404]

الأمننة آلية مفيدة لتفسير سياسة الاتحاد الأوروبي "التدخلية" في ظل افتقاره لمسوّغات وتقاليد تاريخية تتعلق بـ "الأمن الصلب"Hard security، فـ"حماية" Protecting "الفضاء الأوروبي" European space، وَ "فرض"Enforcing حقوق الإنسان وحكم القانون، دعامتان لعمل الاتحاد خارج المجال

---

401 - Bjorn Moller: **"European Security: The Roles of Regional Organisations "**. London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 2nd published, 2016, p, p 304, 305.

402 - Sonia Lucarelli and Roberto Menotti: **«The use of force as coercive intervention: The conflicting values of the European Union's external action".** Op. Cit, p152.

403 - Barry Buzan and others: **«Security: A new framework for analysis»**. U.S.A: Lynne Rienner Puplishers, Inc, 1998, p23.

404 - Ibid, p19.

الاقتصادي، وإذا حدث تقارب بينهما (حماية الفضاء الأوروبي وفرض حكم القانون) كان التدخل كاسحا يحظى بدعم الأغلبية، أما إذا انفصلت الدعامتان فإن التدخل يميل إلى أن يكون مشلولا[405]؛ و كما يرى جوليون هوورث Jolyon Howorth أن السياسة الأمنية والدفاعية الأوروبية تمثل "بناء راديكالي لخطاب جديد للأمن الأوروبي" أو بمعنى أدق " أوْربة الخطاب الأمني" Europeanisation of security discourse، مع ملاحظة تحوُّل دول الاتحاد نحو قبول "النزعة التدخلية الأوروبية المتكاملة" Integrated European interventionism التي لا تقوم على الرهانات الكلاسيكية، كالمصلحة الوطنية، فقط، بل بدوافع أكثر مثالية وأخلاقية، ما يوحي بإدخال "النموذج المعياري الجديد في العلاقات الدولية" New normative paradigm into international relations. [406]

ليست " قيم الاتحاد" وَ " الرؤى العالمية المغايرة" وحدهما من يفرض حدودا للتدخل، بل ذلك يتوقف أيضا على الهيكل المؤسسي الخاص والفريد الذي تحظى به أوروبا، حيث تتطلب قرارات السياسة الخارجية الأوروبية مساومة عالية لاختبار مستوى التضامن في حالة انتكاس/ تصعيد النزاع، وكذا الثقة المتبادلة لتمكين دولة أو أكثر من الأداء العملياتي (كما في حالة فرنسا أثناء عملية أرتيميس في الكونغو الديمقراطية)، ويعني ذلك أيضا اتفاقيات داخلية بشأن قبول تسويات ناقصة، كالرضا بواقع التقسيم في البوسنة وتأجيل الوضع في كوسوفو، أو تنازلات في شكل خيارات تَدرس طرف الصراع الذي ينبغي أن يحظى بالدعم من أجل حل الأزمة أو على الأقل وقف العنف.

إذا تعلّق الأمر باستخدام الاتحاد للوسائل القسرية، فإن ذلك مدعاة لإثارة مسائل الاتساق بين الغايات والوسائل، وفتح المجال لمناظرة شبيهة بمناظرات "سيلا وَ شاريبديس"* Scylla and Charybdis بين من يرفض استخدام القوة العسكرية على أساس أنها انتهاك لقيمة تأسيسية للاتحاد الأوروبي، و دعاة استخدامها المحدود كوسيلة لتأمين باقي القيم التأسيسية، والأمننة بالصيغة التي وضعها بوزان تلقي الضوء تدريجيا على هذه المبادئ المتضاربة كدليل توجيهي لعمل الاتحاد الأوروبي عبر قوْلبتها الحادة لـ "الخطاب الاتصالي"Communicative discourse كأساس للسياسة الأمنية، فعندما يتم الانتقال من خطر عام

---

405 - Sonia Lucarelli and Roberto Menotti: **«The use of force as coercive intervention: The conflicting values of the European Union's external action".** Op. Cit, p156.

406 - Jolyon Howorth: **«National defence and European security integration: An illusion inside a chimera ?».** In: Jolyon Howorth and Anand Menon (Ed): « The European union and national defence policy ». London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 1997, p, p 17, 18.

* . سيلا وَ شاريبديس: في الأسطورة الإغريقية هما وحشان بحريان يعيشان على طرفي قناة ضيقة من المياه، وتوظف هذه الأسطورة للتعبير عن حالة الوقوع بين خطرين شديدين، فبمجرد الهروب من أحدهما لا بد من اللجوء للآخر.

إلى تهديد فعلي يُفتح المجال بصورة تلقائية لمسار الأمننة، وتصبح حماية حقوق الإنسان موضوعا للسياسة الأمنية.[407]

إن انخفاض الدعم للإنفاق الدفاعي دليل على أنه لا رغبة للدول الأوروبية في زيادة دورها الأمني إذا تعارض مع أولويات أخرى (لعل في مقدمتها الفضاء الأوروبي)، ومن الواضح أن استخدام القوة العسكرية يفرض ضغوطا كبيرة على معايير التسوية السلمية للنزاعات التي هي لبّ الهوية الجماعية للاتحاد الأوروبي، خصوصا أن تجربة يوغسلافيا ما زالت تلقي بظلالها على أهداف الاتحاد الأوروبي ودوافعه الحقيقية من تعديل مقاربته التدخلية، وفي ذلك يقول غوين برينس Gwyn Prins "من خلال خبرة يوغسلافيا انتقلنا من تصور لاستخدام رمزي وتوافقي للقوة المحدودة (معظمها تحت السلطة الأخلاقية للأمم المتحدة) تسمى عمليات بناء السلام، إلى إعادة توجيه أفّاك ومخادع فارض لحقوق الإنسان".[408]

الفرع2 . الصين: تْيَانْكْسْيَا أم هيمنة؟

مع تأسيس جمهورية الصين الشعبية عام 1949 أعلن "ماو تسي تونج" Mao Zedong أن الصين "نهضت"، فُسّر ذلك أن البلد الذي كانت تهيمن عليه القوى الإمبريالية الأجنبية على مدى مائة سنة بات يتحكّم الآن في مصيره[409]؛ يُدقّق جوزيف ناي في مصطلح " صعود الصين" ويعتبره اصطلاحا غير سليم ويقترح " تعافي" بدلا عنه، ذلك أن اقتصاد الصين كان أضخم اقتصاد في العالم، وحتى حينما تفوقت عليه أوروبا والولايات المتحدة في القرنين الماضيين نتيجة الثورة الصناعية، كان للإصلاحات الاقتصادية مطلع الثمانينات مفعولا بارزا في تسجيل معدل نمو بين 8 وَ 10 % ما ساهم في مضاعفة إجمالي الناتج القومي إلى ثلاثة أضعاف في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، مثل هذه المؤشرات تجعل من تعافي الصين المتسارع سببا لإعادة وصفةِ صراعٍ قديمة طرحها ثيوسيديديس، حين نسب الحرب البلوبونيزية إلى صعود قوة أثينا وما خلّفه ذلك من توجس وخوف في إسبرطة[410]، وقد جزم جون ميرشايمر بأن الصين لا يمكنها الصعود بأمان[411]، ورغم تبني القوى الكبرى، وخاصة الولايات المتحدة، لسياسات الاحتواء، الحظر والحصار

---

407 - Sonia Lucarelli and Roberto Menotti: **«The use of force as coercive intervention: The conflicting values of the European Union's external action".** Op. Cit, p 158.

408 - Prince Gwyn: **«The heart of war. On power, conflict and obligation in the Twenty- First century ».** London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2002, p60.

409 . كارل غيرث: " **على خطى الصين يسير العالم: كيف يُحدث المستهلكون الصينيون تحولا في كل شيء**". ترجمة: طارق عليان، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، كلمة، ط1، 2012، ص12.

410 . جوزيف س. ناي: " **هل انتهى القرن الأمريكي؟**". مرجع سابق، ص 48، 49.

411 . جون ميرشايمر: " **مأساة سياسة القوى العظمى**". مرجع سابق، ص 6.

تجاه الصين، إلا أنها أبقت على عنصري "حرمة السيادة" و"عدم التدخل في الشؤون الداخلية" كركيزتين أساسيتين في بناء مقاربتها الأمنية[412]؛ مدفوعة في ذلك أساسا بفلسفة " تيانكسيا: الكل { متساو} تحت السماء" Tianxia : All under heaven، التي تصف رؤيةً للمشاكل الدولية على الطراز الصيني، محمّلة في متنها بخطاب يتماوج بين القومي و الكوزموبوليتاني، فمشكلة السياسة الدولية اليوم، وفق زهاو تينغيانغ Zhao Tingyang لا تكمن في " دول فاشلة" ،مثل أفغانستان أو مالي، بل في "عالم فاشل" مضطرب من الفوضى؛ هذه الفوضوية ترجع أصولها إلى أزمة مفاهيمية بسبب الاستكانة لتعاليم المركزية الغربية الوستفالية[413].

التيانكسيا أكبر من أن يستوعبها مكان، تتناسب تماما مع تنوّع مشاكل العالم التي يستحيل أن تضبطها دولة أو منظمة بعينها، هي طريقة للنظر والتفكير في مشاكل العالم بمنظور كلي وشامل All– inclusive؛ إنها تعترف بواقع التنوع الحضاري مثلما تُقر بحقيقة تعدد المصالح، لا تميل للإقصاء ولا " شيء خارج تيانكسيا" Nothing outside Tianxia (Tianxia Wuwai 天下无外).[414]

التيانكسيا، بمفهوم زهاو، "مؤسسة عالمية" World institution تترابط فيها المعاني النفسية، الجغرافية والمؤسساتية لتشكّل "العالم المعياري" Normative world؛ عالمٌ يستند إلى "فكر سمح لا يرفض الآخر" Magnanimous thought does not reject the other، فعندما قام الغرب بتقسيم العالم وفق العرق فإن الفكر الصيني وحّده على أسس أخلاقية وثقافية، وعندما صدح كارل شميت Carl Schmitt أن السياسة عملية تقوم على التمييز العلني بين الصديق والعدو، فإن نظرية التيانكسيا تهدف لـ " تحويل الأعداء إلى أصدقاء" Transforming enemies into freinds، حيث التحول عامل جذب للناس وليس دحرا لهم[415]، إنها (التيانكسيا) تعتني بالعالم أجمع، تؤمن مثل ما تطمح إلى كل متناسق.[416]

---

412 - Zhu Liqun: **«China's foreign policy debates».** European union : Institute for security studies (ISS), Chaillot papers, September 2010, p44.

413 - William A. Callahan: **«Chinese visions of world order: Post – hegemonic or a new hegemony».** International studies review. Volume 10, Issue 4, December 2008, p751.

414 - Astrid H.M. Nordin: **«China's international relations and harmonious world: Time, space and multiplicity in world politics».** London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2016, p48.

415 - William A. Callahan: **«Chinese visions of world order: Post – hegemonic or a new hegemony».** Op. Cit, p, p 751, 752.

416 - Yaqing Qin: **«Why is there no Chinese international relations theory ?».** In : Amitav Acharya and Barry Buzan(Ed) : « Non- western international relations theory : Perspectives on and beyond Asia ». London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2010, p 42.

بحسب التيانكسيا، النظام العالمي في حاجة ماسة إلى مؤسسة عالمية بديلة، يتعيّن قيامها والحفاظ عليها إعادة ترتيبٍ في المستويات الضابطة للحياة السياسية، فالأمثلة الشائعة عن الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي كمؤسسات متخطية للحدود هي أسانيد غير دقيقة، لأن ما تقتصر عليه هاتان المؤسستان في وجودهما قائم على النظرة العامة للدولة القومية التي تنظّم الحياة السياسية وفق مستويات ثلاثة "الفرد، المجتمع، الدولة"، بينما يتطلع الفكر الصيني إلى مستويات بديلة " التيانكسيا، الدولة، العائلة"، ما يجعل من عقيدة التيانكسيا " نظاما هرميا" Hierarchical system تكُون فيه منظومة القيم أعلى من الحرية، والأخلاق فوق اعتبارات القانون، وصفوة الحكومة أسمى من مطالبات الديمقراطية وحقوق الإنسان[417]؛ فالعلاقات الاجتماعية بمنظور التيانكسيا لا تكون بين حيوانات أدغال هوبز (متكافئة وعدائية) وليست بين الأفراد في مجتمع لوك (متكافئة ومتنافسة)، ولا حتى بين الدول في ثقافة كانط (متكافئة وَ وُدية)، إنما هي علاقة بين الأب والأبناء في العائلة الكونفوشيوسية The Confucian family (غير متكافئة لكنها متراحمة ودمثة Benign)، أين تستكين العلاقات الاجتماعية لروابط وضوابط " ليزهي" Lizhi التي تعني الحكم بقواعد السلوك والأخلاق الكونفوشيوسية الأربعة: اللباقة Propriety، الاستقامة Righteousness، الإخلاص Honesty وَ الإحساس بالعار Sense of shame . [418]

مثلما هو شأن المدرسة الإنجليزية، قوبل تصور ستانلي هوفمان المركزي لتطور علم العلاقات الدولية برفض من الباحثين الصينيين الذين حاولوا إبراز الخلل الظاهر في الحقل نتاج هيمنةٍ مركزية أنجلو . أمريكية American centrism Anglo – عليه، وسعوا في مقابل ذلك إلى تشكيل مدرسة مزاحمة Rival school تتطلع لإقامة نظرية في العلاقات الدولية بـ "خصائص صينية" Chinese characteristics، ومع مطلع القرن الجديد تم الدفع بضرورة بناء "مدرسة صينية"Chinese school .

تنظر المدرسة الصينية إلى العلاقات الدولية على أنها "تدبير منزلي كولونيالي" A colonial household، إذ ترتبط أدبياتها بالماضي الاستعماري ومسارات الإمبريالية ونظام وستفاليا، ولفهم كيف أن المنطق الكولونيالي رَسَخ وأعاد إنتاج نفسه، تستخدم كل من "ماري آن أغاثانجيلو Mary-ann Agathangelou وَ لينغ Ling المصطلح الإغريقي " Poisies " كبديل عن الإبستمولوجيا لفهم جاذبية إعادة بناء العلاقات الدولية؛ عادة ما تعني Poisies "الإبداع" Creativity أو"الإلهام الشِّعري" Poetic inspiration، هذا الإبداع ما كان يوصف على أنه حيوي لو جرى تقديمه وإظهاره بلغة مخالفة للغة المنشأ؛ فمفهوم Poisies يفتح المجال للاعتراف بوجود عوالم مختلفة وقصص متنوعة عن هذه العوالم؛

---

417 - William A. Callahan: **«Chinese visions of world order: Post – hegemonic or a new hegemony».** Op. Cit, p, p 752, 753.

418 - Yaqing Qin: **«Why is there no Chinese international relations theory ?».** Op. Cit, p 42.

لذلك يبدو متعذرا، على المدرسة الصينية، التواصل مع المجال الأوسع لنظريات العلاقات الدولية بما أن الإلمام باللغة الإنجليزية، وفق ما رأى التيار الصيني السائد، هو تطبيق لـ " النظريات الغربية" Western theories.[419]

إن "طهارة" Purity وانعزالية الباحثين المحافظين الصينيين عن التأثيرات الغربية ترتبط بالنظرة المركزية جد الوثيقة لـ "الماركسية" كأساس لنظريات العلوم الاجتماعية ومرشدٍ لمفهوم "الخصائص الصينية"، بمعنى أنها دفاع عما اعتبروه تعدّيا غربيا على أدبياتهم وقدراتهم البحثية، أو شكل من أشكال الحمائية Protectionism ضد "التلوث الروحي" Spiritual pollution القادم من الغرب.[420]

غير أن أي محاولة للتنظير ما بين الثقافي تتطلب إدراكا للخطر، ويقظة في الحوار وقدرة على التأمل، تليها بعد ذلك طرق التفكير المتشعّبة التي يمكن أن تعكس الممارسات الاتصالية للدبلوماسية الدولية، ويتوقف ذلك على نوعية الكلمات المنتقاة، الترجمة، الإيماءات، البروتوكولات وفن الحوار، ولكن في الواقع يبدو ذلك، في حالة المدرسة الصينية، أمرا ليس بالهيّن.[421]

بدأ موقف الصين المتصلّب تجاه مسألة "السيادة المطلقة" يلين شيئا فشيئا مع انفتاحها على العالم الخارجي، ومن الأمثلة الجيدة على ذلك سياسة " دولة واحدة وَ نظامان" One country, two systems، التي وضعها دنغ كسياوبينغ Deng Xiaoping أثناء التفاوض على تسليم هونغ كونغ في ثمانينات القرن الماضي[422]، وخلافا لـ "خروتشيف " Khrushchev فإن دنغ اعتمد توأمةً بين "الإصلاح والانفتاح" Reform and opening up، وبسبب ذلك لم تشهد الصين نموا اقتصاديا فحسب، بل تغييرات مؤسسية شملت التعليم والتعلم، وبحلول عام 2004 كانت الصين قد انضمت إلى 266 اتفاقية دولية متعددة الأطراف، كما كانت عضوا في جل المنظمات الحكومية الدولية[423]، ورغم اتساع نطاق القبول لفكرة نقل جزء من السيادة من أجل المشاركة والاندماج الدوليين، فإن ذلك لا يعني أن المدرسة الصينية قد توصّلت لاتفاق

---

419 - Anna M. Agathangelou and L.H.M Ling: **«The house of IR: From family power to the poisies of worldism».** International studies review, vol 6, n04, December 2004, p, p 21 ,44.

420 - Suzanne Ogden: **«Chinese nationalism: The precedence of community and identity over individual rights»**. In : Alvin Y. So (Ed) :« China's Developmental Miracle : Origins, Transformations, and Challenges ». London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 2nd published, 2016, p 238.

421 - Roger Epp: **«Translation and interpretation: The English school and IR theory in China».** In : Robert W. Murray (Ed) : « System, society and the world : Exploring the English school of international relations ». Bristol : E- International relations publishing, 2nd edition, 2015, p47.

422 - Zhu Liqun: **«China's foreign policy debates».** Op. Cit, p 44.

423 - Yaqing Qin: **«Why is there no Chinese international relations theory ?».** Op. Cit, p 44.

مماثل حول مسألة "مسؤولية الحماية"[424]، وفي هذا الجانب يحدّد ياكينغ كين Yaqing Qin ثلاث مستويات تربط طبيعة العلاقة بين هوية المجتمع الصيني ونظيره الدولي:[425]

إثبات هوية إيجابي Positive identification: حيث تشير الهوية الإيجابية إلى اعتبار الصين نفسها كعضو هام في المجتمع الدولي، وتشارك بفعالية في إدارة شؤونه، وتقْبل المعايير والقواعد الدولية الناظمة له.

إثبات هوية صفري Zero identification: بمعنى أنها تنأى بنفسها عن المجتمع، وتمتنع عن الإسهام في الشؤون الدولية بمفردها.

إثبات هوية سلبيNegative identification: يشير إلى اتخاذ مواقف ضد توجهات المجتمع الدولي.

لا تبدو الطريق معبّدة أمام طموح " السلام الصيني" Pax Sinica، ليس بسبب وضع الصين الدقيق والناشئ في النظام الدولي فحسب، بل أيضا لطبيعة الإطار التحليلي الذي تنتهجه المدرسة الصينية، إذ يشيع غالبا استخدام الثنائيات المطلقة: الصين / الغرب، البناء / الاستبعاد، ما يجعل من "عبء الرجل الأصفر" Yellow man's burden لطمأنة و تحديث العالم مجرد ذر للرماد في الأعين حسب ما يرى الكثيرون؛ فـ " التيانكسيا" في قفص الاتهام، على أساس أنها لا تطرح آليات واضحة تساعد على تحويل الأعداء إلى الأصدقاء، بل أن زهاو نفسه يُقر أن العلاقات داخل هذا الهيكل لا تفسح المجال لـ "الغيرية المطلقة" Absolute otherness بقدر ما تدافع عن "الفارق الحضاري النسبي" Relative cultural difference، وفي سبيل ذلك تناشد إمبريالية الصين تجسيدا لـ " نظام الرافد" Tribute system أين تتشكل دوائر أحادية المركز، تُطوّق فيها عاصمة الحضارة الإمبريالية بتدفّقٍ انسيابي لشعوب "بربرية"، وبدلا من انتقاد هذه النظرة الإمبريالية التي تميز بين الحضارة وَ البربرية Civilization/ Barbarism distinction، فإن زهاو يَعتبر ذلك مفيدا، لأن الأراضي البربرية والدول الرافدة ستقدّم خدمات تنافسية ذات قيمة للحضارة الصينية؛ فمثل هذه المناقشات، التي تحاول إثبات حقيقة تسلسل هرمي بين الثقافات، تجعل من الفكر الصيني ذو توجهات عنصرية، تماما كما كان حال نظريات العلاقات الدولية (الأمريكية) قبل وخلال فترة الحرب الباردة، فحجة زهاو بأن الشعوب تحتاج إلى تحويل "بتحسين مصالحهم" Improving their interests، لا تنفي حقيقة أن عملية بناء المجتمع غالبا ما تنطوي على تدميره

---

424 - Zhu Liqun: **«China's foreign policy debates».** Op. Cit, p 45.

425 - Yaqing Qin: **«Why is there no Chinese international relations theory ?».** Op. Cit, p 45.

Community-building always entails Community-destroying، لذلك ليس من الغريب أن توسم الرؤى الصينية للنظام العالمي بأنها "هيمنة جديدة" New hegemony.[426]

الفرع 3 . روسيا: بناء اجتماعي للتدخل الإنساني

ردًّا على مختلف السياقات الدولية تميزت السياسة الخارجية الروسية، على مرّ فترات الحكم الملكي، الشيوعي والليبرالي، بأنماط متميزة في التفكير والسلوك؛ فقد نَمَت هذه السياسة في ظل تحديات خاصة ترتبط باضطرابات متكررة في أقاليم مجاورة وتهديدات غير متوقعة بغزوٍ خارجي أو صعوبات دائمة في الحفاظ على الأراضي الداخلية، وبمرور الوقت ساهمت ثلاث مدارس مجتمعة، أو كل على حدى، في صقل السياسة الخارجية الروسية:[427]

المدرسة التغريبية Westernist school: تنظر هذه المدرسة إلى الغرب على أساس أنه يمثّل الحضارة الأكثر سخاء وعطاء من بين حضارات العالم، وتعود نشأة هذا الفكر إلى "بطرس الأكبر" Peter the great الذي أشاد بالغرب على أساس تفوقه التكنولوجي وحاجة روسيا له للتغلب على التخلف، كما دافع "ألكسندر الأول" Alexander I على أهمية دمج روسيا في عائلة المونارشيات الأوروبية وقيَمها التقليدية في مواجهة مدّ أفكار الثورة الفرنسية، إضافة إلى أنه كان من مهندسي "التحالف المقدس" The holy alliance رفقة ألمانيا والنمسا لقمع الأنشطة الثورية في القارة؛ إلا أنه بعد "عصر الإصلاحات الكبرى" The era of great reforms باتت الحكومة القيصريةCzarist أكثر استعدادا لقبول القيم الأوروبية الدستورية الجديدة، وفي ذلك أكّد "بافل ميليوكوف" Pavel Milyukov (الليبرالي الروسي البارز) على أهمية بقاء روسيا في الحرب العالمية الأولى كعضو نشط في التحالف المعادي لألمانيا، ورغم الخراب الذي جلبته الحرب فإن دعم الحلفاء الأوروبيين جعل من روسيا دولة ذات مبدأ وهوية؛ وفي سعيه لتطهير الاتحاد السوفييتي من "التحريفات الستالينية" Stalinist distortions تبنّى غورباتشيف في سياسته الخارجية مبدأ "الأمن التبادلي" Mutual security مع الغرب، وهي اللحظة التي طوّرها كل من أندريه كوزيريف Andrei Kozyrev وَ بوريس يلتسين Boris Yeltsin حين تحدّثا عن "الإدماج" Integration و"الشراكة الإستراتيجية مع الغرب" Strategic partnership with the West .[428]

---

426 - William A. Callahan: **«Chinese visions of world order: Post – hegemonic or a new hegemony».** Op. Cit, p, p 749, 754, 755.

427 - Andrei P. Tsygankov: **«Russia's foreign policy: Change and continuity in national identity».** U.S.A : Rowman & Littlefield Publishers, Inc, 2006, p4.

428 - Andrei P. Tsygankov: **«Russia's foreign policy: Change and continuity in national identity».** Op. Cit, p5.

المدرسة الدولاتية Statist school: يصنّفها بعض الباحثين على أنها المدرسة الأكثر تأثيرا في السياسة الخارجية الروسية، وتؤكد على قدرة الدولة في الحكم والحفاظ على النظام الاجتماعي والسياسي، وبشكلٍ واضح تميل هذه المدرسة لتفضيل قيم القوة، الاستقرار والسيادة على تلك المتعلقة بالحرية والديمقراطية، ويُعتبر مفهوم "التهديد الخارجي لأمن روسيا" مدلولا حاسما لدى الدولاتيين، فمنذ الهزيمة أمام المغول تشكّل لدى الروس مُركّبٌ نفسي من انعدام الأمن والاستعداد بالتضحية من أجل الاستقلال والسيادة، فعلى سبيل المثال برّر جوزيف ستالين الحاجة إلى "التصنيع السريع" Rapid industrialization باستجابةٍ للتهديدات الخارجية القوية، فتاريخ روسيا القديمة يثبت تعرضها لسيل من الهجمات المتواصلة، حيث أثخنها خانات المغول Mongol Khans وَ البايات الأتراك Turkish Beys، كما تعرضت للقهر على يد لوردات السويد الإقطاعيين Swedish feudal lords وكذا نبلاء ليتوانيا وَ بولندا Polish and Lithuanian gentry، وضُربت روسيا برأسماليي بريطانيا وفرنسا وَ بارونات اليابان Japanese barons، كل هذا كان نتاجا لـ "التخلف Backwardness" في شتى الميادين، الصناعية، العسكرية، الثقافية ، الزراعية والسياسية[429].

الدولاتية بطبعها ليست معادية للغرب، فهي تسعى لنيل "الاعتراف" Recognition منه عبر التأكيد على تطوير القدرات العسكرية والاقتصادية، وتاريخيا تتّبع هذه المدرسة سياسة "التمركز" Concentration عبر الدخول في تحالفات مرنة والحد من مشاركة روسيا في الشؤون الأوروبية، و غالبا ما ترجع أصولها الفكرية والممارساتية إلى وزير الخارجية "الأمير ألكسندر غورتشاكوف" Alexander Prince Gorchakov الذي تم تكليفه من طرف "ألكسندر الثاني" Alexander II بالعمل على استرداد روسيا لمكانتها الدولية بعد هزيمتها في حرب القرم Crimean war؛ وفي وقت تهيمن فيه النزعة الشكوكية لدى الدولاتيين تجاه أي جهود ترمي لمحاولات الإصلاح الديمقراطي من خارج الحزب الشيوعي، فإن بعض الأصوات داخل هذه المدرسة دعت إلى اتّباع سياسة خارجية تقوم على توافق نسبي Relative accommodation مع الغرب، في حين دافعت وجوه أخرى على "موازنة الإستراتيجيات" Balancing strategies؛ فعلى سبيل المثال ناصَرَ مكسيم ليتفينوف Maksim Litvinov نظام "الأمن الجماعي" Collective security في أوروبا لمنع صعود الفاشية، كما أراد نيكيتا خروتشيف Nikita Khrushchev استباحةَ "طابوهات الانعزالية" Taboos of isolationism وجعل روسيا أقرب من أوروبا، داعيا في نفس الوقت بالعودة إلى مبادئ لينين حول "التعايش" Coexistence مع العالم الرأسمالي؛ من جهة أخرى عادة ما يتم استحضار معاهدة الصداقة بين ستالين وَ ألمانيا النازية كمثال على الفلسفة الدولاتية في سياسة

---

429 - Richard Sakwa: «**The rise and fall of the Soviet Union: 1917-1991».** London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 1999, p180.

روسيا الخارجية، حيث كان يأمل ستالين من وراء هذا الاتفاق عزل روسيا عن الحرب العالمية الثانية أو على الأقل شراء الوقت الكافي للتحضير لها؛ أما ليبراليو الدولاتية فقد أجمعوا على أهمية بناء اقتصاد السوق دون أن يكون لذلك انعكاساتٌ تُضعف من قيم القبضة القوية المُحكمة للدولة الواحدة، ويستدل في هذا بسياسة إيفغيني بريماكوف Ievgueni Primakov الساعية للسيطرة على الشركات الكبرى، ومُضي فلاديمير بوتين Vladimir Putin في الإحاطة بالسلطة التشريعية، هيكل الحزب والإعلام الإلكتروني. [430]

المدرسة الحضارية Civilizationist school: تسعى هذه المدرسة إلى نشر قيم روسيا في الخارج على أساس اختلافٍ جذري في القيم مع الغرب، وتعود فلسفة السياسة الخارجية لـ "الحضاراتيين" إلى إيفان الرهيب Ivan the terrible و دعوته لـ " تجميع الأراضي الروسية" Gathering Of Russian lands عقب الاسترقاق المنغولي، وذلك على نَيْر فتوى "موسكو هي روما الثالثة" Moscow is the third Rome، وفي وقت يدعو فيه بعض ممثلي هذه المدرسة إلى الالتزام الصارم بالقيم المسيحية الأرثوذكسية، يرى آخرون إمكانية حدوث تآلف بين الديانات؛ وقد آمن قدماء الحضاراتيين بـ "هوية الإمبراطورية الروسية" The identity of the Russian empire وَ أوْصَوْا بأن تتجاوز روسيا القيود التي وضعها الغرب على نزعتها التوسعية تجاه الحدود الشرقية والجنوبية، كما دافعوا عن فكرة الوحدة السلافية Slavic unity واستدعى الأمر في ذلك استحداث أيديولوجية Pan-Slavism على إثر بعض قرارات السياسة الخارجية القيصرية؛ وفي الحقبة الشيوعية تستدعي النسخة الحضارية " مذهب تروتسكي" Trotski doctrine حول "الثورة الدائمة" Permanent revolution ، أما في فترة ما بعد انهيار الاتحاد السوفييتي فقد دافعت بعض التوجهات السياسية والفكرية عن "انتشار التوسع الخارجي" Widespread external expansion كأفضل وسيلة لضمان أمن روسيا، وقد برز ما عُرف بـ "الأُوراسيين" Eurasianists الذين يعتبرون أن روسيا مطالبة باستمرار أن تعمل على توسيع إمبراطوريتها البرية في مواجهة " الأطلسية" Atlanticism البحرية التي تمثّلها قوة الولايات المتحدة الأمريكية بوجه خاص. [431]

عند دراستهما للسياسة الخارجية الروسية ارتدت كل من الواقعية وَ الليبرالية "عدسات ثقافية غربية" cultural lenses Western، غاضّتين الطرف عن التعقيد، تعدد الثقافات وثراء المفاهيم الذي تمتاز به هذه السياسة، وكما يشير أندريه تسيغانكوف Andrei Tsygankov فـ " إذا أردنا فهم تنوع Diversity السياسات الخارجية الوطنية، يجب علينا أولا أن نفهم ما 'الوطنية' National "؛ في ذلك تقدّم البنائية

---

[430] - Andrei P. Tsygankov: **«Russia's foreign policy: Change and continuity in national identity».** Op. Cit, p, p 6, 7.

[431] - Andrei P. Tsygankov: **«Russia's foreign policy: Change and continuity in national identity».** Op. Cit, p, p 7, 8.

Constructivism وعودا جادة من خلال دراسة "البناء الاجتماعي للسياسة الخارجية الروسية على أساس المناقشات حول الهوية الوطنية"[432]، فالنظام الدولي ليس مجرد ساحة لتطبيق رؤى عسكرية، اقتصادية ودبلوماسية، بل يمتد دوره إلى مساعدة الدول على التنشئة الاجتماعية وإدراك أين تكمن مصالحها في السياسات العالمية؛ هذه المصالح يجب أن تُدرس بعناية لأنها تختلف باختلاف خبرات الدولة المكتسبة تجاه النظام الدولي وأجزائه، فهي ليست عقلانية موحّدة، وقد عبّر ألكسندر ويندت Alexander Wendt عن تعجّبه من ضآلة البحوث التجريبية التي تحاول فهم أي نوع من مصالح الدولة ذلك الذي يريده الفاعلون بالفعل.[433]

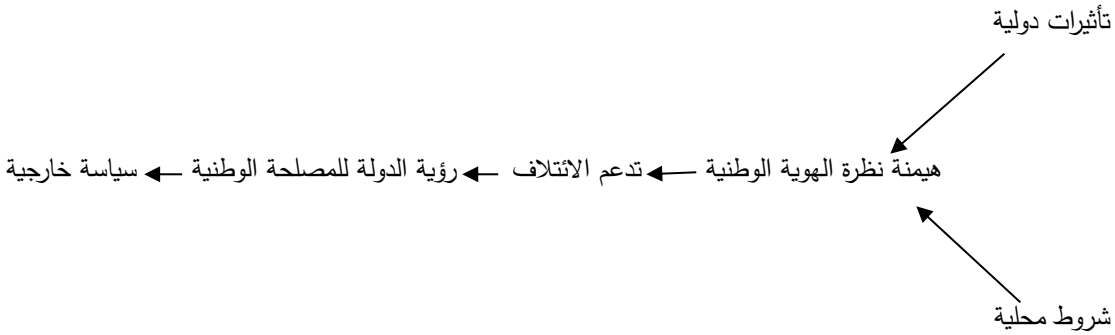

شكل رقم08: تفسير بنائي للسياسة الخارجية، المصدر:

Andrei P. Tsygankov : **« Russia's foreign policy : Change and continuity in national identity ».** Op. Cit, p17.

في سنة 2008 روّجت السلطات الروسية لفكرة انتهاك سيادة الدولة بفعل الاعتداء على قوات حفظ السلام الروسية في جورجيا، ما أعطى شرعية للرد العسكري على ضوء نموذج التعددية Pluralist model (لكل دولة الحق في الدفاع عن نفسها من العدوان الخارجي) غير أن هذه الحجة تم مزجها بشواغل إنسانية حين تم التعامل مع الأفراد كما لو أنهم كانوا من أشخاص القانون الدولي، وذلك تماشيا مع المبررات التضامنية Solidarist justifications التي تحبّذها الدول الغربية حين يتعلق الأمر بالتدخل العسكري، بمعنى أن مقاربة روسيا عقدت العزم على إنقاذ البشر من المعاناة (الأوسيتيين، الأبخازيين وَ حافظي السلام الروس The Ossetians, the Abkhazians and the Russian peacekeepers) على أساس مبادئ سيادة الدولة وعدم التدخل؛ هذا المزج الفريد بين القيم التعددية والتضامنية لم يكن مطروحا

[432] - Ibid, p 14.

[433] - Alexander Wendt: **«Social theory of international politics».** Op. Cit, p133.

حيال الأزمة السورية 2011، حين رفضت موسكو الإقرار بحتمية وجود واجب أخلاقي للأمم المتحدة يدفعها للتدخل في الصراع، و أصرت على عدم أحقية أي طرف في تجاوز القنوات الدبلوماسية التي من شأنها تيسير الحوار بين السلطات والمعارضة، حيث يحق للدولة السورية وحدها حسم مشاكلها والبتّ في القائد الذي يمثل الشعب، وهي الرؤى المناقضة لما طرحه دميتري ميدفيديف Dmitri Medvedev بخصوص تبرير التدخل في جورجيا، حين أكد على أن الدول ذات السيادة يجب أن تُساءل عن أفعالها، وأن السيادة ليست تأشيرة لتتصرف كما يحلو لها.[434]

بيت القصيد من هذه الازدواجية في معايير التدخل الإنساني هو أن روسيا لا زالت ترى أن لها قدرة تأثيرٍ على النطاق العالمي، وليتحقق لها ذلك تحتاج إلى الاحتفاظ بدائرة نفوذها في "رابطة الدول المستقلة" (بالروسية(СНГ) Содружество Независимых Государств)، أين لا تكتفي روسيا بأن تكون قوة عظمى إقليمية فقط، بل "قوة عظمى إقليمية مهيمنة" Regional hegemonic great power، تمارس إزاء دول الرابطة سياسات هي مزيج بين النظام البسماركي Bismarckian system وَ الهيمنة الكلية؛ هذا المُجمّع الأمني الإقليميThe regional security complex ليس غايةً في حد ذاته، بل وسيلةٌ لاستعادة روسيا مكانتها على الساحة العالمية، مدفوعة في ذلك بحقيقة تواجد أكثر من 25 مليون من أصل روسي خارج الأراضي الروسية.[435]

المبحث الثاني . التدخل الإنساني في ليبيا ومعضلته في سوريا

يتركّب النظام الدولي من كوكبة من الدول الهامشية، الطَّرفية والمستبعدة، هذه الدول تشبه "الضاحية" بالنسبة إلى الحوكمة العالمية؛ فالتأسيس لـ "انعدام المساواة" بقي راسخا، بل أكثر من ذلك راح يتوالد ويشحن الذاكرة لكي يبتكر رؤى متجددة لظاهرة تُذكّر بقدر الهيمنة المحتوم[436]؛ فليس من المستغرب أن تكون ليبيا و سوريا في قلب تطبيقات معيار الحماية والتدخل الإنساني مع مطلع العقد الثاني من القرن الواحد و العشرين، الأمر ليس بمفاجئ كون الدولتان لهما تاريخ في عدم الانصياع للخط الدولي العام، غير أن المستجد هو الاستجابات الإقليمية غير المألوفة (الاتحاد الإفريقي في حالة ليبيا) و الدولية غير المتوافقة

---

434 - Mads Moll Austgulen: **«Russia's approaches to military interventions: A comparative case study of Georgia and Syria».** Master's thesis, Oslo : department of political sciences, Fall 2014, p, p 67, 68.

435 - Bertil Nygren: **«The rebuilding of greater Russia: Putin's foreign policy towards the CIS countries».** London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2008, p12.

436 . برتراند بادي: " **زمن المذلولين: باثولوجيا العلاقات الدولية**". مرجع سابق، ص 134.

(روسيا، الصين وَ الولايات المتحدة الأمريكية في حالة سوريا) ما أنبأ بحدوث تطورات جديدة في قاعدة المسؤولية الدولية عن الحماية.

المطلب الأول . ليبيا: هل تسمح مسؤولية الحماية (R2P) بإسقاط النظام؟

نصت الوثيقة الختامية لمؤتمر القمة العالمي للأمم المتحدة لعام 2005، على الركائز الثلاثة للمسؤولية عن الحماية، The three pillars of the responsibility to protect وقد أعاد الأمين العام للأمم المتحدة صياغتها في تقريره (A/63/677) سنة 2009، هذه الركائز هي: (أ) تتحمل الدولة المسؤولية الرئيسية عن حماية السكان من الإبادة الجماعية وجرائم الحرب، والجرائم المرتكبة ضد الإنسانية والتطهير العرقي أو التحريض عليها، (ب) يقع على عاتق المجتمع الدولي واجب تشجيع ومساعدة الدول على الوفاء بهذه المسؤولية، (ج) إذا تبيّن فشل الدولة الصريح في حماية سكانها، فعلى المجتمع الدولي أن يكون مستعدا للعمل الجماعي من أجل حماية السكان وفق ميثاق الأمم المتحدة.[437]

بدت المسؤولية عن الحماية R2P مقاربة أكثر اتّزانا، البعض توسّم فيها إشراقا لفرض سلطة القانون الدولي وإنقاذ القاسم الإنساني المشترك دون أي حساسيات مفرطة أو حسابات مسبقة تجاه "المصالح السياسية الضيقة"، لكن من خلال ما بات يعرف بـ "ربيع العرب" كانت الأسئلة الأكثر جاذبية: لماذا ليبيا دون غيرها كانت في مرمى تصويب R2P؟ ما معنى إصرار الولايات المتحدة وحلفائها على إسقاط نظام القذّافي؟ وماذا بعد التدخل الإنساني في ليبيا؟.

الفرع 1 . جيل البوسنة وَ عملية فجر الأوديسا

يتفق الأكاديميون على أن القرار 1973، الذي يقضي بفرض منطقة حظر جوي في ليبيا، كان مفاجئا، ليس فقط بسبب فشل التنبؤات حيال سرعة "الأحداث غير المتوقعة" Unforeseen events، بل كذلك لطبيعة المركز القانوني والسياسي الذي كانت عليه "مسؤولية الحماية" R2P قبل بداية الأحداث.[438]

بوتيرة جد متسارعة حظي مفهوم R2P بمكانة ضمن الدعاية العالمية وقاموس السياسات الدولية، فقد تضمنت "الوثيقة الختامية للقمة العالمية" World summit outcome document 2005 فقرتين

---

[437] - Susan Breau: **«The responsibility to protect in international law: An emerging paradigm shift».** London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2016, p 181.

[438] - Aidan Hehir: **«Introduction: Libya and the responsibility to protect»**. In : Aidan Hehir and Robert Murray (Ed) : « Libya : The responsibility to protect and the futur of humanitarian intervention ». U.K : Palgrave Macmillan, 1st published, 201 3, p, p 1 ,2.

تحملان إشارة مباشرة إلىR2P [439]، وفي جويلية من عام 2009 عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة، ولمدة ثلاثة أيام، مناقشات حول R2P، انتهت بتأييد الأغلبية الساحقة لمبادئها[440]، وقد سبق ذلك استحداث منصب "المستشار الخاص المعني بمسؤولية الحماية" في 2008، ومع نهاية العقد برزت عديد من المنظمات غير الحكومية ومعاهد ومراكز البحوث، وكذا مجلات أكاديمية تُعنى بدراسة وتطوير مفهوم R2P .[441]

على الرغم من هذا الاحتفاء، ظل الأثر الفعلي لـ " مسؤولية الحماية" متواضعا، حيث تساءل كثيرون عن موقع R2P من الأحداث الجارية في سريلانكا، الكونغو الديمقراطية وَ لا سيما دارفور، ففي العشر أشهر الأولى فقط من سنة 2008 نزح ما لا يقل عن 290000 شخص من دارفور، مع الإقرار بوجود أربعة ملايين يحتاجون لمساعدات إنسانية، وقد أشار مقرّر الأمم المتحدة الخاص في السودان إلى تواصلٍ دون هوادة لحالات العنف والاعتداء الجنسي على النساء والأطفال، وفي هذا الشأن قال كوفي عنان " أن ردود فعل الدول حيال دارفور، أظهرت أنهم لم يتعلموا شيئا من رواندا"، بمقابل ذلك قوبل القرار رقم 1973 بابتهاجٍ من مؤيدي R2P، وتمّت مناصرته كدليل على "ترتيب جديد" New disposition بين مجلس الأمن وعموم المجتمع الدولي.[442]

لا توعَز هذه الاصطفائية Selectivity في التدخل إلى تراجع أو تطورٍ في R2P، وفي هذا توسم قمة 2005 على أنها انعكاس لأفكار قديمة وليست تحديثا لها، فالبيئة المعيارية فرضت وجودها منذ تسعينات القرن الماضي، إلا أن الذي لم يكن متوافرا بشكل دائم هي الظروف التي تجعل من هذه التدخلات فاعلة سياسيا، ذلك ما يفسِّر وجود تدخل في الصومال دون رواندا، والبوسنة دون دارفور، وكذا إقراره في ليبيا دون سوريا، فالتدخلات ترتهن لتصورات " خب سياسية" Policy elites تُترجم وتفسّر بعض الحالات استنادا إلى" نماذج جيلية" Generational paradigms [443] .

تؤدي خبرات وتجارب التكوين أدوارا في تفسير مختلف أجيال النخب السياسية لـ "قاعدة الحماية"؛ هذا ما يشرح إعطاءها طُرقًا ومفاهيم متشعبة ومنتقاة، وفي حالة ليبيا فإن ما أسماه جورج باكر George

---

439 - Carsten Stahn: **«Responsibility to protect: Political rhetoric or emerging legal norm».** The American journal of international law. Vol 101, no 1, January 2007, p, p 100, 101.

440 - Aidan Hehir: **«The responsibility to protect in international political discourse: Encouraging statement of intent or illusory platitudes ?».** The international journal of human rights. Volume 15, Issue 8, 2011, p1331.

441 - Aidan Hehir: **«Introduction: Libya and the responsibility to protect»**. Op. Cit, p 6.

442 -Aidan Hehir: **«Introduction: Libya and the responsibility to protect»**. Op. Cit, p, p 6,7.

443 - Eric A. Heinze and Brent J. Steel: **«The (D) evolution of a norm: R2P, the Bosnia generation and humanitarian intervention in Libya».** In : Aidan Hehir and Robert Murray (Ed) : « Libya : The responsibility to protect and the futur of humanitarian intervention ». Op. Cit, p131.

Packer بـ "جيل البوسنة" Bosnia generation (وفي موضع آخر الليبراليين البوسنيين Bosnian liberals) كان من يقف وراء التدخل في ليبيا استنادا إلى مجموعة الخبرات التي تكوّنت لديهم أثناء أزمات التسعينات (الصومال، رواندا، البوسنة) ، فلغز المشاركة الأمريكية في التدخل كان موضع الكثير من التخمينات، ومن الأطروحات الشعبية الرائجة آنذاك أن "المرأة" في إدارة أوباما كانت هي من تضطلع بـ "عملية فجر الأوديسا" Operation Odyssey dawn ، فوزيرة الخارجية "هيلاري كلينتون" Hillary Clinton، سفيرة الولايات المتحدة الأمريكية لدى الأمم المتحدة "سوزان رايس" Susan Rice ، والحقوقية البارزة " سامانثا باور" Samantha Power كنّ من أبرز المدافعات عن فكرة واجب التدخل في ليبيا؛ وقد شكل هذا افتراضا ملائما للترويج لـ "جندرة العمل الإنساني" Genderizing of humanitarian action.[444]

تحدّث بيتر بينارت Peter Beinart عن وجود قاعدة عريضة من "جيل البوسنة" لدى النخب السياسية الأمريكية والأوروبية، وكيف أن صناع القرار والمستشارين كانوا يستحضرون كلا من رواندا وَ البوسنة في مناقشاتهم بشأن" فجر الأوديسا"[445]؛ رئيس الوزراء البريطاني ، مثلا، دافيد كامرون David Cameron طالب بتدخّلٍ لأنه لا يريد تكرار سربرينيتشا، ولا يريد ذكرى شبيهة بتلك التي تورطت فيها قوات حفظ السلام الهولندية حين عجزت عن إيقاف المذبحة التي راح ضحيتها 8000 بوسني مسلم، وفي أواخر مارس 2011 صرّح الرئيس الفرنسي نيكولاس ساركوزي Nicholas Sarkozy أن بنغازي ستكون، دون تدخل، " سربرينيتشا ثانية" Second Srebrenica.[446]

اكتسبت النخب السياسية الداعمة لإقامة منطقة حظر جوي في ليبيا نسقًا عقيديًا متشعّبا نتيجة تجارب سابقة، فـ "سامانثا باور" مثلا بدأت حياتها المهنية من البوسنة، والفرنسي "برنارد هنري ليفي" Bernard Henry Lévy أنتج في سنة 1994 فيلما تسجيليا يحثّ على التدخل ضد نظام ميلوسيفيتش، وفي بريطانيا برز إلى جانب كامرون اسم " إدوارد ليويلين" Edward Llewellyn (سفير بريطانيا في فرنسا ابتداء من 2016) الذي خدم سابقا في البوسنة، وَ كذا "أرمينكا هيليتش Arminka Helic النائبة البريطانية (من أصول بوسنية مسلمة) والتي ستصبح أحد أكبر مستشاري وزير الخارجية "ويليام هاغ" William Hague،

---

[444] - Eric A. Heinze and Brent J. Steel: **«The (D) evolution of a norm: R2P, the Bosnia generation and humanitarian intervention in Libya».** Op. Cit, p, p 132, 149.

[445] - Peter Beinart : **« Behind the Libya war ».**The Daily Beast, 20 March 2011, Available online at : www.thedailybeast.com/.../**libya-war**-and-the-bosnia-hawks-on-the..., browsing history : 17 January 2017.

[446] - House of commons foreign affairs committee: **«Libya: Examination of intervention and collapse and the UK's future policy options».** Third report of session 2016-17. 14 September 2016, p, p 11, 15,16.

كما يحضر اسم " آن ماري سلوتر" كواحدة من المؤثرين بشدة في مواقف الإدارة الأمريكية حيال اتخاذ قرار التدخل في ليبيا؛ فقد سبق لـ "سلوتر" أن قارنت بين تقرير "اللجنة الدولية المعنية بالتدخل وسيادة الدول" ICISS و وثيقة " ماغنا كارتا"، و أثناء عملها في وزارة الخارجية الأمريكية تحت إمرة كلينتون غرّدت على موقع تويتر في فيفري 2011 "لا يمكن للمجتمع الدولي أن يقف متفرجا على مذابح المحتجين في ليبيا. في رواندا شاهدنا، في كوسوفو تصرفنا"؛ أما "سوزان رايس" فقد تذرّعت بأن لا تكون ليبيا حالة مشابهة لـ رواندا، مدّعية أن الولايات المتحدة قد أوفت بالتزاماتها في ما قبل ذلك: "هذه المرة ، سيتصرّف مجلس الأمن، ويعمل في الوقت الملائم، فبعد أن فشلنا في رواندا وَ دارفور، لن نفشل مجددا في ليبيا، في أقل من يومين أدّت القوات الأمريكية دورا حاسما في إيقاف قوات القذّافي وإنقاذ بنغازي".[447]

يناضل منتسبو "جيل البوسنة" من أجل استمرارية، ولو نسبية، للمعايير الإنسانية في السياسة الخارجية الأمريكية، ويرفضون بشدة مقولة " كولين باول" Colin Powell وَ غيره من واقعيي السياسة الخارجية " الولايات المتحدة الأمريكية لم يكن لديها أقوى جيش في العالم من أجل أن تأخذ على عاتقها أعمالا إنسانية، طريّة واجتماعية"[448] ، ولذلك فإن المنافسة في صورتها الحقيقية داخل إدارة أوباما لم تكن بين "نساء" و"رجال"، ولكن بتعبير أدق كانت سجالا بين ليبراليي البوسنة (باور، رايس، هيلاري، سلوتر) وبين الواقعيين، وفي مقدمتهم وزير الدفاع "روبرت غيتس" Robert Gates الذي ذكر خلال عملية فجر الأوديسا أن ليبيا " لم تكن مصلحة وطنية حيوية".[449]

كندا بدورها ،التي شاركت في العملية، لها من التقاليد تجاه R2P ما يخوّلها بأن تكون طرفا مؤثرا في " فجر الأوديسا"، فقد تزامنت التقارير التي أشارت إلى إخفاق الأمم المتحدة في الاضطلاع بمسؤولياتها تجاه حماية المجتمعات المحلية؛ تزامنت مع اكتساب كندا للعضوية غير الدائمة في مجلس الأمن، ومنذ سنة 1996 أصبح "الأمن الإنساني" محور السياسة الخارجية الكندية، ليس بسبب الميول "الإنسانية" ، فقط، التي اشتهر بها وزير خارجيتها " لليود أكسوورثي" (انظر فرع: عبء البرهان) بل كذلك لمساهماتها الميدانية على أساس أنها" قوة متوسطة" Middle power، حيث كان الجنرال "روميو داليـر" Roméo Dallaire قائدا لقوات الأمم المتحدة خلال حرب الإبادة في رواندا، وفي 1996 ترأسّت كندا قواتٍ متعددة الجنسيات لحماية مخيمات اللاجئين في الكونغو الديمقراطية من تقدّم قوات الـ "بانيامبلونج"

---

[447] - Eric A. Heinze and Brent J. Steel: **«The (D) evolution of a norm: R2P, the Bosnia generation and humanitarian intervention in Libya».** Op. Cit, p150.

[448] - Samantha Power: **«A problem from hell: America and the age of genocide».** New York : Basic books, 2013, p261.

[449] - Eric A. Heinze and Brent J. Steel: **«The (D) evolution of a norm: R2P, the Bosnia generation and humanitarian intervention in Libya».** Op. Cit, p151.

Banyamulenge المدعومين من حكومة رواندا، وبمبادرة كندية كذلك عقد مجلس الأمن جلسة مفتوحة لمناقشة المسألة المتعلقة بحماية المدنيين أثناء الحرب (فيفري 1999)[450]، لذلك لا يبدو غريبا أن تُسند للجنرال الكندي "تشارلز بوشارد" Charles Bouchard مهمة قيادة "عملية الحامي الموحّد" Operation unified protector، أين كان للقوات الكندية حضور لافت بين باقي دول الناتو (655 منتسب للقوات المسلحة الكندية، سبع طائرات نفاثة مقاتلة CF-18، طائرتان CF-150 Polaris للتزويد بالوقود في الجو، طائرتان CP-140 Aurora ذات المهام التجسسية، ثلاث طائرات Hercules للنقل العسكري، 946 طلعة جوية وَ 696 قَنبلة لأهداف ليبية).[451]

إذًا، لم يستند التدخل الإنساني في ليبيا إلى تطور في معايير R2P بقدر ما تصادف مع تواجدٍ لنخبة "جيل البوسنة" في مختلف مواقع السلطة، إضافة لذلك فإن عوامل استثنائية للغاية أذْكَتْ بدورها جذوة النزعة التدخلية، حيث أن إعلان القذّافي عزمه على تطهير الدولة من "الجرذان" و"الصراصير" Cockroaches أعاد للأذهان (خاصة في الوصف الثاني) العبارات التي كان يَستخدمها جزّارو الهوتو لوصف ضحاياهم من التوتسي؛ كان هذا دافعا لإحياء مناقشات تَستشهد بمقارناتٍ عن الفشل الأخلاقي Moral failure ، ورغم أن العلاقات بين ليبيا والغرب قد تحسّنت في مجملها عقب أحداث 11 سبتمبر 2001 فإنه كان من اليسير إعادة "شيطنة" Re-demonize القذّافي ونظامه استنادا إلى "آثام" Misdeeds سابقة (إسقاط طائرة Pan AM 103 فوق لوكربي Lockerbie الاسكتلندية 1988، تفجير ملهى ليلي في برلين 1986، قتل الشرطية البريطانية "ييفون فليتشر" Yvonne Fletcher برصاص قنّاص أمام مبنى السفارة الليبية في لندن سنة 1984)، وما جعل المأمورية تبدو أكثر نضجا هو تأييد أغلب الجهات الفاعلة إقليميا للتدخل على غرار جامعة الدول العربية، منظمة المؤتمر الإسلامي ومجلس التعاون الخليجي، فعلى عكس الرئيس السوري "بشّار الأسد" لم يكن لحلفاء القذّافي مصلحة كبرى في استمراره[452]، غير أن موقف منظمة الاتحاد الإفريقي كان مغايرا نسبيا، خصوصا أن إفريقيا كانت عُرضة أكثر من غيرها لتطبيقات التدخل الإنساني ومسؤوليات الحماية.

---

[450] - S. Neil MacFarlan and Yuen Foong Khong: **«Human security and the UN: A critical history».** Op. Cit, p174.

[451] - Kim Richard Nossal: **«The-use and misuse-of R2P: The case of Canada»**. In : Aidan Hehir and Robert Murray (Ed) : « Libya : The responsibility to protect and the futur of humanitarian intervention ». Op. Cit, p112.

[452] - - Kim Richard Nossal: **«The-use and misuse-of R2P: The case of Canada»**. Op. Cit, p 110.

الفرع 2 . الاتحاد الإفريقي وجهود أقلمة التدخل في ليبيا

قُوبل قرار المجتمع الدولي، القاضي بالتدخل في ليبيا، بنوع من الفتور وعدم التصميم من قبل منظمة الاتحاد الإفريقي African union، ونتيجة لذلك تم تهميش الاتحاد في الجهود الدولية المبذولة لوقف "العنف"؛ وفُسّر موقفه على أنه تقاعس وتناقض صارخ مع المادة الرابعة الفقرة (ح) من القانون التأسيسي للاتحاد الإفريقي Constitutive act of the African union التي تعطي للاتحاد حق التدخل في دولة عضو إذا ثبت توافر ظروف خطيرة كجرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية والإبادة الجماعية، وَ رغم أن الناتو استند إلى غطاء قانوني لتبرير التدخل فإن الاتحاد الإفريقي عارض هذا التفسير الواسع لـ R2P خشية ما يرتد عنه من "شرعنة للتطفّل النيوكولونيالي" Legitimize neocolonial interference المحتمل مستقبلا في شؤون الداخل الإفريقي تحت شعار "الإنسانية"، ورَكّز بدلا عن ذلك على ضرورة تفعيل الجهود الدبلوماسية لحل الأزمة؛ وبعيدا عن الأطروحة التي ترى في أن النظام المستهدف هو من جعل موقف الاتحاد يبدو استثنائيا (على أساس أن القذّافي اضطلع منذ أمد بعيد بصورة المموّل والعقل المدبّر الأيديولوجي للاتحاد)، بعيدا عن ذلك، تبرز مقاربة "الأقلمة" Localization (تترجم أحيانا بـ المسايقة) كمرتكز لتفسير ردود فعل الاتحاد تجاه التدخل الدولي الإنساني في ليبيا.[453]

الأقلمة هي نتاج لـ "ثقافات أمنية متنوعة" Divers security cultures تسعى لإدماج المعايير العالمية المرتبطة بـ "السيادة المسؤولة" وربطها بـ "هندسة الأمن الإقليمي"، بمعنى أن الجهات الإقليمية الفاعلة لا تدحض أو تقبل بسهولة المعايير العالمية الجديدة، بل أنها في غالب الأحيان تعمل على تكييفها استنادا للمعطيات المحلية، أي تعديلها أو تشذيبها Pruning حتى تكون أكثر استجابة لاحتياجات الداخل[454]، وفي الحالة الليبية وفّر خطاب R2P بيئة مناسبة للطعن، التعديل وإعادة التفسير.

يرى بيتر كاتزنستاين Peter Katzenstein أن المصالح الأمنية للدول لا يتم تعريفها وفق عوامل مادية فقط، بل يمكن للاعتبارات الثقافية أن تساهم في ذلك، فالدول على أساس أنها هيكل مادي ومعنوي تستجيب لمحفزاتٍ عابرة للحدود، وفي ذلك تستدعي عملية تنمية الأمن الثقافي الإقليمي مراعاةً قصوى لاحتمالات التعقيد الذي تطرحه مستويات التحليل: العالمية، الإقليمية والوطنية (على مستوى الدولة) و

---

453 - Theresa Reinold: **«Africa ‘s emerging regional security culture and the intervention in Libya».** In : Aidan Hehir and Robert Murray (Ed) : « Libya : The responsibility to protect and the futur of humanitarian intervention ». Op. Cit, p 84.

454 - Amitav Acharya: **«How ideas spread: Whose norms matter ? Norm localization and institutional change in Asian regionalism ».** International organization. Vol 58, no 2(Spring 2004), p 241.

المحلية (على المستوى المجتمعي)[455]، فخلال حقبٍ متعاقبة كان يُنظر إلى القانون الدولي في "هيكل التنظيم المعياري العالمي" على أنه مجرد صياغة قدّمت بشكل بخيل قواعدا لتنظيم التعايش السلمي بين الدول ذات السيادة، غير أنه وفي العقود الماضية وقف العالم على تطور دراماتيكي متسارع لم يشمل القانون وحده، بل امتد إلى مطالبات موضوعية للعديد من القضايا التي تتصادم بشكل مباشر مع قناعات داخلية للدول السيادية، فبواسطة بناءٍ مثالي لـ "الحكم الراشد" Good governance دفع القانون الدولي إلى تجانس Homogenization بين الدول القائمة وفق مخطط ديمقراطي ليبرالي مقترح من الغرب؛ غير أن هذا "التجانس" غير متوقع من الناحية العملية لأن استقبال القيم الغربية على الصعيد الإقليمي عادة ما يتم وفق " ديناميكية محاكاتية" Mimetic dynamic، أي يعاد بناءها حتى تتوافق مع الأولويات الإدراكية والهوياتية، وفي هذا المسار فإن المعايير التي تتسق مع التقاليد الأصيلة للسكان تحظى بفرصة أفضل في الإدماج من نظيراتها التي تفتقد لهذا التطابق، أما إذا كان المعيار العالمي يتناقض مع التوجهات و المعتقدات الإقليمية فسيُرفض أو " يُقلّم" حتى يكون متوافقا بدرجة منخفضة مع القيم .[456]

يعكس نهج الاتحاد الإفريقي تجاه R2P أجندة تحررية مناهضة للاستعمار، فبينما تستمر القارة في محاكاة جزئية للمعاير الغربية ذات الصلة بالدولة الشرعية والحكم الراشد، تستنبط في ذات الوقت مقاربة "حلول إفريقية لمشاكل إفريقية" African solutions to African problems، فمن الأفكار الدافعة لتأسيس الاتحاد الإفريقي، وقبله منظمة الوحدة الإفريقية، أن إفريقيا قادرة بنفسها على حل مشاكلها لمنع القوى الأجنبية من استغلال مواطن الضعف الداخلي، وهذا المفهوم كان جزءا من الفكر السياسي الإفريقي منذ خمسينات القرن الماضي، وقد حظي بتأييد العديد من المفكرين الأفارقة، لا سيما أولئك الذين ناضلوا من أجل التحرير (فرانتز فانونFrantz Fanon، كوامي نكروما Kwame Nkrumah، جوليوس نييريري Julius Nyerere، سيكو توريSekou Toure ، كينيث كوندا Kenneth Kaunda، إدوارد موندلان Edward Mondlane، ندابانينغي سيثول Ndabaningi Sithole، نيلسون مانديلا Nelson Mandela وَ توم مبويا Tom Mboya)؛ كانت هذه الرؤية ضربًا مما وصفه المفكر الكيني في الستينات "علي مزروعي" Ali Mazrui بالـ Pax Africana [457]، وفي ذلك يقول الإمبراطور الإثيوبي هايلي سيلاسي

---

455 - Peter Katzenstein: **«Introduction: Alternative perspectives on national security»**. In : Peter Katzenstein : « The culture of national security : Norms and identity in world politics ». New York : Columbia university press, 1996, p, p 1, 12.

456 - Theresa Reinold: **«Africa ‘s emerging regional security culture and the intervention in Libya».** Op. Cit, p 86.

457 - Samuel M. Makinda and F. Wafula Okumu: **«The African union: Challenges of globalization, security and governance».** London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1st published, 2008, p 78.

Hailé Sélassié " نحتاج إلى منظمة من شأنها أن تُيسّر التوصل إلى حلول مقبولة للخلافات بين الأفارقة"؛ فـ "مفهوم التحرر من الوصاية الغربية" وَ "بناء هوية إقليمية حول إيديولوجية عموم إفريقيا Pan–Africanism " جزءان أساسيان من الثقافة الأمنية الناشئة في الاتحاد الإفريقي، ومن أجل بناء مستقبل أكثر إشراقا يجب دعم وتثبيت الحركات الإفريقية التي تدافع عن الهوية الثقافية (الزّنوجة Negritude وَ القوة السوداء Black power*) ورفضٍ ثوري لكل محاولة طمس لها، وإن انطوى الأمر على تشكيل " لفياتان إفريقي" African Leviathan في شكل منظمة أو جمعية. [458]

تستهدف الأقلمة تشكيلةً متنوعة من الأغراض، لعل أهمها ما بات يعرف في علم العلاقات الدولية بـ "الموازنة اللينة" Soft balancing والتي تأمل في منع الأقوى من طرح قوانين تفرض رؤاه وقواعده على الأضعف، ومن هذا المنظور الأقلمة في العالم النامي هي إستراتيجية لموازنة القوة مع الغرب، أين تعمد المنظمات الإقليمية إلى دعم تماسكها الاجتماعي بتحوّلها إلى "مجتمعات قِيمة"Value communities.[459]

برز السوداني فرانسيس دنغFrancis* Deng كـ "صوت جنوبي" Southern voice، في إطار مناقشات "اللجنة الدولية المعنية بالتدخل وسيادة الدول"، مستحدثا إطارا توجيهيا للمجتمع الدولي عُرف بمفهوم " العقد الاجتماعي المزدوج" Dual social contract بين كل حكومة ومواطنيها، وبين الدولة الأمة والمجتمع الدولي، فإذا تبيّن فشل الحكومة في أداء دورها في العقد الاجتماعي تصبح مطالباتها بـ " الحصانة السيادية" Sovereign immunity لاغية، وبالتالي "مسؤوليات السيادة هي أفضل ضمان للسيادة". [460]

---

* . القوة السوداء والزّنوجة: تياران فكريان يبحثان عن تأصيل لمعنى وأساس الهوية الإفريقية، ورفض النظرة الدونية اللونية، وهي تعبير عن عدم الاقتناع بمكانة ووضع الرجل الأسود، من أهم أعلامها: ليوبولد سنغور Léopold Senghor، شيخ أنتا ديوب Cheikh Anta Diop، لمين دياكاتي Lamine Diakhate، انظر : باسم رزق مرزوق: " **الهوية الإفريقية في الفكر السياسي الإفريقي**". القاهرة: دار المكتب العربي للمعارف للنشر والتوزيع، 2015، ص، ص 132، 137.

458 - Theresa Reinold: **«Africa 's emerging regional security culture and the intervention in Libya».** Op. Cit, p 96.

459 - Ibid, p87.

* . تحصل فرانسيس دنغ على شهادة الدكتوراه من جامعة يال Yaleللقانون سنة 1967، وكانت جل كتاباته تتمحور حول شواغل الهوية، وخصوصا التحديات الثقافية لقبيلة " الدينكا" Dinka التي ينحدر منها، تولى عدة مناصب في منظمة الأمم المتحدة وفي الحكومة السودانية. لمزيد من المعلومات راجع:

William Twining : **« Human rights, Southern voices : Francis Deng, Abdullahi An-na'im, Yash Ghai and Upendra Baxi ».** Cambridge : Cambridge university press, 1st published, 2009, chap 2.

460 - Theresa Reinold: **«The responsibility to protect – much ado about nothing ?»**. Review of international studies. Volume 36, issue 51 (Evaluating global orders), October 2010, p60.

ألقت هذه التطورات بظلالها على مؤتمِري قمة سرت 2001 (إعلان قيام الاتحاد الإفريقي) والتي تُعدُّ بمثابة نقطة تحول في المنظور الإفريقي للعقيدة الأمنية، أين تم الانتقال من ثقافة شاملة رسّخها مغالون في النزعة عدم التدخلية إلى ثقافة بديلة آمنت باحترام مبدأ عدم التدخل شرط إضافة قيمة تكميلية عُرفت بـ "مذهب عدم جواز اللامبالاة" The doctrine of non-indifference، وفي ذلك لم تعد القارة الإفريقية تنأى بنفسها عن تنامي أنشطة الوساطة ومراقبة الانتخابات وتزايد دعاة مؤيدي التدخلات الديمقراطية وعمليات حفظ السلام على أساس واجب حماية المدنيين؛ وقد قامت البنية الجديدة لأمن القارة على دعامتين أساسيتين: السياسة الأمنية والدفاعية الإفريقية المشتركة CADSP (عام 2002) وَ مجلس السلام والأمن PSC (عام 2004) بوصفه هيئة صنع قرار تمنع، تُدير وَ تحل الصراعات وتضطلع أعضاءه الخمسة عشر بصون السلم والأمن في القارة الإفريقية؛ إضافة لاستحداث "النظام القاري للإنذار المبكر CEWS "، هيئة الحكماء The panel of the wise، لجنة الأركان العسكرية، فضلا عن القوة الاحتياطية الإفريقية ASF.[461]

تماشيا مع هذه التغييرات الثورية، والتي تعد المادة الرابعة الفقرة ح من الميثاق التأسيسي للاتحاد أحسن تجسيد لها، أعادت الدول الإفريقية تأكيد التزاماتها تجاه R2P في تقرير عُنون بـ "الموقف الإفريقي المشترك بشأن الإصلاح المقترح لمنظمة الأمم المتحدة"، أو ما عُرف بـ "توافق إزيلويني" consensus Ezulwini مارس 2005، أين ألقى هذا الموقف الضوء على مسائل متّصلة بفيروس نقص المناعة، الفقر، الديون، التدهور البيئي، المفاوضات التجارية وكذا مسؤولية الحماية وبناء السلام وحفظه، وفي ذلك قدّم مجلس الأمن إشارة إلى بعض الحالات التي يُخوّل فيها للمنظمات الإقليمية أن تتدخل باسم حقوق الإنسان دون الحاجة إلى موافقته.[462]

غير أن " تيريزا رينولد" Theresa Reinold تعتقد أن هذه التطورات تجاه R2P لا تعدو أن تكون خطبا رنانة High-sounding إذ لم تواكبها أفعال ولم تتحول بشكل واضح إلى جزء من ثقافة الأمن في الاتحاد الإفريقي، وهذا ليس مفاجئا على منظمة لها سوابق في عدم الالتزام بواجباتها تجاه حماية المدنيين (أزمة دارفور)، كما أبانت عن عدم استعداد للتعاون مع المجتمع الدولي حين رفضت تسليم الرئيس السوداني عمر البشير إلى المحكمة الجنائية الدولية ICC International criminal court؛ ومن ثَمّ فإن مبدأ عدم

---

461 - Theresa Reinold: **«Africa 's emerging regional security culture and the intervention in Libya».** Op. Cit, p, p 93,94.

462 - Timothy Murithi: **«The African union as an international actor»**. In : Jack Mangala (Ed) : « Africa and the new world era : From humanitarianism to a strategic view ». U.K : Palgrave Macmillan, 1st published, 2010, p196.

التدخل مازال الأكثر سموا في علاقات إفريقيا بالعالم الخارجي، وما قام به الاتحاد الإفريقي هو "تفسير خاص جدا" Very peculiar interpretation لـ R2P يتضمن تقليص قاعدة عدم التدخل لصالح الحق في التدخل الذي يتحمله الاتحاد الإفريقي دون عموم المجتمع الدولي، و تعكس نسخة القراءة الإفريقية هذه تناقضا واضحا مع المادة 103 من ميثاق الأمم المتحدة التي تنص على تغليب الميثاق عن باقي المعاهدات الدولية، بما فيها القانون التأسيسي للاتحاد الإفريقي.[463]

تركت الإبادة الجماعية في رواندا رواسبًا وصورا مؤلمة في الوعي الإفريقي، إذ نمت قناعة جذرية بأن الأمم المتحدة لا يمكن الاعتماد عليها لحماية المدنيين الأفارقة، من جهة أخرى كان الانتشار السريع للأنظمة النيوباتريمونيالية* Neopatrimonial regimes دورا في تخفيض معايير R2P من خلال تغليبها لاعتبارات أمن النُّظم على حساب الأمن البشري، وقد فرضت هذه الاعتبارات نفسها على مواقف الاتحاد من الأزمة في ليبيا، فمع بداية الأحداث وصف رئيس زمبابوي منذ 1987 روبرت موغابي Robert Mugabe رد الفعل النظامي تجاه الجماهير الليبية بـ "سقطة أليفة" Domestic hiccup، في حين دافع رئيس أوغندا منذ سنة 1986 يويري ميسيفيني Yoweri Musevini عن القذّافي واصفا إياه بـ " الوطني الحقيقي" True nationalist، ورغم ما يظهر من موجة تعاطف فأن أغلبية القادة الأفارقة باتوا مقتنعين باستحالة الدفاع عن نظام القذّافي من الناحية السياسية، لذلك سارع مجلس الأمن والسلم الإفريقي PSC إلى إصدار بيان أدان فيه العنف، ودعا الحكومة الليبية إلى التكفل بحماية مواطنيها، كما عبّر عن تعاطفه مع تطلعات الشعب الليبي للديمقراطية والإصلاح دون أن يمس ذلك سلامة ليبيا الإقليمية، واللافت أن قرار مجلس الأمن 1970 في 26 فيفري 2011 (والذي أحال بالإجماع الأوضاع في ليبيا إلى المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية بغية التحقيق فيها) قد صوّتت عليه ثلاثة بلدان إفريقية (جنوب إفريقيا، نيجيريا وَ الغابون)، رغم ذلك كان الاتحاد الإفريقي مصمّما على أنْ لا تكون القوى القارية خارج جهود حل الأزمة، فقام بإصدار بيان في 10 مارس بشأن إنشاء لجنة مختصة رفيعة المستوى مكلّفة بالبحث عن حل دبلوماسي للصراع.[464]

---

[463] - Theresa Reinold: **«Africa ‘s emerging regional security culture and the intervention in Libya».** Op. Cit, p, p 94,97.

* . يعود أصل هذا المفهوم إلى عالم الاجتماع " ماكس فيبر" الذي ميّز بين فئتين من نظم الحكم: الحكم الرأسمالي الحديث الذي يقوم على العقلانية الاقتصادية الرأسمالية، والنظام الباتريمونيالي الذي يستمد مشروعيته من التقاليد والوراثة، انظر: أديب نعمة: " **الدولة الغنائمية والربيع العربي**". بيروت: دار الفارابي، ط1، 2014، ص 105.

[464] - Theresa Reinold: **«Africa ‘s emerging regional security culture and the intervention in Libya».** Op. Cit, p, p 98, 99, 100, 101.

مع إصدار مجلس الأمن للقرار رقم 1973 كان الاتحاد الإفريقي أمام حتمية استحضار النقاشات حول قواعد "التناسب" Proportionality ،"الضرورة" Necessity و" النية السليمة" Right intention وتأويل القرار 1973 في ما إذا كان يستهدف فعلا حماية المدنيين و يستبعد صراحة تغيير النظام، و رغم تطمينات غاريث إيفانز Gareth Evans (وزير خارجية أستراليا وأحد محرري ICISS) بأن R2P لا يمكن أن تكون ذريعة لتغيير النظام، على أساس أن الديمقراطية مطلب لا يمكن أن يحققه إلا الشعب الليبي نفسه[465]، ظل الاتحاد الإفريقي رافضا ومتوجّسا من المعايير المزدوجة في تطبيق R2P، فلماذا يتدخل الناتو في ليبيا دون اليمن أو البحرين؟ ناهيك عن الريبة التقليدية من أن دافع الغرب للتدخل لم يكن حماية المدنيين، بقدر تأمين إمدادات النفط الشاسعة في ليبيا؛ ومن الجدير بالذكر أن الأزمة الليبية أبانت على أن الاتحاد الإفريقي ليس بكتلة متراصّة فيما يخصّ التعاطي مع نهج موحّد تجاه مقاربة R2P، فرئيس رواندا بول كاغامي Paul Kagame انتقد الاستجابة الفاترة للاتحاد إزاء إراقة الدماء في ليبيا.[466]

إضافة للتأثير المالي والأيديولوجي الذي مارسه القذّافي على هذه المنظمة القارية، فإن الاتحاد الإفريقي عانى من نقص مزمن في هيكل السلم والأمن، مما اضطره ذلك إلى الاعتماد على وسائل دبلوماسية لحل الأزمة، غير أن مفهوم "الأمن الثقافي الإقليمي" يبقى في واجهة الردود والحجج التي تصوغها هذه المنظمة لمواجهة الأخطار التي تهدد الأمن الدولي.

الفرع 3 . هل نجحت الإنسانية في ليبيا؟

يستند السرد الغربي المشترك للأحداث في ليبيا إلى أن القذّافي هدّد صراحة بضرب المدنيين في بنغازي، وما انتشار قواته على بوابات المدينة إلا مؤشر قوي على نوايا ارتكاب مذبحة وشيكة Imminent bloodbath؛ وفي ذلك افتخر المندوب الأمريكي الدائم لدى الناتو إيفو دالدير Daalder Ivo "عملية حلف الأطلسي في ليبيا كانت بحق نموذجا للتدخل، فالتحالف استجاب بسرعة للتدهور الذي هدّد حياة مئات الآلاف من المدنيين، لا ذنب لهم سوى أنهم تمردوا على نظام قمعي، لقد نجحت (العملية) في حماية المدنيين"[467]، غير أن دلائل قوية تشير إلى وجود أخطاء وعدم موضوعية في هذا السرد، فالوقائع والتقارير تتحدث على أن غالبية المتمردين كانوا مسلحين ويستهدفون المباني الحكومية في بنغازي، البيضاء وَ

---

[465] - Charles William Kegley and Shannon Lindsey Blanton: **«World politics: Trend and transformation»**. U.S.A : Wadsworth Cenage Learning, update edition, 2013, 2014, P159.

[466] - Theresa Reinold: **«Africa 's emerging regional security culture and the intervention in Libya».** Op. Cit, p, p103, 104.

[467] - Ivo H. Daalder and James G. Stavridis: **«NATO's victory in Libya: The right way to run an intervention».** Foreign affairs. March / April 2012, Volume 91, number 2, p2.

مصراتة، في حين أن رد القوات الحكومية على ذلك كان بقوة غير مميتة (الرصاص المطاطي وَ خراطيم المياه)، كما أن بعض القنوات العالمية مثل BBC اضطرت للاعتراف بأنها كانت ضحية دعاية مناهضة للحكومة الليبية عقب بثها صور عنف ثبتَ أنها كانت قبل عام من بداية الأحداث، وفي الوقت الذي استندت فيه القوات التدخلية إلى معاينات طبيب فرنسي قدّر عدد القتلى في بنغازي وضواحيها بأكثر من ألفي قتيل، فإن منظمة "هيومن رايتس واتش" وثّقت سقوط 233 شخص فقط في جميع أنحاء ليبيا، وفي الأسابيع السبعة الأولى من الأزمة أكدّت ذات المنظمة أن 949 شخص أصيبوا في مدينة مصراتة، منهم 22 امرأة وثمانية أطفال، ما يعني أن الحكومة كانت تميّز في استهداف المتمردين الذين كان غالبيتهم من الذكور، ومما يدعم فرضية تجنب الحكومة استخدام القوة المفرطة هو توثيق المرافق الطبية وقوع 257 قتيل (بين متمردين وقوات حكومية) في مدينة تعدادها السكاني أكثر من 400000 نسمة، أي 0.0006 بالمائة، وحتى أن اللواء 32 (بقيادة خميس ابن القذّافي) لم يلجأ إلى استخدام القوة العشوائية واستهداف المدنيين في مدينة الزاوية التي سيطر عليها المتمردون بعد ثلاثة أيام، بمعنى أن القوة لدى الحكومة الليبية كانت استثناء وليست قاعدة؛ من جهة أخرى أشار تقرير للأمم المتحدة أن المرأة لم تشكّل سوى واحد بالمائة من ضحايا العاصمة طرابلس، والملاحظ أنه في الفترة بين 5 و15 مارس نجحت القوات الحكومية في استرداد غالبية المدن الرئيسية التي سيطر عليها المتمردون (الزاوية، بني وليد، راس لانوف، بريقة، أجدابيا وَ معظم مصراتة) ولم يتم تسجيل أي حالات استهداف من النظام للمدنيين بغرض الانتقام، ولم تكن هناك أي مؤشرات على وقوع مذبحة بسبب دعمهم السابق للمتمردين[468]؛ وبدلاً من السعي إلى وقف إطلاق النار قدّم الناتو وَ حلفاءه المساعدة للمتمردين الرافضين للمسار السلمي والطامحين للإطاحة بـ القذّافي، ما يعني توسيع دائرة الحرب وتضاعف إمكانية إلحاق الضرر بالمدنيين، وهو ما يتعارض مع مقصد الأمم المتحدة من التفويض للتدخل، والذي يستثني بشكل صريح أي تواجد لأي قوة احتلال أجنبي، مهما كان شكلها، وعلى أي جزء من أجزاء الإقليم الليبي Excluding a foreign occupation force of any form on any part of Libyan territory[469]، غير أن الأدلة تجتمع لتؤكد أن إسقاط القذّافي كان هو غاية الناتو من التدخل في ليبيا، ففي 4 مارس أعلنت بريطانيا أنها سترسل خبراء عسكريين لتقديم المشورة للمتمردين شرق ليبيا، كما وافقت الولايات المتحدة على تقديم مساعدات للمتمردين، في حين قامت قَطَر

---

[468] - Alan J. Kuperman: **«NATO's intervention in Libya: A humanitarian success ?»**. In : Aidan Hehir and Robert Murray (Ed) : « Libya : The responsibility to protect and the futur of humanitarian intervention ». Op. Cit, p, p 192, 193, 195,196.

[469] - Michael Byers: **«International law and the responsibility to protect»**. In : Ramesh Thakur and William Maley : « Theorising the responsibility to protect ». Cambridge : Cambridge university press, 1st published, 2015, p112.

بشحن صواريخ فرنسية مضادة للدبابات إلى المتمردين، وقد صرّح رئيس الأركان القطري بأن مئات القطريين متواجدين على أرض المعارك، يتولّون التدريب وتنسيق عمليات الاتصال بين المتمردين، أما فرنسا فمن مساهماتها الميدانية إسقاط أسلحة إلى القوات المعارضة غرب ليبيا؛ زيادة على هذا فإن استهداف مدينة سرت، الداعمة للنظام والتي لا تعرف احتجاجات مناوئة، قد أعطى صورة أكثر وضوحا عن الأهداف المرتجاة من التدخل.[470]

نظرا لحجم المعونات العسكرية التي قدمها الناتو وَ حلفاءه للمتمردين في ليبيا، اكتسب المجلس الوطني الانتقالي جرعة ثقة دفعته لرفض وساطة فنزويلا التي قبل بها القذّافي، وفي 11 أفريل وافق النظام الليبي على اقتراح الاتحاد الإفريقي القاضي بوقفٍ لإطلاق النار يعقبه حوار وطني، بيد أن المتمردين رفضوا أي محادثات في ظل بقاء الرئيس الليبي في السلطة، وفي 26 ماي عرضت الحكومة الليبية ليس مجرد وقف لإطلاق النار، بل مفاوضات من أجل تعويض الضحايا والتوصل إلى حكم دستوري جديد، غير أن المتمردين مالوا مرة أخرى لخيار الحرب.[471]

عرفت ليبيا عقب تدخل الناتو إحباطات متكررة، فمع عدم اكتمال نجاح العملية الانتخابية شنّ المتمردون عشرات من عمليات القتل الانتقامية والتعذيب والاحتجاز التعسفي لأنصار القذّافي، ناهيك عن تهجير ثلاثين ألف من سود التاورقة Thawerga أو حرق ونهب منازلهم و محلّاتهم التجارية على أساس الاشتباه في أن بعضهم عمِل كمرتزقة لدى الحكومة السابقة؛ ومن المفارقات أن هذا التطهير العرقي لم يحدث بنفس الحدة في ليبيا القذّافي، على الأقل خلال العقد الأول من القرن الواحد والعشرين؛ من جهة أخرى ألقت المنافسات القبلية بثقلها على وحدة الإقليم الليبي، حيث تعالت الأصوات، خاصة في المناطق الغنية بالنفط، التي تطالب بالانفصال أو الحكم الذاتي؛ و في خضّم ذلك نجحت الجماعات الراديكالية في التغوّل داخل عديد من المناطق، وتبنّت مليشيا أنصار الشريعة قتل السفير الأمريكي كريستوفر ستيفنز Christopher Stevens في بنغازي.*

ترتب عن التدخل في ليبيا "إغراق للجوار" Regional spillover، خاصة شمال مالي، وبدرجة أقل بوركينا فاسو والنيجر، وقد حازت جماعة "بوكو حرام" Boko haram المتمركزة في نيجيريا على مئات

---

[470] - Alan J. Kuperman: **«NATO's intervention in Libya: A humanitarian success ?»**. Op. Cit, p, p197, 198.

[471] -Alan J. Kuperman: **«NATO's intervention in Libya: A humanitarian success ?»**. Op. Cit, p198.

* . راجع في ذلك:

Horace Campbell : **« Global NATO and the catastrophic failure in Libya : Lessons for Africa in the forging of African unity ».** New York : Monthly review press, 2013.

الأسلحة من الترسانة الحربية الليبية، كما عُثر في الجزائر ومصر على مئات الصواريخ المُعَدَّة لأعمال تخريبية، وحتى قراصنة الصومال كان لهم نصيب من مخزون الأسلحة.

شجّع تدخل الناتو في ليبيا، ولو بطريقة غير مباشرة، على عسكرة الانتفاضة السّورية، أين حذا الأمل بعض المتظاهرين في أن تكون لهم جاذبية مماثلة، بيد أن ذلك أدى إلى تفاقم موجات العنف وتحويل الانتفاضة السورية عن مسعاها السلمي، لذلك جزء غير يسير من حصيلة القتلى في سوريا يعتبر نتاجًا لتدخل حلف شمال الأطلسي في ليبيا.[472]

إذًا، اتّضح أن قوات القذّافي لم تستهدف المتظاهرين المسالمين، وعلى نطاق ضيق كانت عملياتها موجّهة صوب المحتجين المسلحين؛ و سوء تقدير الناتو للوضع الميداني في ليبيا كان بفعل معلومات غير دقيقة ومفاهيم متحيزة وحملات دعائية متفق عليها مسبقا، ففي 14 مارس حذّر سليمان بوشويقير (رئيس الرابطة الليبية لحقوق الإنسان بسويسرا) من أن السماح لقوات القذّافي بمهاجمة بنغازي ستنتج عنه مجزرة شبيهة بمجزرة رواندا، والملاحظ أنه في الأسبوع السابق لهذا البيان الصحفي لم يحدد موقع Lexis/Nexis سوى 19 مقالا إخباريا باللغة الإنجليزية يتضمن عبارات "حمام دم Bloodbath " و "بنغازي Benghazi "، غير أنه بعد هذا التصريح صعد هذا الرقم إلى 171 مقال إخباري، وبعد نهاية حكم القذّافي تم مكافأة بوشويقير بتعيينه سفير ليبيا لدى سويسرا. [473]

ينبغي لأي تدخل إنساني تجنّب تقديم يد العون للمتمردين، لأن ذلك من شأنه أن يطيل حالة التمرد وما يترتب عنها من معاناة المدنيين، ليس في البلد المستهدف فقط، بل في دول أخرى، فعلى نقيض رواندا التي تمّ استهداف المدنيين فيها عمدا ما جعل التدخل مبررا، فإن ليبيا لم تكن فيها أي بوادر تهديد حقيقي للمواطنين، ما يعني أن الناتو صنع مثل ما أسهم في إدامة حرب أهلية لم تكن لها أي مبررات إنسانية؛ خاصة أن التدخل في ليبيا الذي قاد إلى تغيير النظام سنة 2011 لم يكن الاستثناء، ففي 04 أفريل قادت فرنسا مدعومة بالأمم المتحدة حملةَ تدخل في كوت ديفوار لمساعدة المتمردين على الإطاحة بالرئيس لورانت غباغبو Laurent Gbagbo[474]، وبالمثل استدعت الولايات المتحدة في أوت 2011 ذات الأسباب الإنسانية لمطالبة تنحي بشار الأسد من السلطة، منسّقة مع حلفائها: قطر، السعودية وَ تركيا لتسليح المتمردين.

---

472 - Alan J. Kuperman: **«NATO's intervention in Libya: A humanitarian success ?»**. Op. Cit, p, p 211, 212.

473 - Ibid, p 214.

474 - Martin Binder: **«The United Nations and the politics of selective humanitarian intervention»**. U.K : Palgrave Macmillan, 1st published, 2017, p203.

المطلب 2 . معضلة التدخل الإنساني في سوريا ومستقبل مسؤولية الحماية

نظرا للتقديرات الهائلة عن القتلى والنازحين الناجمة عن الأزمة في سوريا، فإن الوضع هناك يبدو وكأنه حالة نموذجية لتطبيق R2P، لكن المجتمع الدولي نادرا ما بلغ درجة من اللاتوافق حول التدخل العسكري مثل ما حدث في حالة سوريا، ليس فقط بسبب الحضور النّشط لروسيا والصين في الأمم المتحدة، شأنها في ذلك شأن دول BRICS، بل حتى بسبب غياب "الحماس المعهود" لدى الولايات المتحدة والمملكة المتحدة إزاء مثل هذه المآسي، فما هي حقيقة المعارضة الدولية للتدخل الإنساني في سوريا؟ هل يرجع الأمر إلى دروس مستفادة من التدخل في ليبيا؟ أم أن المصلحة الجيو . سياسية قد انتصرت على حساب الضمائر الإنسانية التي لطالما رُوّج لها في مناسبات سابقة؟.

الفرع1 . الأزمة السورية الناشئة والانتقال من المسؤولية عن الحماية إلى المسؤولية أثناء الحماية

تم تصميم R2P كجسر يرأب الصدع بين سلوك التدخل الدولي من جانب واحد من جهة، والعجز في مواجهة الفضائع المرتكبة داخل حدود الدولة من جهة ثانية، وفي ذلك تبرر R2P التدخل و تجيزه كملاذ أخير؛ أي عندما يثبتُ قطعًا فشل الدول، لكن ما ترتّب عن هذا المعيار من تغيير للسلطة في ليبيا جعله مثار جدل كبير، فتبعات سقوط القذّافي لم تتعارض فقط مع هذا المبدأ، بل جسّدت أسوأ مخاوف النقاد وهزّت ثقة من ارتأى الوقوف على الحياد تجاه فلسفة وتطبيقات R2P، ولعل السبب الكامن وراء تنامي الفيتو المزدوج Double–veto الروسي وَ الصيني تجاه أزمة سوريا هو اقتناع القوتين بأن وثيقة "مسؤولية الحماية" لا تخدم إلا أجندة الغرب؛ وفي ظل مأزقٍ غير مسبوق تعاني منه منظمة الأمم المتحدة تجاه سوريا، لم يكن من المستبعد أن تتحرك قوى أخرى ، مثل البرازيل، في محاولة لردم الهوة بين دعاة R2P و منتقديها؛ عُرفت المبادرة البرازيلية باسم "المسؤولية أثناء الحماية" responsibility while protecting RWP ، ومثلما فُسّرت على أنها محاولة لتحريك الجمود السياسي في المنظمة العالمية، أثيرت أسئلة حول علاقتها بـ "المسؤولية عن الحماية" ، هل RWP رد فعل مناوئ يهدف لدحر R2P ؟ أم أنها مجرد خطوة لتحسين تنفيذها؟.[475]

في كلمة لها أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة (21 سبتمبر 2011) وفي خضمّ الجدل حول ما نتج عن التدخل في ليبيا وكذا الأزمة الناشئة في سوريا، اتخذت رئيسة البرازيل ديلما روسيف Dilma Roussef موقفا مفاده أن الكثير قد قيل عن "المسؤولية عن الحماية" لكن لم يكن هناك اهتمام موازي بـ "المسؤولية

---

[475] - Yang Razali Kassim: «**The geopolitics of intervention: Asia and the responsibility to protect».** Singapore : Springer, 2014, p, p 1,2.

أثناء الحماية" رغم أن المفهومان يجب تطويرهما جنبا إلى جنب Must be developed together، وفي 09 نوفمبر توسّعت المقاربة البرازيلية إلى طرح مذكرة في مجلس الأمن من طرف الممثل الدائم لدى الأمم المتحدة ماريا لويزا فيوتيMaria Luiza Viotti والتي تضمّنت إشارات عن "توأمة" Twinning بين RWP وَ R2P.[476]

تستند المقاربة البرازيلية إلى الاعتقاد بأن R2P لا تضمن أي معايير بشأن استخدام القوة، وأن قرارات الأمم المتحدة (مثل القرار 1973 الخاص بليبيا) هي في حقيقتها "تفويض موسّع" Expansive mandate تعطي للمخطّطين العسكريين والسياسيين مجالا واسعا لتصميم العمليات العسكرية، فعبارات أممية من قَبِيل "بكل الوسائل المتاحة" By all available means قد تنطوي على عواقب خطيرة بالنسبة لمدة وفعالية القتال، بل أنها قد تكون ضارة بأهداف R2P، لذلك أكدت البرازيل على أن RWP عبارة عن "خط متشدد من التبعية السياسية والتسلسل الزمني" A strict line of political subordination and chronological sequencing؛ بعبارة أخرى ظهرت البرازيل حريصةً على رصد مجلس الأمن وزيادة الرقابة السياسية على المهام العسكرية التي تُسند لقوات إقليمية مثل الناتو.[477]

إن مفتاح الحل في المستقبل يبدأ بالاعتراف بأخطاء الماضي، ففي حالة ليبيا بدأت المعضلات تطفو حين تبيّن أن الدول الثلاث P3 دائمة العضوية في مجلس الأمن (الولايات المتحدة، المملكة المتحدة، فرنسا) لن ترضى بأي مكسب أقل من تغيير النظام، في حين حاججت دول مجموعة BRICS (جميعها كان ممثلا في المجلس حينها) أن ما جرى تجاوز للتفويض المحدود بحماية المدنيين، لا سيما عندما رفضت P3 مناقشة مختلف مبادرات السلام التي طرحها القذّافي؛ في الحقيقة لقد شعر هؤلاء بالخيبة والإقصاء.[478]

في المذكرة الواردة إلى الأمم المتحدة، والمؤرخة بيوم 09 نوفمبر، أدرج المفهوم البرازيلي حزمة من المعايير والإجراءات Parameters and procedures الواجب حدوث توافقٍ عليها: (أ) . الدبلوماسية الوقائية والاحترازية Prevention and preventive diplomacy، (ب) . الجدية في الدفع بالوسائل السلمية، (ج) . استخدام القوة، بما في ذلك مسؤولية الحماية، يجب أن يتم بعد إذن مجلس الأمن، (د) .

---

[476]- Yang Razali Kassim: **«The geopolitics of intervention: Asia and the responsibility to protect»**. Op. Cit, p3.

[477] - Daniel Fiott: **«The use of force and the third pillar»**. In : Daniel Fiott and Joachim Koops (Ed) : « The responsibility to protect and the third pillar : Legitimacy and operationalization ». U.K : Palgrave Macmillan, 1st published, 2015, p 135.

[478] - Gareth Evans: **«R2P down but not out after Libya and Syria»**. Available online at : www.opendemocracy.net/.../r2p-down-but-not-out-after-libya-and...,browsing history : 03 February 2017.

الإذن باستخدام القوة يجب أن يكون محدودا وبحكمٍ صارم من القانون الدولي (هـ) . يجب أن يترتب عن استخدام القوة قليل من العنف وعدم الاستقرار، (و) . استخدام القوة يجب أن يكون حكيما ومناسبا، يقتصر فقط على الأهداف التي حدّدها مجلس الأمن، (ز) . يجب مراعاة هذه المبادئ التوجيهية أثناء طول صلاحية مدة التفويض، (ح) . يكفل مجلس الأمن مساءلة من مُنحَ سلطة اللجوء إلى القوة.[479]

إضافة لذلك طرحت الصين مفهوما مماثلا بعنوان "حماية مسؤولة" Responsible Protection يهدف هو الآخر إلى مساءلة الجهات الفاعلة[480]، وهي مقاربة مستمدة من "المبادئ الخمسة" Five Principles التي طرحها زهو إنلاي Zhou Enlai (الوزير الأول) لدى استقباله وفد الحكومة الهندية في 31 ديسمبر 1953، هذه المبادئ تعرف على أنها حجر الزاوية في السياسة الخارجية الصينية: الاحترام المتبادل للسيادة وسلامة الأراضي، عدم الاعتداء المتبادل، عدم التدخل في الشؤون الداخلية للآخر، المساواة والمنفعة المتبادلة وَ التعايش السلمي، وفي ذات الوقت تبدو الصين دائمة الحذر في مسائل استخدام القوة خاصة إذا كانت هذه التدابير لا تحظى بدعم كامل من المنظمات الإقليمية والدولية ذات الصلة، رغم ذلك فقد سبق للصين أن أبدت تأييدها لقاعدة مسؤولية الحماية سواء في القمة العالمية 2005 أو بموجب قرار مجلس الأمن 1674 بشأن حماية المدنيين في الصراعات المسلحة. [481]

في سياق ما أفرزته الأزمة السورية من مواقف جد متباينة في المجتمع الدولي، شرع بعض الأكاديميين في التدقيق بمصطلح "صعود الشرق" The rise of the East، وبشكل مثير للجدل نظّر هؤلاء لاحتمالية ظهور Eastphalian'order بما أن الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والآخرون باتوا " الغرب القديم" Old West، فإلى جانب الصين، الدعامة الأساسية لنظام Eastphalia، تبرز الهند بقوة هي الأخرى، ففي اجتماع الأمم المتحدة (22 فيفري 2012) أنّب الممثل الدائم هارديب بوريHardeep Singh Puri المجتمع الدولي على التطبيق الانتقائي لـ R2P في ليبيا و سوريا، مشيرا إلى أن بعض الأعضاء تجاهلت تماما مبادرات وقف إطلاق النار، واستخدمت جميع الوسائل لتفجير الجحيم في ليبيا؛ يختم هارديب بالدعوة

---

479 - Yang Razali Kassim: **«The geopolitics of intervention: Asia and the responsibility to protect».** Op. Cit, p, p 3,4.

480 - Šárka Kolmašová: **«Pragmatic Revisionism and Responsibility to Protect in the Syrian Crisis»**. Paper to be presented at the 2016 CEEISA-ISA Conference in Ljubljana, p9.

481 - Peiran Wang: **«China and the third pillar».** In : Daniel Fiott and Joachim Koops (Ed) : « The responsibility to protect and the third pillar : Legitimacy and operationalization ». Op. Cit, p78.

إلى أن المسؤولية عن الحماية لا ينبغي بأي حال من الأحوال أن تكون ذريعة للتدخل الإنساني أو العمل الفردي. [482]

منحت الأزمة السورية لهذه القوى الناشئة في النظام الدولي مساحة من الاستقلالية لإيجاد توازن بين عزمها على تحدّي هيكل السلطة العالمية بهدف تغيير المؤسسات (المقاومة Resistance) وَ بين قوة دفع موازية للحفاظ على هذه المؤسسات على أمل جني ثمار السلوك المطيع Dutiful behaviour (الإذعان Acquiescence)، ويتماشى هذا مع التمييز الكلاسيكي بين "قوى مُشبعة وأخرى غير راضية Satiated and unsatiated powers"، "قوى مدافعة عن الوضع الراهن وقوى ثورية–Defenders of the status quo and revolutionary powers" أَو" دول وضع قائم و دول تعديلية Status–quo and revisionist states "؛ وهي صفات لا تُستثنى منها البرازيل على أساس أن مبادرة RWP جاءت بالتزامن مع سيطرة "التنمويين الجدد" Neo–desenvolvimentista على مفاصل السياسة الخارجية؛ هؤلاء دعوا إلى معالجة الخلل في الليبرالية الجديدة، و كذا ضرورة توزيع السلطة في النظام الدولي، بل امتد الأمر لدعوات واقعية كـ "تقسية القوة الناعمة البرازيلية" Hardening Brazil's Soft Power من أجل موازنة الهيمنة الأمريكية؛ برزت هذه الفكرة خصوصا مع صامويل غيماريش Samuel Pinheiro Guimarães في كتابه "خمسمائة عام على الهامش"Five hundred years on the periphery أين حذّر من أن الفكرة التي ارتسمت على البرازيل كبلد مسالم لن تكون لها قيمة دون تفعيل أداء وأدوار القوات المسلحة، لأن توجهات النظام الدولي تأذن ببوادر صراعات تتولى فيها هياكل الهيمنة Hegemonic structures استخدام القوة للسيطرة على الهامش. [483]

جُوبه المقترح البرازيلي، وما تخلّله من عدم التوصل إلى توافق في آراء أعضاء مجلس الأمن، بضغوط على P5 من أجل تقييد استخدام حق النقض في حالات انتهاكات جماعية ممنهجة ضد المدنيين؛ برزت في هذا حملة "مسؤولية لا للفيتو" Responsibility not to veto كمسعى إصلاحي لأساليب عمل المجلس، وعلى سبيل المثال، اقترحت فرنسا مدونة سلوك Code of conduct تتضمن هذا الميكانيزم، وهي الفكرة التي حظيت بتأييد "مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان" UNHCHR ومنظمة العفو

---

[482] - Yang Razali Kassim: **«The geopolitics of intervention: Asia and the responsibility to protect».** Op. Cit, p, p 43,45.

[483] - Jorg Husar: **«Framing foreign policy in India, Brazil, and South Africa: On the like-mindedness of the IBSA States»**. Switzerland : Springer International Publishing, 2016, p, p 53, 109, 110.

الدولية وَ هيومن رايتس واتش؛ إن تأييد هؤلاء للاقتراح ليس بجديد، بل أن مناقشته بدأت فعليا في التسعينات، غير أن الأزمة السورية جعلت الفكرة أكثر إلحاحا.[484]

يلخص الجدول التالي تداعيات الأزمات الأخيرة على مناقشات التدخل الإنساني ضمن مفهوم R2P، والمراجعات البارزة التي مسّت المفهوم عبر الدروس المستفادة في كل من ليبيا وسوريا:

	وضعية النموذج	**الدروس المستفادة**	**التداعيات التأسيسية على R2P**
ليبيا	فعل مع شرعية متنازع عليها	R2P لا تشمل تغيير النظام. شرعية سلوك التدخل تحتاج إلى إعادة نظر.	←اقتراح المسؤولية أثناء الحماية (RWP) ←فقدان التوافق بشأن تنفيذ الركيزة الثالثة
		التدخل العسكري يجب أن يكون استثناء (القاعدة X)	
سوريا	تقاعس غير مشروع	جوهر سياسات مجلس الأمن يُعنى بتنفيذ R2P. انتقائية على أساس احتمالات النجاح	← التركيز على الدعامة الأولى والثانية ←اقتراح ضبط الفيتو في مجلس الأمن

جدول رقم05: الآثار التأسيسية على R2P من دروس الأزمات في ليبيا وسوريا، المصدر:

Šárka Kolmašová : **« Pragmatic Revisionism and Responsibility to Protect in the Syrian Crisis »**. Op. Cit, p, p11, 12.

الفرع 2 . الولايات المتحدة والالتزام المقيّد

مثّل الوضع في سوريا تحدّيا خاصا للولايات المتحدة، فعلى عكس ليبيا ومصر أين لا تظهر مصلحة واضحة، تبدو سوريا ذات منفعة إستراتيجية حقيقية تدفع الولايات المتحدة الأمريكية لدعم تغيير النظام، فذلك من شأنه أن يُضعف النظام الإيراني وحزب الله في لبنان على حد سواء، غير أن الإدارة الأمريكية لم تراهن

[484] - Šárka Kolmašová: **«Pragmatic Revisionism and Responsibility to Protect in the Syrian Crisis»**. Op. Cit, p 11.

على بديل رأته على أنّه غير قابل للبقاء في ظل عدم تحمس مجمل المعارضة للتدخل الأجنبي[485]؛ هذه المعارضة تتسم بالتعقيد وعدم الوضوح، تحمل غالبيتها نظرة غير إيجابية تجاه القيم الأمريكية، ويبقى احتمال سقوط المساعدات الأمريكية بـ "أيد خاطئة"، تابعة لتنظيم القاعدة، قائما ومشروعا في حسابات الأمريكيين، فما كان في بادئ الأمر انتفاضة سلمية ضد حكم بشّار الأسد تحوّل إلى حرب أهلية مابين مذهبية Interconfessional civil war، لكن مع تقدّم أنشطة "تنظيم الدولة" ISIS في العراق وسوريا بدءا من 2014، تراجع باراك أوباما Barack Obama عن موقفه وطلب مبلغ 500 مليون دولار لمجموعات مختارة.[486]

قبل بداية الأزمة السورية حاولت الإدارة الأمريكية التقارب مع دمشق من باب الاقتناع أن سوريا قادرة على دفع عملية السلام بين إسرائيل و فلسطين، كما يمكن أن يكون هذا نوعا من الإغراء لجذب سوريا بعيدا عن "تحالف المقاومة المشؤوم" Ominous resistance alliance (في عرف الإدارة الأمريكية) مع إيران، حزب الله وَ حماس، وشملت هذه الخطوة تجنيد السيناتور جون كيري John Kerry (رئيس لجنة مجلس الشيوخ الأمريكي للعلاقات الخارجية) للالتقاء بشكل مباشر مع الأسد، وكذا استئناف العلاقات الدبلوماسية الكاملة مع تعيين روبرت فورد Robert Ford (جانفي 2010) كسفير للولايات المتحدة في سوريا، ومحاولاته تشجيع النظام على أداء دور بنّاء أكثر في المنطقة، خاصة في إسرائيل، العراق و لبنان.[487]

سوريا ليست ليبيا Syria is not Libya؛ تكررت هذه اللهجة التحذيرية بشدة في واشنطن، فلا مؤشرات على وجود صيغة نجاح للتدخل بعد ليبيا، ليس بسبب التعقيد الجيوسياسي الشرق أوسطي فقط، بل أيضا لإيثار الدولة المهيمنة اللعب على وتر الحتمية الثقافية The culturally deterministic النابعة من أفكار لغوية وأنثروبولوجية تُولّد نظرة "استثنائية" للمنطقة؛ مثلُ هذه الدراسات ركّزت على الثقافة، الدين، الأيديولوجيات وَ الذهنية العربية كموجّهة للتيارات الاجتماعية والسياسات الخارجية الشرق أوسطية؛ في كثير من الأحيان توسم هذه العوامل بـ "اللاعقلانية" Irrationality؛ وهي مؤشرات دائما ما كانت محل ريبة من الغرب، يَنظر إليها على أنها خطرة غير نزيهة و لا يمكن التنبؤ بها، بل أنها تشكل تهديدا للآخر (معرّفا بالغرب الذي تسوده العقلانية والسلوك النزيه)، ونتيجة لذلك كان يُنظر بنطاق واسع إلى المنطقة على أنها

---

485 - Zaki Laidi: **«Limited achievements: Obama's foreign policy»**. U.K : Palgrave Macmillan, 1st published, 2012, p 122.

486 - David Fitzgerald and David Ryan: **«Obama, US foreign policy and the dilemmas of intervention»**. U.K : Palgrave Macmillan, 1st published, 2014, p, p 109, 114.

487 - Robert Singh: **«Barack Obama's post- American foreign policy: The limits of engagement»**. New York : Bloomsbury Academic, 1st published, 2012, p130.

مقاوِمة أو غير ملائمة لتطبيق النظريات العامة في العلاقات الدولية، فالأيديولوجيا باعتبارها " القوة العقائدية" Dogmatic force للسياسات، قد تتسبب في عجزٍ عندما تكون هناك حاجة لتقديم تنازلات، حتى وإن كان الأمر يتعلق بوضع أمن و مصالح الدولة العليا على المحك[488]، ففي 31 جانفي 2011 صرّح بشار الأسد لصحيفة Wall Street Journal بأن سوريا ليست مصر، مجادلا بأن سبب استقرار سوريا (رغم الظروف الصعبة، ورغم أن سوريا تحت وطأة الحصار في حين أن مصر مواظبة على تلقي الدعم المالي الأمريكي) يرجع إلى قناعات المواطنين بـ "أيديولوجية" ، بـ "معتقدات وَ قضية"[489]؛ غير أن آمال الأسد لم تصمد طويلا أمام المد الجارف للاحتجاجات السورية والذي ترتب عنه سقوط أكثر من 2000 قتيل مع خريف 2011.[490]

انتهاكات جسيمة بهذا الحجم عادة ما تولّد استجابات قوية من الديمقراطيات الغربية، سيكون من المتوقع أن يتم سحب السفراء، ويصاغ القرار تلو الآخر في مجلس الأمن، وتُشن العقوبات والتحقيقات الدولية، غير أن شيئا من هذا لم يحدث، ورغم استنكار إدارة أوباما للعنف والقمع المشين فإنها أبقت على سفيرها في وظيفته، يحدث هذا في ظل التوافق على أن نظام الأسد هو أحد أشد الخصوم عنادا وتهديدا للمصالح الأمريكية في الشرق الأوسط؛ هذه التناقضات ستجد تفسيرات لها بمجرد إماطة اللثام عن "مذهب أوباما: القيادة من الخلف"The Obama Doctrine: Leading From Behind[491] .

يعود مصطلح "القيادة من الخلف" إلى الكاتب Ryan Lizza، في إشارة إلى الدور الذي اضطلعت به الإدارة الأمريكية أثناء التدخل في ليبيا، فبينما تكاتف سلاح الجو والأسلحة والمخابرات الأمريكية للإطاحة بـ القذّافي، رفض أوباما وصف العملية العسكرية الأمريكية بأنها حالة حرب، مفضّلا تسميتها بـ "عمل حَرَكي"Kinetic action، وكان هذا مدعاة لكي لا يحتاج الرئيس موافقةً من الكونغرس على عملية التدخل[492]؛ فُسّرت دوافع مذهب أوباما برغبة ملحة في نفض الأيادي وإحداث القطيعة مع سياسات جورج و . بوش، فعوض أن تتحمل الولايات المتحدة لوحدها تبعات التدخل العسكري، توجّه رادار واشنطن إلى الأوروبيين لالتقاط الأعباء في ليبيا، وقد أوضح أوباما بأن "القيادة الحقيقية تخلق الظروف والتحالفات مع

---

488 - J.K. Gani: **«The role of ideology in Syrian-US Relations: Conflict and cooperation».** U.K : Palgrave Macmillan, 1st published, 2014, p, p 8, 13.

489 - Zaki Laidi: **«Limited achievements: Obama's foreign policy»**. Op. Cit, p 107.

490 - Robert Singh: **«Barack Obama's post- American foreign policy: The limits of engagement»**. Op. Cit, p 131.

491 - Ibid, p,p 39,131.

492 - Colin Dueck: **«The Obama doctrine: American grand strategy today»**. Oxford : Oxford university press, 2015, p, p 1, 82, 83.

الآخرين حتى يتحملوا هم أيضا قسطهم"، ومثّلت عملية "الحامي الموحد" التي أدارتها قيادة القوات المشتركة للناتو، انطلاقا من نابولي، أسمى تطلعات أوباما.[493]

على عكس رؤية المحافظين الجدد التي ترى في الولايات المتحدة مدافعة عن عالمية الحرية، فإن نوايا "مذهب أوباما" أنذرت بانخفاض في الالتزام الأمريكي تجاه القضايا الدولية، إلا في حالة ما إذا كان الأمن القومي مهددا بشكل مباشر، فبدلا من محاولة فرض " Pax American " تبدو الإدارة راضية عن جمعها بين تحالفات رسمية وغير رسمية، أو الدمج بين الشراكات الإستراتيجية Strategic partnerships والدبلوماسية القسرية Coercive diplomacy تجاه الدول المعادية؛ فعندما يتطلب أمن الولايات المتحدة استخدام القوة، أو عندما يتوافر توافق دولي على مناصرة التدخل الإنساني فإن الالتزام العسكري سيقتصر على استخدام الصواريخ والقوة الجوية، أما الانتشار واسع النطاق على الأرض Boots on the ground فتكلفته المحتملة تجعله في حكم الملغى، خشيةَ أن يؤدي هذا إلى مستنقعات كتلك التي عاشتها القوات الأمريكية في فيتنام، العراق وَ أفغانستان[494]؛ بناء على هذه المعطيات أصبح تعامل الإدارة الأمريكية مع قضايا الشرق الأوسط مخالفا لما هو معتاد في أغلب الإدارات السابقة؛ مرة أخرى فكّ طلاسم اللغز السوري The Syrian Conundrum يستدعي العودة إلى مقولة "Syria is not Libya".

في 7 مارس 2012 أدلى وزير الدفاع ليون بانيتا Leon Panetta بشهادته أمام لجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ، مبينّا أن الوقت ليس ملائما لنشر الجنود على الأراضي السورية، فلا يمكن أن يتواجد نموذج واحد يلبّي مقاسات الجميع لأن كل حالة، وبفعل السياسات والجغرافيا والتاريخ، تكون متميزة وفريدة، وتتطلب بالمثل ردا فريدا، ومن المجازفة اعتماد أي نهج قسري في منطقة معقدة ومتفجرة من الشرق الأوسط، ثم أن القوات السورية متكاملة ومتطورة نسبيا مقارنة بالقوات العراقية عام 2003 أو الليبية في 2011، ناهيك عن الدعم الإقليمي وحلفائها الأقوياء داخل مجلس الأمن، علاوة على ذلك أشارت وزيرة الخارجية هيلاري كلينتون إلى إمكانية حدوث حرب أهلية طويلة المدى، وحتى بعد رحيل الأسد فإن التدخل قد يفاقم أو يعجّل بحدوث تلك الإمكانية.[495]

---

493 - Thomas H. Henriksen: **«Cycles in US foreign policy since the cold war»**. U.K : Palgrave Macmillan, 1st published, 2017, p, p 20, 268.

494 - Sanford Lakoff: **«Leading from behind: The 'Obama doctrine' and US policy in the Middle East»**. Strategic Assessment. Volume 16, no 1, April 2013, p, p 7,8.

495 - David Fitzgerald and David Ryan: **«Obama, US foreign policy and the dilemmas of intervention»**. Op. Cit, p 110.

حذّر وزير الدفاع روبرت غيتس من أن السياسة الخارجية الأمريكية أصبحت مُعسكرة Militarized، فـ "استخدام القوة أصبح من السهولة بمكان للرؤساء"؛ جزءٌ من هذا كان بسبب الانبهار الأمريكي، خاصة داخل المعسكر الليبرالي، بالتكنولوجيا وما صاحبها من روايات مرئية عن قَنبلةٍ مضبوطة أو دقة تصويبٍ لطائرات بدون طيار؛ الحرب أصبحت كثيرة جدا وكأنها "نوع من ساحة ألعاب الفيديو، أو أفلام الحركة"؛ وليس من المفارقة، حسب غيتس، أن يكون كبار الحمائم Biggest doves في واشنطن قد سبق لهم وأن ارتدوا الزّي العسكري، لأنهم كانوا شاهدين على تكاليف الحرب، تقلّباتها وصعوبة التنبؤ بها؛ آراء غيتس تأخذ بعين الاعتبار التكاليف الإستراتيجية، المادية والبشرية لحرب العراق التي دائما ما تلوح في الأفق؛ إن المسألة لا تتعلق بأن الولايات المتحدة تمتلك المشيئة The will للتدخل في سوريا، إنما هي أيضا مسألة قدرة واستطاعة Capacity، فالحرب على العراق أكّدت محدودية القوة الأمريكية في مثل هذه السياقات، فبتقديرات متحفّظة كانت تكلفة الحرب أكثر من تريليون دولار و4500 روح أمريكية أُزهقت في مقابل 150000 عراقي؛ لا يعني هذا أن أوباما مفرط الحساسية تجاه استخدام القوة، فقد شهدت هذه الأخيرة طفرة في أفغانستان خاصة مع زيادة الاستعانة بتقنية الطائرة بدون طيار، لكنّه سبق وأنْ أعلن أن حرب العراق "الغبية" Dumb war قابلة للتكرار في سوريا، وفي ظل ظروف أكثر تعقيدا من شأنها أن تكون هذه الحرب أكثر غباء؛ وهو الطرح الذي أكّده رئيس هيئة الأركان المشتركة مارتن ديمبسي Martin Dempsey من أن نظام الدفاع الجوي السوري متطور، شأنه في ذلك شأن القوة العسكرية القادرة والمتكاملة، كما أن حيازة هذه القوات للأسلحة الكيماوية سيجعل من تسليح المعارضة أمرا غير صائب، ببساطة يختتم ديمبسي "سيكون من الخطأ الكبير التفكير أن هذه (يعني سوريا) ستكون ليبيا أخرى"[496]؛ إنّ الصّوت الذي كان أكثر عُلوا من غيره في الولايات المتحدة هو أن التدخل العسكري في سوريا لن يكون فقط سوء تطبيق لـ R2P، بل سيكون إضعافا جذريا لعقيدة بناء شرق أوسط أفضل، بمعنى أن مبدأ R2P ومسؤولية حماية السوريين تقتضي من الأمريكيين البقاء بعيدا.[497]

يُقر مفهوم التوازن الإستراتيجي Strategy balance في مذهب أوباما بحدود القوة الأمريكية ومواردها، ما يفرض تحديدا للأولويات وتخصيصا للموارد المناسبة لها، و يرى أوباما أن "الاستدامة" Sustainability شرط في غاية الأهمية لأي سياسة خارجية، لذلك اهتم بتطوير التزاماتٍ مستدامة في الشرق الأوسط تكون متوازنة مع مصالح أخرى، وفي وقت سعت فيه الإدارات المتعاقبة إلى تعزيز وضع الحلفاء في وجه الخصوم

---

496 - David Fitzgerald and David Ryan: **«Obama, US foreign policy and the dilemmas of intervention»**. Op. Cit, p, p 115, 116.

497 - Eric A. Heinze and Brent J. Steel: **«The (D) evolution of a norm: R2P, the Bosnia generation and humanitarian intervention in Libya».** Op. Cit, p153.

الشرق أوسطيين، فإن أوباما نظر إلى الخصوم، وبشكل خاص إيران و روسيا، على أنهم من أصحاب المصلحة الإقليمية المشروعة Legitimate regional stakeholders، ولقد كان "الاتفاق النووي مع إيران"The Iran nuclear deal جزءا من هذا الجهد للعمل مع الخصوم من أجل تحقيق الاستقرار في الشرق الأوسط من جهة، وتقليل التزامات الولايات المتحدة في المنطقة من جهة ثانية، فالمنطقة لم تعد بتلك الأهمية الإستراتيجية الحيوية، ولا إسرائيل أصبحت مصدر قلق بالغ الأهمية بالنسبة لواشنطن، وبشكل مماثل يعكس "الخط الأحمر المتعلق باستخدام الأسلحة الكيماوية" والذي أُعلن عنه سنة 2013، اعتراف الإدارة الأمريكية ضمنيا بمصالح إيران في المنطقة، إذ لم يرغب أوباما أن يكون الرد باستخدام القوة لأن ذلك سيهدد التقدم الذي يعمل على إحرازه مع الإيرانيين؛ وحين اعتبر البعض أن ردة فعل أوباما تجاه "الربيع العربي" تُظهر نقصا في الخبرة، فإنها كانت في رأيه فرصة لتغيير العقد الاجتماعي بين حكومات الشرق الأوسط وشعوبها، وإن كانت إشارته إلى الدول العربية كجزء من "مشكلة الرّاكب المجّاني*" Free rider problem ليست دقيقة تماما، لأن القادة العرب وخصوصا السعودية وقطر أطلقوا مزيدا من المبادرات وتولّوْا مسؤوليات إضافية طيلة سنوات الأزمة في سوريا.[498]

الفرع 3 . مستقبل المسؤولية عن الحماية بعد سوريا

استنادا إلى تجارب "العقد الماضي" جدّد الأمين العام بان كي مون في تقريره عن: "التزام حيوي ودائم" A Vital and Enduring Commitment (13 جويلية 2015) العزم على "دوام الأهمية" لمبدأ R2P سواء بوصفه تعبيرا عن التزام سياسي أو توجيها لاتخاذ إجراءات تمنع وتُوقف الإبادة الجماعية، جرائم الحرب، التطهير العرقي وكذا الجرائم المرتكبة ضد الإنسانية، وبعد أن قيّم التقرير جهود التنفيذ وأثرها على كل ركيزة من الركائز الثلاثة للمبدأ أُختتم بتحديد ستّة أولويات أساسية للمسؤولية عن الحماية على مدى العقد المقبل:

(أ) . تجديد الالتزام السياسي على الأصعدة الإقليمية، الوطنية والدولية بحماية السكان من الجرائم الفظيعة، (ب) . الارتقاء بالمنع Elevating prevention إلى درجة يتحول فيها إلى جانب أساسي من المسؤولية

---

* . مشكلة الرّاكب المجاني: مصطلح اقتصادي في الأساس، يلقى رواجا لدى أنصار نظرية " الاستقرار المهيمن" The Theory of Hegemonic Stability، ويرون فيها تهديدا للاقتصاد العالمي الحر، حيث يستفيد المحتالون من المصالح الجماعية لكنهم يرفضون دفع الحصة العادلة لقاء توفيرها. انظر: روبرت غيلبين: "**الاقتصاد السياسي للعلاقات الدولية**". ترجمة: مركز الخليج للأبحاث، دبي: مركز الخليج للأبحاث، ط1، 2004، ص 102.

498 - Derek Chollet and others: **«Does the Middle East Still Matter? The Obama Doctrine and U.S. Policy ».** The Washington institute. Available online at : www.washingtoninstitute.org/policy.../does-the-middle-east-still-m... browsing history : 06 February 2017.

عن الحماية، (ج) . توضيح الخيارات المتاحة للقيام باستجابة في الوقت المناسب وبطريقة حاسمة، والعمل على توسيع نطاقها، (د) . معالجة "خطر التكرار"، (هـ) . تعزيز العمل الإقليمي لمنع الجرائم الفضيعة والاستجابة لها، (و) . تعزيز الشبكات الدولية المتخصصة بمنع الإبادة الجماعية والمسؤولية عن الحماية.[499]

ترتّب عن الأزمة في سوريا ما يزيد عن 220000 قتيل وأكثر من مليون جريح، وشُرّد داخليا نحو 6،7 مليون شخص، فيما أصبح ما يقارب 4 ملايين شخص لاجئين؛ مثّلَ هذا نكسة كبرى للتصريح " لن يتكرر هذا أبدا" Never again والذي تمّت المراهنة عليه عقب الفشل الذريع في منع ارتكاب الجرائم الخطيرة مع نهاية القرن العشرين؛ لقد تكرّر الأمر وبشكلٍ ظهر فيه عجز بيّن للمجتمع الدولي، ليس في سوريا فقط بل حتى في جنوب السودان أين يتواجد ما يزيد عن مليوني شخص مشرّدين داخليا و 118000 مُحتمي داخل مواقع "حماية المدنيين" التابعة لبعثة الأمم المتحدة[500]، ومثلما هزّت أشكال العنف هذه الضمير الإنساني وتحدّت الإنسانية المشتركة فإنها استدعت بالمقابل " تفعيلا للركائز الثلاثة"، سواء بتعزيز المشاركة في الصكوك القانونية الأساسية، بناءُ القدرات الوطنية وتوسيع مراكز التنسيق بالنسبة للركيزة الأولى (مسؤوليات الدولة في مجال الحماية) أو التشجيع، بناء القدرات والمساعدة في توفير الحماية بالنسبة للركيزة الثانية (المساعدة الدولية وبناء القدرات) أو تثبيط عزيمة الجناة المحتملين في حال لم يكلّل نهج المنع بالنجاح (الركيزة الثالثة: الاستجابة في الوقت المناسب وبطريقة حاسمة)، غير أنّ ما يسترعي الانتباه في تقرير الأمين العام هو ربط "التحديات الجديدة التي تواجهها الحماية بديناميات النزاع التي أصبحت أوسع نطاقا، بما فيها جُناةٌ مختلفو المشارب" أين امتد نطاق كفاح المجتمع الدولي ليشمل معالجة آثار انحسار سيطرة الدولة على إقليمها، وفي هذا السياق الأعم تحدّيان سيكتسيان أهمية خاصة: الأول هو التصدي للجماعات المسلحة غير التابعة للدول التي تشارك في ارتكاب الجرائم الخطيرة، والثاني هو التكيف مع آثار التكنولوجيات الجديدة[501]؛ كان هذا إعلانا بأن تطورات R2P في المستقبل لن تكون بمنأى عن "التعقيد" Complexity الذي أصبح سمةً غالبة في السياسة العالمية، فبتعبير جون موير John Muir "لِمسْ شيئا واحدا ستجده يرتبط بكل شيء في الوجود"، الأمر أشبه بـ " فراشة" Butterfly ترفرف بجناحيها في الصين وكيف سيؤثر ذلك في اليوم الموالي على الجو العام في كانساس، فـ " تأثير الفراشة" يؤكد على الترابط

---

[499] - Pinar Gözen Ercan: **«Debating the future of the 'responsibility to protect': The evolution of a moral norm».** U.K : Palgrave Macmillan, 1st published,2016, p, p 76,77,78.

[500] . بان كي مون: " **التزام حيوي ودائم: تنفيذ مبدأ المسؤولية عن الحماية**". تقرير الأمين العام، مجلس الأمن، السنة السبعون، 2015، ص 3.

[501] . بان كي مون: " **التزام حيوي ودائم: تنفيذ مبدأ المسؤولية عن الحماية**". مرجع سابق، ص، ص 9، 19.

Interconnectedness وحتما الفروق الصغيرة وغير الملحوظة تؤدي إلى فروق أكبر تؤثر على مستقبل نظام واسع جدا.[502]

رغم ذلك، هناك خطوط مطموسة Blurred Lines بين الجماعات المسلحة غير الحكومية، أزمات عبر الدول وR2P، ففي تقرير 2015 ألمحَ الأمين العام إلى وجوب قيام المجتمع الدولي بتعديل طُرقٍ يُتوقع فيها منع و رَدّ الجرائم المُتوقعة كتحديث آليات الإنذار المبكّر والتركيز على الاستثمار المستدام في الحوكمة الشاملة، إضافة لبذل مزيد من الجهود في سبيل تعزيز الحوار بين الحضارات، الثقافات، الشعوب والأديان، وبينما يتشعّب بان كي مون أكثر في الحديث عن أهمية ابتكار وسائل جديدة لمواجهة نوع جديد من التحديات لـ R2P، تلتزم، في المقابل، الدول الأعضاء في مجلس الأمن بإجراءات فعلية وفق الطرق القديمة، ففي سبتمبر 2014 قادت الولايات المتحدة رفقة تسعة دول أعضاء في الاتحاد الأوروبي حملة قصف في الأراضي العراقية والسورية ضد تنظيم "الدولة"، لذلك رغم استمرار الجمود في مجلس الأمن وازدياد الانتقادات بشأن الحالة الإنسانية في سوريا، فإنه على الأرض كان هناك تدخل عسكري خارجي ولكن لأغراض أخرى.[503]

بالنسبة للبعض، التجربة الليبية كانت مؤشرا على زوال وشيك لـ R2P وسوريا هي من أعلن عن نهايتها، في حين حاجج بيلامي Alex Bellamy بأن الأمر لا يتعلق بموت R2P وإنما في أنها لم تعد "داعمةً للحياة" Life–support؛ جزء من هذه النظرة تتحمله تناقضات سلوك الدول، فقد سبق لمقرّر الأمم المتحدة في الأراضي الفلسطينية ريتشارد فالك أن أشار إلى أن ظروف البؤس والضعف التي يعيشها سكان غزة منذ 1967 تمثّل قضية مُلحّة لتطبيق استجابة وقائية تحت إشراف الأمم المتحدة، وإذا لم يحدث ذلك، فسوف يظهر مرة أخرى لشعوب العالم، ولا سيما في الشرق الأوسط، أن "الجغرافيا السياسية" تفوق القانون الدولي والشواغل الإنسانية، وسيُترك للضحايا هامشٌ من الخيارات القليلة ليس من المستغرب إنْ كانت متطرفة وعنيفة[504].

إنْ كانت R2P في منطقة الشرق الأوسط رهينةً للجغرافيا السياسية كما بيّنته حالتي سوريا وغزّة، فإنها في إفريقيا مُحكمةٌ في العمق بـ "العلاقة الزّبونية" غير المتكافئة، إذْ يكون الزبون في حاجة حيوية إلى ربّ العمل، فيما يَعتبر هذا الأخير أن خسارة أحد الزبائن "فشل هامشي"، فربّ العمل يقرر وحده ملاءمة تقديم "حمايته" كأن يطلب عند الاقتضاء "رسالة مناشدةٍ للمساعدة"؛ فكان أن تدخّلت فرنسا في ساحل العاج

---

502 - Walter C. Clemens Jr: **«Complexity science and world affairs»**. U.S.A : SUNY Press, 2013, p4.
503 - Pinar Gözen Ercan: **«Debating the future of the 'responsibility to protect': The evolution of a moral norm».** Op. Cit, p, p 98,99.
504 - Ibid,p,p99,104.

(2011) دعما لتسلّم الحسن وتارا السلطة، لكنها لم تتدخل من أجل حماية بوزيزي François Bozizé الذي أُطيح به في انقلاب إفريقيا الوسطى عام 2013؛ تحرّكت في الغابون وليس الكونغو، وتعاملت وفق الظروف مع الأزمة الطويلة في تشاد؛ لا محالة بأن عدم التكافؤ هذا سيصبح مدمّرا للسيادة لا سيما في زمن الأزمات، فعقب تدخل القوات الفرنسية في مالي قال الرئيس فرانسوا هولاند " نريد أن تجري الانتخابات في مالي نهاية شهر جويلية، ولا مجال للنقاش في هذا الموضوع"، إنه لمن اللافت أن تناقَش المواعيد الانتخابية لدولة ذات سيادة في مكان آخر وبقرار أجنبي؛ أحداث كثيرة كهذه دفعت رئيس غينيا ،والأستاذ السابق في العلوم السياسية، ألفا كوندي Alpha Condé إلى وصفها بأنها تشكّل " إذلالا لإفريقيا" L'Afrique humiliée.[505]

سَبَق لـ داغ همرشولد Dag Hammarskjöld * أن أعلن بأن الأمين العام خصوصا وكل ما يرمز للخدمة المدنية الدولية على نطاق أوسع قادران على توجيه القاعدة التنفيذية الدولية دون أن تخضع لحسابات قومية أو أيديولوجية، بمعنى أن الأمم المتحدة في وسعها التزام الحياد بين الأيديولوجيات المتنافسة وأن تكون نزيهة بين طالبي السلطة داخليا، غير أنّ آن أورفورد تعتقد باستحالة الحياد The impossibility of neutrality عمليا، بما في ذلك تنفيذ مفهوم R2P، وذلك لثلاثة اعتبارات على الأقل: (أ) . يتطلب تنفيذ المسؤولية عن الحماية الاختيار بين أصحاب المطالب المتنافسة على السلطة، ففي الكونغو على سبيل المثال زعم همرشولد أن الأمم المتحدة ستبقى على مسافة واحدة بين سلطة الوزير الأول المنتخب، أعضاء البرلمان، قائد الجيش، الفنيين البلجيكيين والانفصاليين المتمردين، ولكن سواء تعلق الأمر بالكونغو أو مكان آخر ستضطر الأمم المتحدة في النهاية إلى تفضيل مزايا مادية وسياسية تفوق الموارد المتاحة للسيطرة على إقليم معين، وفي النهاية فإن الاعتراف الدولي International recognition سيمنح طالب السلطة ميزات الوصول إلى المعونة، علاقات دبلوماسية ومساعدات عسكرية، إيرادات ضريبية ومصداقية تجارية،(ب) . تحديد التقنيات المستخدمة في الحفاظ على النظام وحماية الحياة لا يمكن أن يكون مجرّدا أو محايدا بالمعنى الذي حدّده همرشولد، فالمجتمع الدولي استخدم آليات حماية أساسية شملت إصلاح قطاع الأمن، الإدارة، السيطرة على حركة الشعوب، المراقبة، العقاب، السجن، إعادة توزيع الممتلكات وأخير استعمال القوة؛ فالقرار بشأن ما تتطلّبه الحماية زمانا ومكانا، ومن هم الذين يجب أن يقدموا التضحيات باسم الحماية، لا يزال

---

[505] . برتراند بادي: " **زمن المذلولين: باثولوجيا العلاقات الدولية**". مرجع سابق، ص، ص 131، 132، 133.

* . أمين عام منظمة الأمم المتحدة بين 1953 و1961، توفي في 18 ديسمبر 1961 بعد انفجار طائرته في الجو.

سياسيا في الأصل،(ج) . تهميش التساؤلات حول ما إذا كانت السلطة المتحصّل عليها تمت وفق صورة قانونية، وما إذا كان ممارسو السلطة يمثلون الشعب بإحساس قوي.[506]

حتما، تطبيقات المسؤولية عن الحماية في المستقبل ستظل رهينة لمعضلتي "الاصطفائية" و "الحياد"؛ غير أن ما يبدو على أنه معضلة قد يكون ليس كذلك ضرورةً عند بعض محاميي الفقه الوضعي مثل هانس كيلسن Hans Kelsen أو منتسبي سوسيولوجية ماكس فيبر أو في نظرية هارولد لاسكي Harold Laski التي تدعو إلى "تحديد صلاحية النظام القانوني دون إعارة اعتبارٍ لمعيارية السلطة"، هذه الفكرة التي كان كارل شميت Carl Schmitt من أشدّ المدافعين عنها حين أبرز أنّ أيّ قانون أو مرسوم إداري "صالح" بـ "المعنى الرسمي" هو مسألة "سياسية أساسا" political question Essentially[507]، فالتوجه نحو إضفاء "المؤسساتية" على R2P سيكون طريقا شاقا يستوجب في البداية تقديم المبررات عمّا إذا كانت ترقى لأن تكون "معيارا قانونيا" Legal Norm.

بحسب الأمين العام السابق بان كي مون فإن تدابير الوقاية والحماية يمكن أن يأذن بها مجلس الأمن بموجب المادتين 41 و42 من الميثاق، أو الجمعية العامة على ضوء الإجراء 377 "متحدون من أجل السلام" Uniting for peace، أو وفق ترتيبات إقليمية ودون إقليمية في إطار المادة 53 بإذنٍ مسبق من مجلس الأمن؛ وكما تشير الفقرتان 138 و139 من الوثيقة الختامية لمؤتمر القمة العالمي العام 2005 فإن الوقاية لا تقتصر على الدول فرادى فحسب، بل تمتد لتشمل المجتمع الدولي، غير أن معضلة شائكة تبرز في هذا الجانب تكمن في غياب التزامات أو ضمانات تدفع المجتمع الدولي إلى التمسك بمسؤولياته تجاه السكان في حالة أن السلطات الوطنية عجزت بشكل واضح؛ فانفراد الدولة بالمسؤولية في القانون الدولي وإعفاء المجتمع الدولي من أي التزامات كان أحد العوامل التي منحت الموافقة بالإجماع على الفقرتين 138و139؛ فعلى سبيل المثال وأثناء المناقشات بشأن الوثيقة الختامية لقمة العالم صرّح المندوب الأمريكي الدائم جون بولتون بأن "الوثيقة ليست ذات طابع قانوني"، وحجّة الولايات المتحدة هذه أدت إلى اعتماد لغة تتحدث عن "استعداد لاتخاذ إجراءات" Preparedness to take action بدلا عن "إلزامية التصرف" A duty to act، بمعنى آخر كانت واشنطن تسعى إلى وثيقة تكرّس مسؤولية ذات "طابع أكثر عمومية وأكثر أخلاقية"؛ كما أشار ممثل سنغافورة إلى "تعهّدَ قادتنا وأبدوا عزما تجاه مفهوم R2P، غير أن ذلك لا يعني أن R2P أضحت جزءا من القانون الدولي أو تعهّدا ملزما قانونيا"، وبالمثل ذهب ممثل هولندا إلى أن المناقشات بشأن R2P ليست قانونية ولا ينبغي لها أن تكون كذلك؛ أما المستشار الخاص للأمين العام

---

506 - Anne Orford: **«International authority and the responsibility to protect»**. Cambridge : Cambridge university press, 1st published, 2011, p, p 192,193.

507 - Anne Orford: **«International authority and the responsibility to protect»**. Op. Cit, p194.

إدوارد لاك Edward Luck فقد دوّن بأن هذا المفهوم "سياسي وليس قانوني" رافضا أن تكون لـ R2P قدرة على طرح قواعد قانونية جديدة أو تغيير الميثاق[508].

منذ اعتماد مقررات لجنة السيادة والتدخل عام 2001، وطيلة أربعة عشر عاما، أصدر مجلس الأمن أكثر من خمسة وثلاثين قرار بخصوص R2P، وبشكل سنوي يقوم الأمين العام بنشر سبعة تقارير تُخطر بالمعلومات المحددة التي يجب تضمينها منهجيا في المسؤولية عن الحماية، يعقبها اجتماع رسمي وستة حوارات تفاعلية غير رسمية في الجمعية العامة؛ ورغم وفرة هذه الجهود وتنوعها فإن مسار الاقتناع العام يسير في خط أن "R2P لا يمكنها إقناع الدول في أن تتصرف بشكل أفضل" R2P cannot persuade states to behave better، فالحل الوحيد لمعضلة "لا إنسانية عدم التدخل" هو إصلاح واسع النطاق.[509]

يبدأ الإصلاح بتجاوز مأزق التسميات المتجدّدة باستمرار، فـ R2P في النهاية ليست إلا "خمرة قديمة في قنينة جديدة" Old Wine in a New Bottle؛ لذلك سواء تعلق الأمر بتدخلٍ إنساني أو مسؤوليةٍ عن الحماية فهي في المحصلة ليست سوى "معيار أخلاقي دولي" International moral norm؛ لا يحتاج هذا المعيار إلى تعريفه على أنه "مرفوض أخلاقيا" فيظل العالم بالتالي مستسلما لقتل المدنيين الأبرياء، ولا هو في حاجة إلى أن يُفهم على أنه واجب الدولة المضيفة منع الإبادات الجماعية داخل دائرة اختصاصها، فقد سبق لهذا "الواجب" أن وافقت عليه الدول قبل سبعين عاما عندما وقّعت على اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها؛ ما يحتاجه هذا المعيار بالضبط هو توافق دولي في الآراء على أن واجب المجتمع الدولي للتدخل يجب أن يكون مستندا إلى إلزامية القانون الدولي، سواء طُبّق ذلك بأسلوب أكثر أو أقل تناسقا؛ وهذا بالضبط ما تسعى الولايات المتحدة (ومعظم الدول الأخرى) لعرقلته.

---

508 - Pinar Gözen Ercan: **«Debating the future of the 'responsibility to protect': The evolution of a moral norm».** Op. Cit, p, p 79,80 ,81.

509 - Pinar Gözen Ercan: **«Debating the future of the 'responsibility to protect': The evolution of a moral norm».** Op. Cit, p, p144,145.

الخاتمة

ينطوي الوضع الفوضوي للعلاقات الدولية على مضامين أخلاقية عميقة؛ إنها ليست غائية بشكل مطلق بل لها بعد معياري وأخلاقي، فبشكلٍ ما هي "علاقات إنسانية" لأن البشر لا يستطيعون العيش معا دون قبول ومراعاة المعايير المشتركة التي تنظّم إنسانيتهم المشتركة وتحترمها.

ساهمت الفصول الثلاثة لهذه الأطروحة في إيضاح طابع "الأخلاق الدولية" والقيم الأساسية التي تخدمها، وعالجت بتمحيصٍ ما إذا كان "التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية" يجسّد "نزعةَ وصايةٍ أبوية" معادية للقيم التعددية الوستفالية.

بعيدا عن " الحماسة العالم ثالثية" التي تستسهل النقاش بالحديث عن " المؤامرة" Conspiracy خلُصت الأطروحة إلى أن "التدخل المسلح لإنقاذ حقوق الإنسان" ليس بالضرورة ممارسة واعية؛ من الأنسب وصفه بـ "تصديرٍ لنموذج سياسي" قابل، على الدوام، لإعادة التنشيط بفعل جرعاتٍ يتلقّاها من الادّعاء العولمي الذي يثْملُ مباهاةً بالبناء السياسي للدولة في الغرب.

في المناظرات حول التدخل الإنساني أقيمت الحجة التضامنية على أن النظام العالمي الذي صاغته "معاهدة وستفاليا" لم يعد يشكّل الإطار الأنسب للعلاقات الدولية المعاصرة، ليس فقط بسبب "باثولوجيا السيادة" بل لأنه سيكون وهما كاذبا أن يُعترف بالسيادة الوطنية في دول انحدرت إلى مستوى حكم أمراء الحرب، في حين حاجج التعدديون بضرورة فهم مغزى اللحظة الوستفالية من منظور ذلك الزمان لا بمنظور الآن؛ بمعنى أن " مؤسسة السيادة" ستبقى الحاسم الأكبر لمشاكل "الفوضى" و " انعدام اليقين" بيْد أن الأمر يتوقف على " لحظة غروسيوسية جديدة" تناط فيها للقادة، وخصوصا قادة الدول الكبرى، مسؤوليات تعددية في فن الحكم.

أثارت هذه الأطروحة إشكالية " لماذا ليبيا وليس سوريا؟"، وتبيّن في ذلك أن النزوع لنزع السيادة وتسليمها لحكم الهيئات والوكالات الدولية أصبح بحكم الواقع " إمبريالية دولية"، أو بالأحرى إمبرياليةُ إنسانية تراعي نطاق توسيع سلطاتها، وتختار بعناية الأمكنة المهيأة للتدخلات الإنسانية حتى تكون رأس حربةٍ فيها؛ فعقيدة "الحفاظ على الشرق الأوسط كما هو" في حالة سوريا كانت هي الأكثر قبولا من عقيدة "منع حدوث سربرينيتشا ثانية" التي انتصر لها "منتسبو جيل البوسنة" في ليبيا.

هذه الانتقائية في التدخلات الإنسانية زادت من متاعب وتحديات نظريات العلاقات الدولية، التي عانت أصلا من انكشاف ثقافي جرّاء تحول اللاعبين في السياسة العالمية؛ مرة أخرى جرى التأكيد على أن النظرية "نشأت في الدول الغربية" خاضعةً، إلى حد كبير، للهواجس التي تساور الولايات المتحدة الأمريكية بشأن مصير استثنائيتها وفُتوةِ عصر مجدها الإمبراطوري؛ بناءً عليه كانت هذه الأطروحة فرصة للنهل من منابع

معرفية مُهملة أو كان متعمّدًا إقصاءها من حقل العلاقات الدولية (المدرسة الإنجليزية، ما بعد الاستعمارية)، و باهتمامها بمصطلحات المعايير، القيم، الهوية و الأقلمة وعبر تركيزها على حالات معينة (روسيا، الاتحاد الإفريقي، الصين) تكون هذه الأطروحة قد صوّبت جزءا من اهتمامها إلى "المنعطف البنائي" The constructivist turn في العلاقات الدولية.

تختزل " الذاكرة التاريخية" للتدخلات الإنسانية سياقا قيْميا غربيا حَيّدَ الآخر وأزاحه عن منظومتي " النظرية والممارسة"، غير أن رؤية العالم بأسره على أنه أرض أجنبية ليس سلبيا بشكل مطلق؛ لقد مكّن ذلك ، بشكل معين، من إدراك ما هو أصيل، ذلك ما أسماه إدوارد سعيد بـ " مُتع المنفى" The pleasures of exile إذ سمح تعالي الغرب ومشروطيته اللا محدودة للآخر ،أو تحديدا لـ "ما بعد الكولونيالية"، في أن تصنع مكانا لها وسط مهيمني الحقل؛ وباهتمام هذه الأطروحة بأفكار محمد أيوب حول أصل الصراعات وعلاقة الدولة بالأقليات تكون قد ساهمت في إماطة اللثام عن إشكاليات عويصة في التدخل باسم الإنسانية كمعضلات التوافق الثقافي والحضاري بين مُصدّر القيمة ومتلقّيها.

يُعتبر "شبح الهولوكوست" من النقاط الحاسمة في فكر العالم الغربي خلال القرن العشرين، فلطالما أثارت هذه اللحظة التاريخية أسئلة أخلاقية أساسية حول الطبيعة البشرية أو طبيعة الحداثة؛ ومما توصلت إليه هذه الأطروحة أن الهولوكوست كانت دافعا لتوهّج عديد الفلسفات الإنسانية، لا يختلف في ذلك هابرماس الكوسموبوليتاني عن إزايا برلين التعددي، فكلاهما كان مهتما بمنع تكرار مآسي الماضي؛ غير أن إنسانيي الوقت الحاضر يجدون صعوبات موازية في الاعتراف بحقيقة هولوكوست جديد في فلسطين لا يقتصر على إبادة المدنيين فقط بل أنه يمتد تاريخيا إلى تصفية رموز الدبلوماسية الإنسانية (مثلا: قتل الكونت فولك برنادوت Folke Bernadotte رئيس الصليب الأحمر السويدي في القدس عام 1948 على يد عصابة شتيرن Stern الصهيونية)؛ علاوة على ذلك ،وفي مارس 2017، قدّمت ريما خلف (الأمينة العامة للجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا) استقالتها بعد أن رفضت سحب تقرير خَلُص إلى أن إسرائيل أَسّست نظامَ تمييزٍ عنصري؛ وهي ذات الملاحظات التي سجّلتها الأطروحة على لسان المقرّر السابق لحقوق الإنسان بالأمم المتحدة ريتشارد فالك؛ لا يَشي هذا بنزعة معادية للسامية Antisemitic في هذا العمل بقدر ما يعيد للواجهة إشكال الازدواجية والانتقائية في التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية.

إن السوابق التاريخية التي تحظر استخدام القوة (في شكل ميثاق عصبة الأمم 1919و ميثاق باريس 1928) شكّلت مُجتمعةً لحظة الإيذان بالولوج إلى "استبدادية الأخلاق العليا" High moral absolutism، وفي التعامل مع تطور الأحداث التي تلت ذلك ظهر القانون الدولي جافياً ينظر للأخطار على أنها "ظاهرة عَرضية" Epiphenomenon ستخضع حتما للتغيير في المستقبل ؛ غير أن هذا التراخي كان من نتائجه

أن أعطى للسياسيين مساحة أكبر لـ " التلاعب" Manipulation، ومن الأمثلة التي تحاكي ذلك تاريخيا أن مؤسسة القانون الدولي كانت ذات نفوذٍ أثناء توقيع ميثاق ريبنتروب/مولوتوف Ribbentrop–Molotov لعدم الاعتداء بين ألمانيا والاتحاد السوفييتي عام 1939، ولكن الحقيقة أن ما سُمّي بميثاق "عدم الاعتداء" آنذاك كان في جوهره مخططا مثاليا للاعتداء، فضمان السلام مع السوفييت تزامن مع الهجوم على بولندا؛ إنّ استحضار هذا الشاهد التاريخي يبدو ضروريا لمعالجة ثغرات القانون الدولي في مجال العمل العسكري الخارجي والتي يبدو أنها ستظل مستمرة في ظل صعوبة تحديد مفهومي " السياسة" و"القانون".

كشفَ أول عقدين من القرن الحالي الكثير بشأن مفاهيم حقوق الإنسان المعاصرة وممارساتها، فعلى الرغم من أن نهاية الحرب الباردة رسّخت التأثير الذي تمارسه مختلف قوى العولمة، إلا أن نظريات حقوق الإنسان وتطبيقاتها بقيت ساكنة دون حراك؛ إنها لمعضلةٌ حقيقية أن النظريات القانونية/ السياسية الليبرالية ،التي شكّلت الأساس للإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948 فضلاً عن أغلبية التشريعات اللاحقة، ما زالت هي المصدر الفكري الرئيسي الذي تستند له حقوق الإنسان نظريةً وممارسةً رغم ما خلّفه ذلك من بروز سلسلة من بؤر التوتر والاختلاف في وجهات النظر؛ وإنه لا مفرّ من الإقرار بحقيقة أن المجتمع الدولي الذي صادق على المنظومة الحقوقية العالمية كان يئنّ تحت وطأة جملة من القيود التاريخية، الجغرافية و الكولونيالية، ناهيك عن عمله في مرحلة تاريخية كان التنوع الأخلاقي، السياسي والقانوني فيها إمّا غير معروف أو، بالأحرى، معترفٌ به لدى شريحة صغيرة من الباحثين المغمورين الموالين للمسؤولين الاستعماريين الذين تضطرّهم مصالحهم إلى قمع التنوع أو إنكاره على الأقل.

إنّ ما يعنيه هذا هو أن نظرية حقوق الإنسان وممارسات التدخل الإنساني غير وظيفية في جوهرها، تبدو عاجزة عن تمثيل ممارسةٍ تنطوي على معنى موحّد في أُطر إحالةٍ دولية واسعة، قد يكون هذا دافعا لضرورة توجيه دفّة الجهود نحو الدراسات الأنثروبولوجية تماشيًا مع ما شهده حقل حقوق الإنسان من تحولات تهتم بالاستعلام الإثنوغرافي والمعرفي، وعلى أمل إجراء دراسات في المستقبل تُحدث نوعا من التوازن المعرفي الذي يتوافق والتعدد الثقافي الموجود في الكون، تبقى "غزة" Gazaهي أحسن وجهة لمن أراد أن ينقذ إنسانيته قبل إنقاذ الآخرين.

قائمة المراجع

أولا . باللغة العربية

أ'. الكتب

1 . أركون محمد، مايلا جوزيف: " **من منهاتن إلى بغداد: ما وراء الخير والشر**". ترجمة: عقيل الشيخ حسين، بيروت: دار الساقي، ط1، 2008.

2 . أرندت حنّة: " **في العنف**". ترجمة: إبراهيم العريس، بيروت: دار الساقي، ط1، 1992.

3 . أوتكين أناتولي: " **الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين**". ترجمة: أنور محمد إبراهيم وَ محمد الجبالي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ط1، 2003.

4 . بادي برتراند: " **عالم بلا سيادة: الدول بين المراوغة والمسؤولية**". ترجمة: لطيف فرج، القاهرة: مكتبة الشروق، ط1، 2001.

5 . ـــــــــــــــ: " **زمن المذلولين: باثولوجيا العلاقات الدولية**". ترجمة: جان ماجد جبور، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2015.

6 . برلين إزيا: " **ضلع الإنسانية الأعوج: فصول في تاريخ الأفكار**". تحرير: هنري هاردي، ترجمة: محمد زاهي المغيربي وَ نجيب الحصادي، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2013.

7 . بن عامر تونسي: " **قانون المجتمع الدولي المعاصر**". الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1992.

8 . بوتومور توم: " **مدرسة فرانكفورت**". ترجمة: سعيد هجرس، ليبيا: دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، ط2، 2004.

9 . بودون ريمون: " **موضع الفوضى**". ترجمة: منصور القاضي، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1999.

10 . بورديو بيير: " **التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول**". ترجمة: درويش الحلوجي، دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، ط1، 2004.

11 . بوسكو ديفيد: " **خمسة يحكمون الجميع: مجلس الأمن ونشأة النظام العالمي الحديث**". ترجمة: غادة طنطاوي، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2014.

12 . بومنير كمال: " **النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث**". الجزائر: منشورات الاختلاف. لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون. ط 1، 2010.

13 . بويل فرانسيس: " **تدمير النظام العالمي: الإمبريالية الأمريكية في الشرق الأوسط قبل وبعد 11 سبتمبر**". ترجمة: سمير كريم، القاهرة: المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2004.

14 . بيك أولريش: " **مجتمع المخاطر العالمي: بحثا عن الأمان المفقود**". ترجمة: علا عادل وآخرون، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2013.

15 . ـــــــــ " **ماهي العولمة**". ترجمة: أبو العيد دودو، بيروت: منشورات الجمل، ط 2، 2012.

16 . بيلس جون وَ سميث ستيف: " **عولمة السياسة العالمية**". ترجمة: مركز الخليج للأبحاث، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2004.

17 . بيندر جون وَ أشروود سايمون: " **الاتحاد الأوروبي: مقدمة قصيرة جدا**". ترجمة: خالد غريب علي، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2015.

18 . تشابمان بيرت: " **العقيدة العسكرية: دليل مرجعي**". ترجمة: طلعت الشايب، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2015.

19 . تشومسكي نوعام: " **السيطرة على الإعلام: الإنجازات الهائلة للبروباغندا**". ترجمة: أميمة عبد اللطيف، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2003.

20 . تودوروف تزفيتان: " **اللا نظام العالمي الجديد: تأملات مواطن أوروبي**". ترجمة: محمد ميلاد، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، ط 1، 2006.

21 . تورين ألان: "**نقد الحداثة**". ترجمة: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، 1997.

22 . تيلور بيتر وَ فلنت كولن: " **الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر**". ترجمة: عبد السلام رضوان وَ إسحاق عبيد، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، 2002.

23 . الجابري محمد عابد: " **مسألة الهوية العروبة والإسلام.... والغرب**". بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط4، 2012.

24 . جاكسون روبرت: " **ميثاق العولمة: سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول**". ترجمة: فاضل جتكر، الرياض: العبيكان، ط1، 2003.

25 . جايكوبز أف ماثيو: " **المعرفة في خدمة الهيمنة**". ترجمة: فاطمة نصر، مصر: سطور الجديدة، ط1، 2011.

26 . حداد ريمون: " **العلاقات الدولية**". بيروت: دار الحقيقة، ط1، 2000.

27 . خانا باراج: " **العالم الثاني: السلطة والسطوة في النظام العالمي الجديد**". ترجمة: دار الترجمة، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ط1، 2009.

28 . خولي معمر فيصل: " **الأمم المتحدة والتدخل الدولي الإنساني**". القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، د.س. ن.

29 . دياموند جارد: " **الانهيار: كيف تحقق المجتمعات الإخفاق أو النجاح؟**". ترجمة: مروان سعد الدين، الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 2011.

30 . دي تانسي ستيفن: " **علم السياسية: الأسس**". ترجمة: رشا جمال، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2012.

31 . راولز جون: " **قانون الشعوب وَ عَود إلى فكرة العقل العام**". ترجمة: محمد خليل، القاهرة: المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2007.

32 . الرحباني ليلى نقولا: " **التدخل الدولي: مفهوم في طور التبدل**". بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية. ط 1، 2011.

33 . روس جاكلين: " **مغامرة الفكر الأوروبي: قصة الأفكار الغربية**". ترجمة: أمل ديبو، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، 2011.

34 . زكريا فريد: "**عالم ما بعد أمريكا**". ترجمة: بسام شيحا، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2009.

35 . زندكولر هنس: " **المثالية الألمانية**". المجلد 1، ترجمة: أبو يعرب المرزوقي، فتحي المسكيني، ناجي العونلي. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2012.

36 . ستروم بول: "**الضمير: مقدمة قصيرة جدا**". ترجمة: سهى الشامي، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2014.

37 . سكنر كوينتن: " **أسس الفكر السياسي الحديث: عصر النهضة**". ج1، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2012.

38 . سلوتر آن ماري: " **نظام عالمي جديد**". ترجمة: أحمد محمود، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2011.

39 . السيد سامح عبد القوي: " **التدخل الدولي بين المنظور الإنساني والبيئي**". الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة، 2012.

40 . شيلينغ توماس: " **إستراتيجية الصراع**". ترجمة: نزهت طيب وَ أكرم حمدان، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2010

41 . شوا إيمي: " **عصر الإمبراطورية: كيف تتربع القوى المطلقة على عرش العالم وأسباب سقوطها**". ترجمة: منذر محمود صالح، الرياض: العبيكان، ط1، 2011.

42 . شولتز سابرينا وَ يونج كريستينا: " **النوع الاجتماعي وأثره في الشركات العسكرية والأمنية الخاصة**". ترجمة: مركز جنيف للرقابة الديمقراطية على القوات المسلحة، معهد الأمم المتحدة الدولي للبحث والتدريب من أجل النهوض بالمرأة، 2008.

43 . صن أمارتيا: " **الهوية والعنف: وهم المصير الحتمي**". ترجمة: سحر توفيق، الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2008.

44 . عبد الرحمن محمد يعقوب: " **التدخل الإنساني في العلاقات الدولية**". أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1، 2004.

45 . عوض لويس: " **ثورة الفكر في عصر النهضة الأوروبية**". القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط1، 1987.

46 . غبسون سي. نايجل: " **فانون: المخيلة بعد . الكولونيالية**". ترجمة: خالد عايد أبو هديب، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، ط1، 2013.

47 . غريفيش مارتن وَ أوكالاهان تيري: " **المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية**". دبي: مركز الخليج للأبحاث، 2008.

48 . غيرث كارل: " **على خطى الصين يسير العالم: كيف يُحدث المستهلكون الصينيون تحولا في كل شيء**". ترجمة: طارق عليان، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، كلمة، ط1، 2012.

49 . غيلبين روبرت: "**الاقتصاد السياسي للعلاقات الدولية**". ترجمة: مركز الخليج للأبحاث، دبي: مركز الخليج للأبحاث، ط1، 2004.

50 . فرنان جان بيار: " **الأسطورة والفكر عند اليونان: دراسة في علم النفس التاريخي**". ترجمة: جورج رزق، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2012.

51 . فروم إريك: " **تشريح التدميرية البشرية**". الجزء الثاني، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 2006.

52 . فوت روزماري وَ آخرون: " **الهيمنة الأمريكية والمنظمات الدولية: الولايات المتحدة الأمريكية والمؤسسات متعددة الأطراف**". ترجمة: أحمد حالي وَ الطيب غوردو، لندن: E. Kutub. Ltd، 2016.

53 . فوكوياما فرانسيس: " **أمريكا على مفترق الطرق: ما بعد المحافظين الجدد**". ترجمة: محمد محمود التوبة، الرياض: العبيكان، ط1، 2007.

54 . فيشر ديفيد:" **الأخلاقيات والحرب: هل يمكن أن تكون الحرب عادلة في القرن الحادي والعشرين؟**". ترجمة: عماد عواد، الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2014.

55 . فيرجسون نيال: " **الصنم: صعود وسقوط الإمبراطورية الأمريكية**". ترجمة: معين محمد الإمام، الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 2006.

56 . فينيلسون جيمس جوردن: " **يورجن هابرماس**". ترجمة: أحمد محمد الروبي، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2015.

57 . كليفلاند هارلان: " **ميلاد عالم جديد: فرصة متاحة لقيادة عالمية**". ترجمة: جمال علي زهران، القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ط1، 2000.

58 . كواكو جان سارك: " **الشرعية والسياسة: مساهمة في دراسة القانون السياسي والمسؤولية السياسية**". ترجمة: خليل إبراهيم الطيار، عمان: المركز العلمي للدراسات السياسية، 2001.

59 . كوبر روبرت: " **تحطم الأمم: النظام والفوضى في القرن الحادي والعشرين**". ترجمة: زهير السمهوري، الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 2005.

60 . كوركوف فيليب: " **كبار المفكرين في السياسة: مسارات نقدية في فلسفة السياسة**". ترجمة: علي نجيب إبراهيم، بيروت: دار الكتاب العربي، 2014.

61 . كيسنجر هنري: " **النظام العالمي: تأملات حول طلائع الأمم ومسار التاريخ**". ترجمة: فاضل جتكر، بيروت: دار الكتاب العربي، 2015

62 . كيميلكا ويل: " **أوديسا التعددية الثقافية: سبر السياسات الدولية الجديدة في التنوع**". الجزء الأول، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2011.

63 . كينيدي بول: " **برلمان الإنسان. الأمم المتحدة: الماضي، الحاضر، المستقبل**". ترجمة: رؤوف عباس، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2008.

64 . مارتن جيمس: " **معنى القرن الحادي والعشرين**". ترجمة: أحمد رمو، دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، 2011.

65 . ماكفيل ل. توماس: " **الإعلام العالمي**". ترجمة: عبد الحكم أحمد الخزامي، القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، 2012.

66 . مجيد حسام الدين علي: " **إشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر: جدلية الاندماج والتنوع**". بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه، ط1، 2010.

67 . مرزوق باسم رزق: " **الهوية الإفريقية في الفكر السياسي الإفريقي**". القاهرة: دار المكتب العربي للمعارف للنشر والتوزيع، 2015.

68 . مكنامارا س. روبرت وَ بلايت ج. جيمس: " **شبح ويلسون: تقليص خطر النزاعات والقتل والكوارث في القرن الحادي والعشرين**". ترجمة: هشام الدجاني، الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 2003.

69 . ميرشايمر جون: " **لماذا يكذب القادة والزعماء: حقيقة الكذب في السياسة الدولية**". ترجمة: عبد الفتاح عمورة، دمشق: دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2016.

70 . ـــــــــــــ: " **مأساة سياسة القوى العظمى**". ترجمة: مصطفى محمد قاسم، الرياض: جامعة الملك سعود، 2012.

71 . نادر لورا: " **الثقافة والكرامة: حوار بين الشرق الأوسط والغرب**". ترجمة: آيات عفيفي، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2015

72 . ناي س. جوزيف: " **هل انتهى القرن الأمريكي؟**". ترجمة: محمد إبراهيم العبد الله، الرياض: العبيكان للنشر، ط1، 2016.

73 . ـــــــــــــ: " **مفارقة القوة الأمريكية**". ترجمة: محمد توفيق البجيرمي، الرياض: العبيكان، ط1، 2003.

74 . نعمة أديب: " **الدولة الغنائمية والربيع العربي**". بيروت: دار الفارابي، ط1، 2014.

75 . نوار عبد العزيز وَ نعنعي عبد المجيد: " **التاريخ المعاصر: أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية**". بيروت: دار النهضة العربية، 2014.

76 . هارت د. وليام: " **إدوار سعيد والمؤثرات الدينية للثقافة**". ترجمة: قصي أنور الذبيان، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، 2011.

77 . هاردت مايكل وَ نيغري أنطونيو: " **الإمبراطورية: إمبراطورية العولمة الجديدة**". ترجمة: فاضل جتكر، الرياض: ط1، 2002.

78 . هاس ن. ريتشارد: " **الفرصة: لحظة أمريكا لتغيير مجرى التاريخ**". ترجمة: أسعد كامل إلياس، الرياض: العبيكان، ط1، 2007.

79 . هنتنغتون ب. صامويل: " **من نحن؟ المناظرة الكبرى حول أمريكا**". ترجمة: أحمد مختار الجمال، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2009.

80 . والتز ن. كينيث: " **الإنسان والدولة والحرب: تحليل نظري**". ترجمة: عمر سليم التل، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة مشروع " كلمة"، ط1، 2013.

81 . ولد أباه السيد: " **عالم ما بعد 11 سبتمبر 2001: الإشكاليات الفكرية والإستراتيجية**". بيروت: الدار العربية للعلوم، ط1، 2004.

ب . المجلات العلمية:

82 . بن عبد الله شهيرة: " **الحرب في وسائل الإعلام: آليات بناء المعنى وإنتاج المعرفة**". مجلة المستقبل العربي، العدد 429، نوفمبر 2014.

83 . زقاغ عادل: " **المعضلة الأمنية المجتمعية، خطاب الأمننة وصناعة السياسة العامة**". المجلة الجزائرية للسياسات العامة، جامعة الجزائر 03، العدد 01، سبتمبر 2011.

84 . ــــــــــــ: " **العصر الوسيط الجديد وتداعياته على النظرية والممارسة في العلاقات الدولية**". مجلة المفكر، العدد السابع، نوفمبر 2011.

85 . عبد السلام محمد: " **مشكلات الدفاع عن الدول الصغيرة في الخليج العربي**". السياسة الدولية، العدد 168، أفريل 2007، مجلد 42.

ج . المقالات في الكتب:

86 . أليسون غراهام: " **أثر العولمة في الأمن القومي والعالمي**". في: جوزيف س ناي وَ جون د. دوناهيو (محررين): الحكم في عالم يتجه نحو العولمة، ترجمة: محمد شريف الطرح، الرياض: العبيكان، ط1، 2002.

87 . أوزانو ماتيو : " **لا جبروت بلا طاقة: 'النمو الأخضر' هل هو ضد من الأضداد؟**". في: برتراند بادي وَ دومينيك فيدال (مشرفين): " من يحكم العالم؟: أوضاع العالم 2017". ترجمة: نصير مروّة، بيروت: مؤسسة الفكر العربي، ط1، 2016.

88 . أولجياتي فيتوريو : " **نحو إعادة تشكيل الجماعات المعرفية في أوروبا**". في: لورينا باريني(إشراف): دول وعولمة: إستراتيجيات وأدوار، ترجمة: نانيس حسن عبد الوهاب. القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2007.

89 . إيكرسلي روبين: " **النظرية الخضراء**". في: تيم دان و آخرون، " نظرية العلاقات الدولية: التخصص والتنوع". ترجمة: ديما الخضرا، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2016.

90 . بلاتنر ف. مارك: " **مقدمة: هل الديمقراطية قابلة للتصدير؟**". في: زولتان باراني وَ روبرت موزر (محررين): " هل الديمقراطية قابلة للتصدير؟". ترجمة: جمال عبد الرحيم، بيروت: جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ط1، 2012.

91 . بوربالان جون كلود ريانو : " **هل هناك حروب عادلة؟ حول كتاب مايكل والزر: الحروب العادلة وغير العادلة**". في: جان فرانسوا دورتيي: " فلسفات عصرنا: تياراتها، مذاهبها، أعلامها وقضاياها". ترجمة: إبراهيم صحراوي، الجزائر : منشورات الاختلاف، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، 2009.

92 . تيكنر ج. آن وَ شوبيرغ لورا: " **النظرية النسوية**". في: تيم دان و آخرون، " نظرية العلاقات الدولية: التخصص والتنوع".

93 . دان تيم: " **المدرسة الإنجليزية**". في: تيم دان وآخرون، " نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع".

94 . الرشيدي أحمد: " **المنظمات الدولية الإقليمية والدور الجديد للأمم المتحدة في النظام الدولي**". في: الأمم المتحدة: ضرورات الإصلاح بعد نصف قرن، وجهة نظر عربية. تحرير : جميل مطر وَ علي الدين هلال، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، سبتمبر 1996.

95 . روزندورف م. نيل: "**العولمة الاجتماعية والثقافية: المفاهيم والتاريخ ودور أمريكا**". في جوزيف س ناي وَ جون د. دوناهيو(محررين): الحكم في عالم يتجه نحو العولمة.

96 . ريمون ماثياس: " **مديرو تسيير الرأي العام: من يسيطر على وسائل الإعلام؟**". في: برتراند بادي وَ دومينيك فيدال (مشرفين): " من يحكم العالم؟: أوضاع العالم 2017".

97 . سيشنز جورج: " **الإيكولوجيا العميقة'**. في: مايكل زيمرمان (محرر): " الفلسفة البيئية: من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية". ترجمة: معين شفيق رومية، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، 2006.

غروفوغوي: سيبا " **ما بعد الاستعمارية**". في: تيم دان وآخرون (محررون): " نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع"، مرجع سابق.

98 . كيوهن و. روبرت وَ ناي س. جوزيف الابن: " **تمهيد: الحكم في عالم يتجه نحو العولمة** «. في: جوزيف س ناي وَ جون د. دوناهيو(محررين): الحكم في عالم يتجه نحو العولمة.

99 . وايفر أوليه: " **أ مازال في الإمكان اعتباره تخصصا بعد كل هذه الحوارات؟**". في: تيم دان وآخرون (محررون): " "نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع".

د . الموسوعات والتقارير:

100 . بول تيرنس وَ بيللامي ريتشارد: " **موسوعة كمبريدج للتاريخ، الفكر السياسي في القرن العشرين**". المجلد الثاني، ترجمة: مي السيد مقلد، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2010.

101 . كي مون بان: " **التزام حيوي ودائم: تنفيذ مبدأ المسؤولية عن الحماية**". تقرير الأمين العام، مجلس الأمن، السنة السبعون، 2015.

هـ . مذكرات التخرج:

102 . حمشي محمد: " **نظريات العلاقات الدولية بين التعددية والهيمنة**". مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، باتنة: قسم العلوم السياسية، 2011.

103 . زقاغ عادل: " **إدارة النزاعات الإثنية لفترة ما بعد الحرب الباردة: دور الطرف الثالث**". مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلاقات الدولية. باتنة: قسم العلوم السياسية، 2004.

و . السمعي بصري:

104 . الجزيرة الوثائقية: " **فساد الأمم المتحدة**"، وثائقي من إنتاج الجزيرة الوثائقية، 2015.

ز . شبكة الأنترنت:

105 . ناي س. جوزيف: " **معضلة التدخل**". ترجمة: مايسة كامل، موقع: Project Syndicate ، جوان 2012، متاح على الرابط: https://www.project-syndicate.org/commentary/the-intervention-dilemma?version=arabic، تاريخ التصفح:28 جانفي 2017 .

106 - موقع الأمم المتحدة"، www.un.org/ar/.

ثانيا . باللغة الإنجليزية:

أ . الكتب:

107 - Allport Alan : **« American military policy ».** Philadelphia : Chelsea house publishers, 2004.

108 - Bahador Babak : **« The CNN effect in action : How the news media pushed the West toward war in Kosovo ».** New York : Palgrave Macmillan, 1st published, 2007.

109 - Battersby Paul and Joseph M. Siracusa : **« Globalization and human security ».** U.S.A : Rowman and Littlefield Publishers, INC, 2009.

110 - Beitz R. Charles : **« The idea of human rights ».** Oxford: Oxford university press, 1st published, 2009.

111 - Bellamy J. Alex: **« Responsibility to protect »**. U.K: Polity, 1 st edition, 2009.

112 - Binder Martin : **« The United Nations and the politics of selective humanitarian intervention »**. U.K : Palgrave Macmillan, 1st published, 2017.

113 - Bjola Corneliu and Markus kornprobst: **« Understanding international diplomacy: theory, practice and ethics ».** U. k: Routledge, 2013.

114 - Blankehorn David and other signatories : **« What we're fighting for a letter from America ».** U.S. A : Institute for American values, 2002.

115 - Bourantonis Dimitris: **« The history and politics of UN security council reform ».** London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2005.

116 - Breau Susan : **« The responsibility to protect in international law : An emerging paradigm shift ».** London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2016.

117 - Bull Hedley and Adam Watson: **« The expansion of International society »**. Oxford: Clarendon Press, 1984.

118 - Buzan Barry and others: **« Security: A new framework for analysis »**. U.S.A: Lynne Rienner Puplishers, Inc, 1998.

119 - ---------- : **« An introduction to the English School of international relations »**. UK : Polity press, 1st p, 2014.

120 - Caillé Alain : **« Peace and Democracy : Benchmarking »**. Introduction by Boutros Boutros Ghali. U. S.A : UNESCO, 2004.

121 - Campbell Horace : **« Global NATO and the catastrophic failure in Libya : Lessons for Africa in the forging of African unity ».** New York : Monthly review press, 2013.

122 - Carr H. Eduard : **« The twenty years' crisis »**. New York: Harper and Row, 1964.

123 - Chernus Ira : **« Monsters to destroy : The Neoconservative war on terror and sin ».** London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2016.

Clemens Jr. Walter C : **« Complexity science and world affairs »**. U.S.A : SUNY Press, 2013

124 - Coady C.A. J : **« The ethics of armed humanitarian intervention ».** Washington : United States institute of peace, 1 st published, July 2002.

125 - Cox W. Robert and Michael G Schechter : **« The political economy of plural world : Critical reflections on power, morals ans civilization ».** New York and London: Routledge Taylor and Francis group, 1st published, 2002.

126 - Crawford James : **« State responsibility : The general part »**. Cambridge : Cambridge university press, First published, 2013.

127 - Deplano Rossana: **« The strategic use of international law by the united nations security council: An empirical study ».** New York: Springer, 2015.

128 - Dieck Helene: **« The influence of public opinion on post – cold war US military interventions »**. UK: Palgrave Macmillan, 1st published, 2015.

129 - Donnelly Jack : **« Universal human rights in theory and practice »**. U.S.A : Cornell university press, 1989.

130 - Doyle W. Michael and Nicholas Sambanis: **« Making war and building peace: United Nations peace operations ».** New Jersey: Princeton university press, 2006.

131 - Dueck Colin : **« The Obama doctrine : American grand strategy today »**. Oxford : Oxford university press, 2015.

132 - Dumbrell John : **« Clinton's foreign policy between the Bushes : 1992 – 2000 »**. London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2009.

133 - Dupuy E. Kendra and Krijn Peters: **"War and children: A reference handbook".** U.S.A: ABC CLIO, 2010.

134 - Ercan Pinar Gözen: **«Debating the future of the 'responsibility to protect': The evolution of a moral norm».** U.K : Palgrave Macmillan, 1st published,2016.

135 - Fitzgerald David and David Ryan : **« Obama, US foreign policy and the dilemmas of intervention »**. U.K : Palgrave Macmillan, 1st published, 2014.

136 - Fletcher Catherine : **« Diplomacy in Renaissance Rome : The rise of resident ambassador »**. U.k : Cambridge university press, First published, 2015.

137 - Forsythe P. David : **« Human rights in international relations »**. Cambridge : Cambridge university press, 2nd edition, 2006.

138 - Friedman Thomas : **« The Lexus and the Olive tree : Understanding globalization ».** U.S.A : Anchor books, 1999.

139 - Fukuyama Francis: **« The end of history and the last man »**. New York: Avon books, 1992.

140 - Gani J.K. : **« The role of ideology in Syrian-US Relations : Conflict and cooperation ».** U.K : Palgrave Macmillan, 1st published, 2014.

141 - Gwyn Prince: **« The heart of war. On power, conflict and obligation in the Twenty-First century ».** London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2002.

142 - Hancock Jan : **« Human rights and US foreign policy »**. London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2007.

143 - Heath L. Robert and W. Timothy Coombs : **« Today's public relations : An introduction »**. U.S.A : Sage publications, 2006.

144 - Hehir Aidan : **« Humanitarian intervention after Kosovo : Irak, Darfur and the record of global civil society ».** U.K : Palgrave Macmillan, 1st published, 2008.

145 - Heinze A. Eric: **« Waging humanitarian war: The ethics, law, and politics of humanitarian intervention ».** U.S.A : SUNNY press, 2009.

146 - Henriksen H. Thomas : **« Cycles in US foreign policy since the cold war »**. U.K : Palgrave Macmillan, 1st published, 2017.

147 - Hoffman Stanley: **« America goes backward »**. U.S.A: New York review books, 2004.

148 - ----------: **« World disorders: troubled peace in the post - cold war era ».** U.S. A: Rowman and Littlefield publishers, 1998.

149 - Holsti R. Ole: **« Public opinion and American foreign policy ».** U.S.A : The university of Michigan press, 2004.

150 - Hopper Paul : **« Understanding cultural globalization ».** U. k : Polity press, 2007.

151 - Huntington P. Samuel: **« The soldier and the state: The theory and politics of civil - military relations ».** Harvard university press: Belknap press, 1981.

152 - Hurd Ian : **« After anarchy : legitimacy and power in the United Nations Security Council ».** New Jersey : Princeton university press, 2007.

153 - Husar Jorg : **« Framing foreign policy in India, Brazil, and South Africa : On the like-mindedness of the IBSA States »**. Switzerland : Springer International Publishing, 2016.

154 - Jackson Robert : **« sovereignty : Evolution of an idea »**. U.k : Polity press, First published, 2007.

155 - Kabia M. John : **« Humanitarian intervention and conflict resolution in West Africa : From ECOMOG to ECOMIL ».** U.k : Ashgate Publishing limited, 2009.

156 - Kaplan D. Robert : **« The coming anarchy : Shattering the dreams of the post cold war »**. New York : Random House, 2000.

157 - Kassim Yang Razali : **« The geopolitics of intervention : Asia and the responsibility to protect ».** Singapore : Springer, 2014.

158 - Kegley Charles William and Shannon Lindsey Blanton : **« World politics : Trend and transformation »**. U.S.A : Wadsworth Cenage Learning, update edition, 2013, 2014.

159 - Kinsey Christopher: **« Corporate soldiers and international security: The rise of private military companies ».** London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1st published, 2006.

160 - Krasner Stephen : **« sovereignty : Organized hypocrisy ».** Princeton : Princeton university press. 1999.

161 - Kuperman J. Alan and Timothy W. Crawford **« Gambling on humanitarian intervention : moral hazard, rebellion and civil war ».** New York : Routledge ,1st edition, 2006.

162 - Laidi Zaki : **« Limited achievements : Obama's foreign policy »**. U.K : Palgrave Macmillan, 1st published, 2012.

163 - Lebow Richard Ned : **« A cultural theory of international relations ».** Cambridge : Cambridge university press, 1 st published, 2008.

164 - ---------- : **« Why nations fight : past and future motives for war »**. UK : Cambridge university press. 2010.

165 - Lewy Guenter : **« Essays on genocide and humanitarian intervention »**. U.S.A : The university of Utah press, Utah Series in Middle East Studies, 2012.

166 - Linklater Andrew : « **The transformation of political community : Ethical foundations of the post- Westphalian era ».** U.S. A : University of South Carolina Press, 1999.

167 - Liqun Zhu : **« China's foreign policy debates ».** European union : Institute for security studies (ISS), Chaillot papers, September 2010.

168 - Lock-Pullan Richard : **« US intervention policy and army innovation : From Vietnam to Iraq ».** London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2006.

169 - Luck C. Edward: **"UN Security Council: Practice and promise".** London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2006.

170 - MacFarlan S. Neil and Yuen Foong Khong : **« Human security and the UN : A critical history ».** U.S.A : Indiana university press, 2006.

171 - Makinda M. Samuel and F. Wafula Okumu : **« The African union : Challenges of globalization, security and governance ».** London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1st published, 2008.

172 - Meagher Robert Emmet : **« Killing from the inside out : Moral injury and just war ».** U.S. A : Cascade books, 2014.

173 - Mertus A. Julie : **« Bait and Switch : Human rights and U.S foreign policy »**. New York and London : Routledge Taylor and Francis group, 2005.

174 - Middup Luke : **« The Powell doctrine and US foreign policy »**. England : Ashgate Publishing Limited, 2015.

175 - Moller Bjorn: **"European Security: The Roles of Regional Organisations "**. London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 2nd published, 2016.

176 - Mommsen J. Wolfgang : **« Theories of Imperialism »**. Translated by : P.S. Falla, U.S.A : The university of Chicago press, 1980.

177 - Morgenthau Hans : **« Politics among nations : The struggle for power and peace »**. New York : McGraw-Hill Education, 7th edition, 2005.

178 - ---------- : **« Human rights and Foreign policy ».** New York: Council on religion and international affairs (CRIA). 1979.

179 - Murray G. Leonie : **« Clinton, peacekeeping and humanitarian interventionism : Rise and fall of a policy ».** London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2008.

180 - Nicholson J.B.R: **« The Gurkha rifles ».** U.S.A: Hippocrene books. INC, first published, 1974.

181 - Nordin H.M. Astrid : **« China's international relations and harmonious world : Time, space and multiplicity in world politics ».** London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2016.

182 - Nygren Bertil : **« The rebuilding of greater Russia : Putin's foreign policy towards the CIS countries ».** London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2008.

183 - Orford Anne : **« Reading humanitarian intervention : Human rights and the use of force in international law ».** Cambridge : Cambridge university press, 1st published, 2003.

184 - **——————** : **« International authority and the responsibility to protect »**. Cambridge : Cambridge university press, 1st published, 2011.

185 - O'Sullivan D. Christopher : **« Colin Powell : American power and intervention from Vietnam to Iraq ».** U.S.A : Rowman & Littlefield Publishers, Inc. 2009.

186 – Parker Geoffrey: **« The thirty years' war »**. U. K: Routledge, 2 nd edition, 1997.

187 - Pentassuglia Gaetano : **« Minority groups and judicial discours in international law : A comparative perspective ».** Leiden. Boston : Martinus Nijhoff Publishers, 2009.

188 - Power Samantha : **« A problem from hell : America and the age of genocide ».** New York : Basic books, 2013.

189 - Prantl Jochen: **« The UN security council and informal groups of states: Complementing or competing for governance? ».** Oxford: Oxford university press, 1st published, 2006.

190 - Rid Thomas: **« War and media operations: The US military and the press from Vietnam to Iraq ».** London and New York: Routledge, 1st published, 2007.

191 - Robinson Piers : **« The CNN effect : The myth of news, foreign policy and intervention ».** London and New York : Routledge, 1st published, 2002.

192 - Rodriguez P. Junius : **« The historical encyclopedia of world slavery ».** U.S.A : ABC - CLIO, 1997.

193 - Roselle Laura: **« Media and the politics of failure: Great powers, communication strategies, and military defeats ».** UK: Palgrave Macmillan, 1st published, 2006.

194 - Sakwa Richard : **« The rise and fall of the Soviet Union : 1917-1991 ».** London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 1999.

195 - Seybolt B. Taylor: **"Humanitarian military intervention: the conditions for success and failure ".** Sweden: Stockholm international peace research institute (SIPRI). New York: Oxford university press, 1st puplished, 2007.

196 - Shawcross William: **« Deliver us from evil: peacekeepers, warlords and a world of endless conflict ».** London: Bloomsbury Publishing. 2000.

197 - Simms Brendan and D.J.B Trim: **« Humanitarian intervention: a history ».** U.S.A : Cambridge university press, 1 st published, 2011.

198 - Simons Geoff: **« Vietnam syndrome: Impact on US foreign policy ».** U.S.A: Macmillan press LTD, 1st published, 1998.

199 - Singh Robert: **« Barack Obama's post- American foreign policy: The limits of engagement ».** New York : Bloomsbury Academic, 1st published, 2012.

200 - Smith E. Karen and Margot Light : **« Ethics and foreign policy ».** U. K : Cambridge university press, 2001.

201 - Stahn Carsten: **« The law and practice of international territorial administration: Versailles to Iraq and beyond** ». Cambridge: Cambridge university press, 1st published, 2008.

202 - Steele J. Brent: **« Ontological security in international relations: Self - identity and the IR state ».** London and New York: Routledge Taylor and Francis group, first published, 2008.

203 - Tsygankov P. Andrei : **« Russia's foreign policy : Change and continuity in national identity ».** U.S.A : Rowman & Littlefield Publishers, Inc, 2006.

204 - Twining William : **« Human rights, Southern voices : Francis Deng, Abdullahi An-na'im, Yash Ghai and Upendra Baxi ».** Cambridge : Cambridge university press, 1st published, 2009.

205 - Ulrich Beck : **« Pioneer in Cosmopolitan sociology and risk society ».** New York: Springer, 2014.

206 - Vincent R.J. : **« Human rights and international relations ».** U.K: Cambridge university press, 1st published, 1986.

207 - Von Tigerstrom Barbara : **« Human security and international law : Prospects and problems ».** Oxford and Portland, Oregon : Hart publishing, 2007.

208 - Vreeland James Raymond and Axel Dreher: **"The political economy of the united nations security council: Money and influence".** Cambridge: Cambridge university press, 1st published, 2014.

209 - Waltz Kenneth : **« Theory of international politics ».** U.S.A : Addison - Wesley Publishing Company, 1979.

210 - Walzer Michael : **« Just and unjust wars : A moral argument with historical illustrations ».** London : Allen lane, 1978.

211 - ---------- : **« Spheres of justice : A defence of pluralisme and equality ».** Oxford : Basil blackwell, 1985.

212 - ----------: **« Arguing about war ».** New haven, London : Yale university press, 2004.

213 - Wendt Alexander: **« Social theory of international politics ».** Cambridge: Cambridge university press, 1st published, 1999.

214 - Wheatley Steven : **« Democracy, minorities and international law ».** Cambridge : Cambridge university press, 1st published, 2005.

215 - Wheeler J. Nicholas: **« Saving strangers: Humanitarian intervention in international society ».** Oxford : Oxford university press, 2000.

216 - Wight Martin and others : **« Power politics »**. London : Leicester university press, 1995.

217 - Wilson H. Peter: **« The thirty years war: Europe's tragedy ».** U.S.A: Belknap press, 2011.

ب . المجلات العلمية:

218 - Acharya Amitav: **« How ideas spread: Whose norms matter? Norm localization and institutional change in Asian regionalism ».** International organization. Vol 58, no 2(Spring 2004).

219 - Agathangelou M. Anna and L.H.M Ling : **« The house of IR : From family power to the poisies of worldism ».** International studies review, vol 6, n04, December 2004.

220 - Atkins Judi: **« A new approach to humanitarian intervention? Tony Blair's 'Doctrine of the international community '»**. British politics. 2006.

221 - Ayoob Mohammed: **« Inequality and theorizing in international relations: The case of Subaltern Realism ».** International studies review. 4 (3), 2002.

222 - Buzan Barry : **« The standard of civilisation as an English school concept »**. Journal of international studies, Vol 42, no 3, June 2014.

223 - Callahan A. William: **« Chinese visions of world order: Post – hegemonic or a new hegemony ».** International studies review. Volume 10, Issue 4, December 2008.

224 - Chandler David : **« Rhetoric without responsibility : the attraction of 'ethical' foreign policy »**. The British journal of politics and international relations (BJPIR). Volume 5, Issue 3, August 2003.

225 - Daalder H. Ivo and James G. Stavridis : **« NATO's victory in Libya : The right way to run an intervention ».** Foreign affairs. March / April 2012, Volume 91, number 2.

226 - Deiwart Brian: **"A new trusteeship for world peace and security: Can an old league of nations idea be applied to a twenty - first century Iraq?"**. Indiana International & Comparative Law Review. Vol 14: 3, 2004.

227 - Fidler F. Davis : **« The return of the standard of civilization ».** Chicago journal of international law, Vol 2, No 1, Article 9, 2001.

228 - Ghali Boutros Boutros: **« The role of international law in the Twenty - First century: A Grotian moment ».** Fordham international law journal. Vol 18, 1995.

229 - Gonzalez- Pelaez Ana and Barry Buzan: **« A viable project of solidarism? The neglected contributions of John Vincent's basic rights initiative ».** International relations, SAGE publication, Vol 17, 3, September 2003.

230 - Hehir Aidan : **« The responsibility to protect in international political discourse : Encouraging statement of intent or illusory platitudes ? ».** The international journal of human rights. Volume 15, Issue 8, 2011.

231 - Hoffmann Stanley: **« An American social science: International relations ».** The Journal of the American Academy of Arts and Sciences *Daedalus*. Vol 106, No3,1977.

232 - Jackson H. Robert : **« Pluralism in international political theory ».** Review of international studies, Vol 18, No 3, Jul 1992.

233 - ---------- : **« Quasi- states, dual regimes, and neoclassical theory : International jurisprudence and the third world ».** International organization, 41, 4, September 1987.

234 - Jin Xu : **« The evolution of international laws of war »**. Chinese journal of international politics. Vol 2, 2008.

235 - Jokic Aleksander : **« what's a just war theorists ? ».** Journal of theological and philosophical criminology. Vol 4 (2), July 2012.

236 - Kalmo Hent : « **Sovereignty : A painful state »**. History today. Volume 63, Issue 1, January 2013.

237 - Kardas Saban : « **Humanitarian intervention : a conceptual analysis ».** Turkey : Alternatives : Turkish journal of international relations. Volume 2, number 2 and 3, fall and winter 2003.

238 - Koskenniemi Martti : **« Miserable comforters : International relations as new Natural law ».** European journal of international relations, September 2009, Vol 15, No 3.

239 - Krauthammer Charles **« The short, unhappy life of humanitarian war ».** The national interest. No 57, fall 1999.

240 - Kuperman J. Alan : **« Obama's Libya debacle : How a well- meaning intervention ended in failure »**. Foreign affairs. March/ April 2015.

241 - ----------: **« Mitigating the moral hazard of humanitarian intervention : lessons from economics ».** Global governance, 14, 2008.

242 - Lakoff Sanford : **« Leading from behind : The ' Obama doctrine' and US policy in the Middle East »**. Strategic Assessment. Volume 16, no 1, April 2013.

243 - Iitfin T. Karen : **« Sovereignty in world ecopolitics »**. Mershon international studies review. Volume 41, Issue 2, November 1997.

244 - Mathews T. Jessica : **« Power shift : The rise os global civil society »**. Foreign affairs, January, February 1997.

245 - Nye Joseph.S. Jr : **« What new world order ? ».** Foreign affairs. Essay, Spring 1992 issue.

246 - Record Jeffrey : **« Back to the Weinberger – Powell doctrine »**. Strategic Studies Quarterly. Fall 2007.

247 - Reinold Theresa : **« The responsibility to protect – much ado about nothing ? »**. Review of international studies. Volume 36, issue 51 (Evaluating global orders), October 2010.

248 - Roberts Guy Wilson : **« Humanitarian intervention : definitions and criteria ».** Wellington : Centre for strategic studies. Strategic briefing papers, Volume 3, part 1, June 2000.

249 - Rosenau N. James : **« New dimensions of security : The interaction of globalizing and localizing dynamics ».** Security dialogue, vol 25, no 3, 1994.

250 - Schelling C. Thomas : **« An essay on bargaining »**. The American economic review. Volume XLVI, June 1956, number three.

251 - Scharf Michael : **« Seizing the "Grotian moment" accelerated formation of customary international law in times of fundamental change ».** Cornell international law journal. Vol 43, 2010.

252 - Snetkov Aglaya and Marc Lanteigne : **" The loud dissenter and its cautious partner - Russia, China, global governance and humanitarian intervention".** International relations of the Asia- Pacific. Vol 15, no 1, Oxford: Oxford university press, 2015.

253 - Stahn Carsten: **« Responsibility to protect: Political rhetoric or emerging legal norm ».** The American journal of international law. Vol 101, no 1, January 2007.

254 - Sterio Milena : **« A Grotian moment : Changes in the legal theory of statehood »**. Denver journal of international law and policy. Vol 39 : 2, 2011.

255 - Waltz Kenneth : **« Globalization and governance »**. PS : Political sciences and politics. Vol 32, No 4, December 1999.

256 - Walzer Michael : **« On humanitarianism : Is helping others charity, or duty, or both ? ».** Foreign affairs, July / August 2011. Issue. Volume 90.

257 - ---------- : **« Political action : The problem of dirty hands ».** Philosophy and public affairs, Volume 2, Issue 2, Winter 1973.

258 - Wheeler J. Nicholas: **« Pluralist or solidrist conceptions of international society: Bull and Vincent on humanitarian intervention ».** Journal of international studies. Vol 21. No 3, 1992.

ج . المقالات في الكتب:

259 - Annan A. Kofi: **« Peacekeeping, military intervention, and national sovereignty in internal armed conflict ».** In : Jonathan Moore (Ed) : « Hard choices : Moral dilemmas in humanitarian intervention ». U.S.A : Rowman and Littlefield publishers, 1998.

260 - Buzan Barry and Richard Little: **« Introduction to the 2009 Reissue ».** In: Adam Watson: « The evolution of international society: A comparative historical analysis ». London And New York: Routledge Taylor and Francis Group, 2009.

261 - Besson Samantha: **« Theorizing the sources of international law »**. In: Samantha Besson and John Tasioulas (Ed): « The philosophy of international law ». Oxford: Oxford university press, 1st published, 2010.

262 - Byers Michael **: « International law and the responsibility to protect »**. In : Ramesh Thakur and William Maley(Ed) : « Theorising the responsibility to protect ». Cambridge : Cambridge university press, 1st published, 2015.

263 - Chisholm Amanda : **« From warriors of empire to martial contractors : Reimagining Gurkhas in private security »**. In : Maya Eichler (Ed) : « Gender and private security ». Oxford : Oxford university press, 2015.

264 - Epp Roger : **« Translation and interpretation : The English school and IR theory in China ».** In : Robert W. Murray (Ed) : « System, society and the world : Exploring the English school of international relations ». Bristol : E- International relations publishing, 2nd edition, 2015.

265 -Fiott Daniel : **« The use of force and the third pillar »**. In : Daniel Fiott and Joachim Koops (Ed) : « The responsibility to protect and the third pillar : Legitimacy and operationalization ». U.K : Palgrave Macmillan, 1st published, 2015.

266 - Fryba Steen Christensen and Li Xing : **« The Emerging Powers and the Emerging World Order : Back to the Future ? ».** In : Steen Fryba Christensen and Li Xing (Ed) : « Emerging Powers, Emerging Markets, Emerging Societies : Global Responses ». U. K : Palgrave Macmillan, 1st published, 2016.

267 - Hehir Aidan : **« Introduction : Libya and the responsibility to protect »**. In : Aidan Hehir and Robert Murray (Ed) : « Libya : The responsibility to protect and the futur of humanitarian intervention ». U.K : Palgrave Macmillan, 1st published, 201 3.

268 - Heinze A. Eric and Brent J. Steel : **« The (D) evolution of a norm : R2P, the Bosnia generation and humanitarian intervention in Libya ».** In : Aidan Hehir and Robert Murray (Ed) : « Libya : The responsibility to protect and the futur of humanitarian intervention ».

269 - Holzgrefe J.L. **« The humanitarian intervention debate »**. In : J.L. Holzgrefe and Robert O. Keohane : Humanitarian intervention : ethical, legal, and political dilemmas. U.K : Cambridge university press. 1 st published, 2003.

270 - Howorth Jolyon: **« National defence and European security integration: An illusion inside a chimera? ».** In: Jolyon Howorth and Anand Menon (Ed): « The European union and national defence policy ». London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 1997.

271 - Hurd Ian : **« Theories and tests of international authority ».** In : Bruce Cronin and Ian Hurd : « The UN security council and the politics of international authority ». London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2008.

272 - Katzenstein Peter : **« Introduction : Alternative perspectives on national security** ». In : Peter Katzenstein : « The culture of national security : Norms and identity in world politics ». New York : Columbia university press, 1996.

273 - Kuperman J. Alan : **« NATO's intervention in Libya : A humanitarian success ? »**. In : Aidan Hehir and Robert Murray (Ed) : « Libya : The responsibility to protect and the futur of humanitarian intervention ».

274 - LaFeber Walter : **« Colin Powell : The rise and fall of the Powell doctrine »**. In : Anna Kasten Nelson (Ed) : « The Policy Makers : Shaping American Foreign Policy from 1947 to the Present ». U.S.A : Rowman & Littlefield Publishers, Inc. 2009.

275 - Lattevall Rebecka : **« The idea of Kosmopolis : Two kinds of cosmopolitanism ».** In : Rebecka Lattevall and My Klockar Linder (Ed) : The idea of Kosmopolis : History, Philosophy and politics of world citizenship. Stockholm: Södertörn Academic Studies, 2008.

276 - Lucarelli Sonia: **"Introduction: Values, principles, identity and European Union foreign policy".** In: Sonia Lucarelli and Ian Manners (Ed): "Values and principles in European Union foreign policy". London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2006.

277 - ---------- and Roberto Menotti : **« The use of force as coercive intervention : The conflicting values of the European Union's external action".** In: Sonia Lucarelli and Ian Manners (Ed): "Values and principles in European Union foreign policy".

278 - Manners Ian: **«The normative power of the European Union in a globalised power ».** In: Zaki Laid (Ed): « EU foreign policy in a globalized world ». London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2008.

279 - Murithi Timothy : **« The African union as an international actor »**. In : Jack Mangala (Ed) : « Africa and the new world era : From humanitarianism to a strategic view ». U.K : Palgrave Macmillan, 1st published, 2010.

280 - Narine Shaun : **« Humanitarian intervention and the question of sovereignty : The case of ASEAN ».** In: Richard B. Day and Joseph Masciulli (Ed): « Globalization and political ethics ». Leiden. Boston: BRILL, Martinus Nijhoff Publishers and VSP, 2007.

281 - Noonan C. Norma : **« The global leadership of the USA and the emerging powers »**. In : Vidya Nadkarni and Norma C. Noonan (Ed) : « Emerging powers in a comparative perspective : The political and economic rise of the BRIC countries ». New York : BLOOMSBURY, 1 st published, 2013.

282 - Nossal Kim Richard : **« The-use and misuse-of R2P : The case of Canada »** . In : Aidan Hehir and Robert Murray (Ed) : « Libya : The responsibility to protect and the futur of humanitarian intervention ».

283 - Ogden Suzanne : **« Chinese nationalism : The precedence of community and identity over individual rights** ». In : Alvin Y. So (Ed) :« China's Developmental Miracle : Origins, Transformations, and Challenges ». London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 2nd published, 2016.

284 - Parashar Swati : **« Women, militancy and security : The South Asian conundrum ».** In : Laura Sjborg (Ed), « Gender and international security : Feminist perspective ». London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2010.

285 - Qin Yaqing : **« Why is there no Chinese international relations theory ? ».** In : Amitav Acharya and Barry Buzan(Ed) : « Non- western international relations theory : Perspectives on and beyond Asia ». London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2010.

286 - Recchia Stephano : **« The origins of liberal Wilsonianism : Giuseppe Mazzini on regime change and humanitarian intervention ».** In: Stephano Recchia and Jennifer M. Welsh (Ed): « Just and unjust military intervention: European thinkers from Vitoria to Mill ». Cambridge : Cambridge university press, First published, 2013.

287 - Richmond P. Oliver : **« The limits of UN multidimensional peace operations ».** In : « The United Nations and human security ». (Ed : Edward Newman and Oliver P. Richmond). New York : Palgrave, first published, 2001.

288 - Reinold Theresa : **« Africa 's emerging regional security culture and the intervention in Libya ».** In : Aidan Hehir and Robert Murray (Ed) : « Libya : The responsibility to protect and the futur of humanitarian intervention ».

289 - Robinson Piers: **« Media and US foreign policy ».** In: Michael Cox and Doug Stokes (Ed): « US foreign policy ». Oxford: Oxford university press, 2nd edition, 2012.

290 - Soffer Sasson : **« Guardians of the practitioner's virtue : Diplomats at the warrior's den ».** In : William Bain (Ed) : « The empire of security and the safety of the people ». London and New York: Routledge Taylor and Francis group, first published, 2006.

291 - Sjborg Laura : **« Reconstructing women in Postconflict Rwanda ».** In: Robin M. Chandler and others (Ed), « Women, war and violence: Personal perspective and global activism ». U.S.A: Palgrave Macmillan, 1st published, 2010.

292 - Varwick Johannes and Joachim Koops: **« The European union and NATO: 'Shrewd interorganizationalism 'in the making? ».** In: Knud Erik Jorgensen(Ed): « The European union and international organizations ». London and New York: Routledge: Taylor & Francis group, 1 st published, 2009.

293 - Wang Peiran : **« China and the third pillar ».** In : Daniel Fiott and Joachim Koops (Ed) : « The responsibility to protect and the third pillar : Legitimacy and operationalization ».

294 - Watson Adam: « The evolution of international society: A comparative historical analysis ». London And New York: Routledge Taylor and Francis Group, 2009.

295 - Zabeida Natalja: **« Not making excuses: Functions of rape as a tool in ethno - nationalists wars ».** In: Robin M. Chandler and others(Ed), « Women, war and violence: Personal perspective and global activism ».

د . مذكرات التخرج:

296 - Austgulen Mads Moll: **« Russia's approaches to military interventions: A comparative case study of Georgia and Syria ».** Master's thesis, Oslo: department of political sciences, Fall 2014

هـ . الملتقيات العلمية والتقارير:

297 - House of commons foreign affairs committee: **« Libya: Examination of intervention and collapse and the UK's future policy options ».** Third report of session 2016-17. 14 September 2016

298 - International commission on intervention and state sovereignty: **« The responsibility to protect ».** Report of ICISS. Ottawa: Published by the International development research centre. 2001

299 - Knudsen Tonny Brems: **« The history of humanitarian intervention: the rule or the exceptions ».** Paper for the 50th ISA annual convention, New YORK, February 15 -18 2009.

300 - Kolmašová Šárka: **« Pragmatic Revisionism and Responsibility to Protect in the Syrian Crisis »**. Paper to be presented at the 2016 CEEISA-ISA Conference in Ljubljana

301 - Little Richard : **« The expansion of the international society in Heeren's account of the European States - System ».** School of sociology, politics and international studies. Paper presented at the international studies association 49th annual convention, San Francisco, March 26, 29. 2008

و . الموسوعات:

302 - Leskiw S. Christopher: **« The United Nations »**. In: Jhon G. Geer (Ed): « Public opinion and polling around the world: A historical encyclopedia. Volume1 ». U.S.A : ABC-CLIO, INC, 2004.

ز . مواقع الأنترنت:

303 - Beinart Peter: **« Behind the Libya war ».**The Daily Beast, 20 March 2011, Available online at : www.thedailybeast.com/.../**libya-war**-and-the-bosnia-hawks-on-the..., browsing history : 17 January 2017.

304 - Chollet Derek and others : **« Does the Middle East Still Matter ? The Obama Doctrine and U.S. Policy ».** The Washington institute. Available online at : www.washingtoninstitute.org/policy.../does-the-middle-east-still-m... browsing history: 06 February 2017

305 - Dugin Aleksander : **« Enantiodromia in Russian politics ».** In : *katehon.com/1340-enantiodromia-in-russian-politics*

306 - Evans Gareth : **« R2P down but not out after Libya and Syria »**. Available online at : www.opendemocracy.net/.../r2p-down-but-not-out-after-libya-and...,browsing history : 03 February 2017.

307 - **« From Diversity to Pluralism ».** The Pluralism project. Harvard university. In : www.**pluralism**.org/encounter/challenges browsing history 5 February 2016.

308 - Sen Amartya: **« Poverty and famines: An essay on entitlement and deprivation ».** Published to Oxford Scholarship Online, November 2003

309 - Sharp Paul: **« Who needs diplomats? The problem of diplomatic representation? »**. In*: www.diplomacy.edu › Resources › General.*

310 - Shehabi Ala'a : **« Bahrain's sovereign hypocrisy »**. Foreign policy. 14 Aout 2013, In : *foreignpolicy.com/.../**bahrains-sovereign-hypocrisy/***

ثالثا: باللغة الفرنسية

311 - Améry Jean: **« par - delà le crime et le châtiment: Essai pour surmonter l'insurmontable ».** Traduction: François Wuilmart. France: Actes sud, 2005.

312 - Bedjaoui Mohamed: **«Pour un nouvel ordre économique international»**. Unesco : 1978.

الملاحق

<u>الإله الإغريقي "جانوس"</u>: الاستعارة التي وظّفها جوشن برانتل لوصف ديناميكية هيكل مجلس الأمن، كما تعبّر هذه الصورة من جهة أخرى على حقيقة "التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية"؛ وجْهٌ ناحية الشرق والآخر للغرب؛ وجْه يستجيب للضمير الإنساني وآخر يراعي المصالح السياسية الضيّقة.

الفهرس

فهرس المحتويات

خطة البحث **الصفحة**

مقدمة..... 01

الفصل الأول: التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية: مدخل إبستمولوجي 10

المبحث الأول: النطاق المفاهيمي . الفلسفي للتدخل الإنساني..... 12

المطلب الأول . مقاربة معرفية حول التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية.....13

الفرع 1 . مفهوم التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية.....14

الفرع 2 . عبء البرهان.....19

الفرع 3 . تيبولوجيا التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية.....23

المطلب الثاني . الحرب العادلة من العصر الوسيط إلى مايكل والزر.....29

الفرع 1 . جدال اللاهوت والقانون الطبيعي حول الحرب العادلة.....30

الفرع 2 . عُرف عدم التدخل.....35

الفرع 3 . مايكل والزر والعودة إلى العصر الوسيط.....38

المبحث الثاني: حوار نظريات العلاقات الدولية حول التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية.....42

المطلب الأول . النقاش الواقعي . التعددي . التضامني حول التدخل الإنساني.....42

الفرع 1 . تنبيهات الواقعية.....43

الفرع 2 . وستفالية التعددية.....47

الفرع 3 . الأخلاق الكوسموبوليتانية التضامنية.....50

أولا: التضامن الدولي المقيد لـ جون راولز.....53

ثانيا: المجموعة القانونية التواصلية لـ يورغن هابرماس.....54

المطلب الثاني . التدخل الإنساني من منظار المدرسة الإنجليزية للعلاقات الدولية.....57
الفرع 1 . التقاليد الثلاثة في فكر المدرسة الإنجليزية.....58
الفرع 2 . معيار الحضارة.....62
الفرع 3 . الإمبريالية لـ جون هيوغ واتسون.....65
الفصل الثاني: التدخل الإنساني في ظل تحولات الأمم المتحدة، الرأي العام، السيادة وحقوق الإنسان
المبحث الأول: التدخل الإنساني في ظل أزمات الأمم المتحدة وتأثير الرأي العام.....75
المطلب الأول . منظمة الأمم المتحدة والتدخل الإنساني.....75
الفرع 1 . أزمات الشرعية في " النزعة التدخلية الجديدة".....76
الفرع 2 . مجلس الأمن الدولي والتدخلات الإنسانية.....84
الفرع 3 . مبدأ الحماية الأممي بعدسات جندرية / إيكولوجية.....91
أولا: التدخل الأممي بعدسات جندرية.....91
ثانيا: التدخل الدولي الأممي بعدسات إيكولوجية.....95
المطلب الثاني: حدود تأثير الرأي العام على التدخلات الإنسانية.....98
الفرع 1 . أثر القناة سي. أن. أن ومثلث كلاوسوفيتز.....98
الفرع 2 . الإعلام الأمريكي والتدخل الإنساني: من توافق ألموند . ليبمان إلى البروباغندا.....108
المبحث الثاني: تحولات السيادة وحقوق الإنسان: وعود "ما بعد الكولونيالية".....113
المطلب الأول . جنيالوجيا السيادة.....113
الفرع 1 . نشأة فكرة السيادة.....114
الفرع 2 . داء بودان Mal de Bodin.....118
الفرع 3 . اللحظة الغروسيوسية الجديدة.....126

المطلب الثاني . التدخل من أجل حقوق الإنسان وموازنات ما بعد الاستعمار.....132
الفرع 1 . معضلة المصدر القانوني لتبرير فكرة حقوق الإنسان.....132
الفرع 2 . تدويل علاقة الدولة بالأقليات: 138
الفرع 3 . فحص أطروحة النظام العالمي لحقوق الإنسان.....144
الفصل الثالث: التدخل الإنساني في ليبيا وسوريا على ضوء سياسات القوة المهيمنة والقوى الناهضة
المبحث الأول: التدخل الإنساني بين المنظور الأمريكي المهيمن والمقاربات الدولية الأخرى..151
المطلب الأول . الولايات المتحدة الأمريكية والتدخل الإنساني.....151
الفرع 1 . الفضائل المتجدّدة لـ "الولسونية".....152
الفرع 2 . مذهب باول . واينبرغر 159
المطلب الثاني . القوى الناهضة ومقاربات التدخل الإنساني.....163
الفرع 1 . الاتحاد الأوروبي وأمننة القيم الأخلاقية.....163
الفرع 2 . الصين: تيانكسيا أم هيمنة.....171
الفرع 3 . روسيا: بناء اجتماعي للتدخل الإنساني.....176
المبحث الثاني: التدخل الإنساني في ليبيا ومعضلته في سوريا.....181
المطلب الأول . ليبيا: هل تسمح R2P بإسقاط النظام..... 182
الفرع 1 . جيل البوسنة وعملية فجر الأوديسا.....182
الفرع 2 . الاتحاد الإفريقي وجهود أقلمة التدخل في ليبيا.....187
الفرع 3 . هل نجحت الإنسانية في ليبيا.....193
المطلب الثاني . معضلة التدخل الإنساني في سوريا ومستقبل المسؤولية عن الحماية.... 197
الفرع 1 . الأزمة السورية الناشئة والانتقال من المسؤولية عن الحماية إلى المسؤولية أثناء الحماية..197

الفرع 2 . الولايات المتحدة والالتزام المقيّد.....202

الفرع 3 . مستقبل المسؤولية عن الحماية بعد سوريا.....207

الخاتمة.....213

قائمة المراجع.....217

الملاحق.....242

الفهرس.....244

ملخّص:

أقيمت الحجة التضامنية المُجيزة للتدخل الإنساني على أن النظام العالمي الذي صاغته "معاهدة وستفاليا" لم يعد يشكّل الإطار الأنسب للعلاقات الدولية المعاصرة، ليس فقط بسبب "باثولوجيا السيادة" بل لأنه سيكون وهمًا كاذبا أن يُعترف بالسيادة الوطنية في دول انحدرت إلى مستوى حكم أمراء الحرب، في حين حاجج التعدديون بضرورة فهم مغزى اللحظة الوستفالية من منظور ذلك الزمان لا بمنظور الآن؛ بمعنى أن "مؤسسة السيادة" ستبقى الحاسم الأكبر لمشاكل "الفوضى" و "انعدام اليقين" بيْد أن الأمر يتوقف على "لحظة غروسيوسية جديدة" تناط فيها للقادة، وخصوصا قادة الدول الكبرى، مسؤوليات تعددية في فن الحكم.

إنّ "التدخل المسلح لإنقاذ حقوق الإنسان" ليس بالضرورة ممارسة واعية؛ من الأنسب وصفه بـ "تصديرٍ لنموذج سياسي" قابل، على الدوام، لإعادة التنشيط بفعل جرعاتٍ يتلقّاها من الادّعاء العولمي الذي يثْملُ مباهاةً بالبناء السياسي للدولة في الغرب.

يقف المجتمع الدولي أمام هذه العتبة، عند هذا الباب، لم يتخطّ هذه العتبة ولم يجتز ذلك الباب، لأنّه لم يصنع بعد سياسة في الفعل تجعله بمنأى عن استعارة أفعال أخرى؛ بمعنى أنه لم يكن صارما في وضع قواعد متّفقٍ عليها لتعريف "الإنسانية" تجعله بعيدا عن اتّهاماتٍ بتوظيفها سياسيا.

Abstract :

Solidarists have proclaimed that which permits humanitarian intervention that the global system formulated by the ‘Treaty of Westphalia ‘ no longer constitutes the most appropriate framework for the contemporary international relations, not only because of the ‘ Pathological sovereignty’ but because it would be false to recognize a national sovereignty in countries that have deteriorated to the level of worldlord-ruling, on their part pluralists have argued for the need to understand the significance of the Westphalia moment from the perspective of that era and not from that of nowadays, in the sense that the sovereignty will remain the major solution for the problems of ‘ chaos ‘ and ‘uncertainty ‘, however ,it depends on a ‘ new Grociant moment ‘ that would entrust the leaders, especially those of the major powers, with responsibilities of multilateralism in the art of governance.

The ‘ armed intervention to save human rights ‘ is not necessarily a sensible practice, it should be, indeed, described as ‘ an exportation of a political model ‘which can constantly be reactivated via certain doses derived from the glaobalized allegations that are a boast of the political construction of the state, as a notion, in the west.

The international community stands in front of this threshold, at this gate, unable to overcome such a threshold nor to go throught that gate because it has not yet established a policy which would have made it needless for borrowing other acts, in the sense that it was not strict in drawing up a set of agreed-upon rules for defining ‘ humanitarian ‘ and which would keep it away from the accusations of exploiting it politically.